مجلة بحوث
كليـــــــــــــة الآداب

البحث (٦)

محمد بن عمار الأندلسى

"دراسة نفسية وفنية لشعره"

إعـــداد

د / مروة شحاته محمود الشنقرفى

قسم اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية وآدابها

كلية الآداب - جامعة دمنهور

السنة ٢٣ العدد (٨٨) يناير ٢٠١٢م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rjfa2012@ Gmail.com

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

محمد بن عَمَّار الأندلسيّ دراسة نفسية وفنية لشعره

د . مروة شحاته محمود الشقرفي
قسم اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية وآدابها – كلية الآداب – جامعة دمنهور

الملخص

يتناول هذا البحث ابن عَمَّار الأندلسيّ (٤٢٢هـ - ٤٧٧هـ) أحد كبار شعراء عصر ملوك الطوائف ، وقد عُنِيَ كثيرٌ من دارسي الأدب وناقديه بدراسة حياته وموضوعات شعره دون التطرق إلى الكشف عن المؤثرات النفسية الخَفِيّة التي تُؤَثِّرُ في سلوكه الظاهر ، وتُسْهِمُ في تشكيل شخصيته ، وتكوين ذوقه ، وتوجيه سلوكه وأنماط تفكيره ، ومن ثَمَّ تُغَلِّفُ شعره .

وقد وُلِدَ في أسرة متواضعة للغاية ، وكان لهذه النشأة أثرها الواضح ؛ فقد جعلته حادّ الطبع ، حريصًا على أن يفرض نفسه على الحياة ؛ فهو قويٌّ مُتَسَلِّط ، وكان طموحه هو المُحَرِّكُ الأول له ، ولم تكن تهدأ نفسه إلا إذا حقَّقَ رغباته ، وهو يتوسّل بالمكائد إلى بُلوغ المآرب ، وفوق ذلك فإن لديه دراية فائقة بخبايا النفوس وتوجيه عواطفها.

وقد كان يشعر بأنه غير متكيف مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه ، وأخذ يعاني وطأة الصدام بين مطالبه الذاتية من جهة ، وظروفه الاجتماعية المُحْبِطَة له من جهة أخرى ؛ فاعتاض عن ذلك كله بالتسامي على ما بداخله من توتر ، وقد وجد في نظم الشعر تعويضًا عَمَّا يَشْعُرُ به من حرمان ، وسبيلاً للغنى .

وقد ذاق حلاوة الحياة في صحبة المعتمد ، ثم نفاه المعتضد من إشبيلية ، وأصابه من جَرَّاء ذلك الحزن والإحباط النفسي ، وقد كانت غربته نقطة تحول في حياته ، انطلق منها لتحقيق طموحاته ، فقد كان يطمع في الإمارة ، تشدُّهُ إلى هذا الطموح نفسٌ مغامرة ، وقد تاقت نفسُه إلى إمارة مرسية ؛ ولَمَّا نالها ، شَرِهَتْ نفسُهُ إلى إمارة بلنسية أيضًا ، ورأى حال طليطلة فطمع فيها ، وعاد فوجد نفسه

سوحه صويا بـ CamScanner
CamScanner سوحه صويا بـ
Scanned with CamScanner

خسر مرسية ، فذهب إلى أذفونش ليسانده في إرجاع مرسية ؛ فلم يجد منه العون الذي كان ينتظره ؛ فاتجه إلى المؤتمن بن هود في سرقسطة ، ثم مل سرقسطة فاتجه صوب لاردة ، فوجدها ساكنة هادئة ؛ فعاد إلى سرقسطة ، وهو يبحث عن مغامرة ليجدد نشاطه ؛ فأعاد حصن وثب عليه أحد المنتزين بالحيلة ، ولم يكتف بذلك ، بل أعاد الكرة مرةً أخرى مع صاحب حصن شقُورة فنال جزاءه وسقط أسيرًا .

وهو – في كل ذلك – يستخدم المكر والختل والخديعة ، ويتلون ويتلاعب كي يحقق أهدافه ، ولا يُبَالِي في ذلك بوَازِعٍ من ضمير أو خُلُق ، فقد كان قلبُهُ نهبًا للأطماع الدنيئة .

وإذا كان منهج هذا البحث منهجًا نفسيًّا ، يقوم على تتبع ملامح نفسية الشاعر ، وخطرات فؤاده ، ورصدها من خلال تفاعلها مع أحداث مجتمعه ، ومؤثرات بيئته ، فإنه – في الوقت نفسه – منهجٌ فني ، يقوم على التحليل والنقد والتذوق .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

مقدمة

يتناول هذا البحث ابن عمار ، الذي عُنِيَ كثيرٌ من دارسي الأدب وناقديه بدراسة حياته وموضوعات شعره ، دون التطرُّق إلى الكشف عن البواعث النفسية التي تُغلِّفُ شعره ، ومن ثَمَّ يُعَدُّ دراسةً جديدة في موضوعها على الرغم من الدراسات التي دارت حوله .

وهو من كبار شعراء عصر الطوائف ، وقد استطاع بذكائه ومقدرته الفنية أن ينتظم في صَفِّ كبار الشعراء ، وتَمَكَّنَ - أيضًا - بطموحه ومكره ودهائه أن يصبح الوزير الأول لمملكة بني عباد ؛ فإن لديه دراية فائقة بخبايا النفوس وتوجيه عواطفها ؛ يُجيدُ التعبير عَمَّا في نفسه بعد أن يُدِيرَ الأمرَ جيدًا في رأسه ؛ فيصل إلى مُرَادِه من الآخرين ويُؤَثِّرُ فيهم .

وقد فُطِرَ منذ نشأته على المغامرة ، وهو يجمع بين الكِيَاسة واللباقة والظَّرْف ولطف النادرة وسرعة البديهة ومجاراة الحكام في أهوائهم ، ويميل إلى النشاط والعمل ، ولا تهدأ نفسه إلا إذا حقَّقَ رغباته ، التي ليس لها نهاية تقف عندها ، وهو يتوسَّل بالمكائد إلى بُلوغ المآرب ؛ ولهذا يُغَيِّرُ آراءه ويُبَدِّلُهَا حسب مُقْتَضى الحال ، ويَعْمَد مباشرةً إلى ما يُحَقِّقُ المصلحة ، وما من شأنه أن يُغْنِي عن غيره ، فهو يُحَدِّدُ أهدافه ، ويضعها نُصْبَ عينيه ، ثُمَّ يسلك كُلَّ سبيلٍ لتحقيقها ؛ فلا يترك فرصة تُقَرِّبُهُ من آماله إلا اغتنمها .

وقد أجاد في شعره إجادةً تشهد بتمكنه اللغويّ ، وسعة اطلاعه وثقافته ، ومعرفته الواسعة بشعر السابقين ، وبراعته الفائقة في استغلاله ، وإدخاله في نسيج شعره ؛ حتى عُدَّ من الشعراء المُبْدِعين ؛ وهو حريصٌ على أن يؤكد عمق ثقافته ، ويُظْهِرُ شعره جودة رصفه للأساليب ، وجمال التنغيم الموسيقيّ ؛ ممَّا يَدُلُّ - بوضوح - على ثراء ملكته الشعرية ، وموهبته الخصبة .

ومن فنون شعر ابن عمار : المدح ، والهجاء ، والوصف ، والغزل ، مع شيءٍ من المجون أحيانًا .

سوحه صويا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

ويحاول هذا البحث أن يُظْهِرَ مَلامح نفسية ابن عمار ، ويستطق مراميه ومقاصده من خلال شعره ؛ ومن ثَمَّ تَطَرَّقْتُ إلى الجانب النفسي ، وأثره في البُعْد الدلالي في ألفاظه وتراكيبه وأساليبه ؛ كي أعرفَ المؤثرات الخفية التي تُؤثِّرُ في سلوكه الظاهر ، وأستقصي ما يُسْهِمُ في تَبَيُّن حقيقته وسِرِّه ؛ بُغْيَةَ الوصول إلى نفس الشاعر من ناحية ، وإلى فهم شعره من ناحية أخرى .

وقد آثرتُ اختياره موضوعًا للدراسة ؛ لأطَّلِعَ على شخصية فَذَّة ؛ فقد استطاع أن يرتقي من طبقة الشعراء الكادحين ؛ حتى وصل إلى مرتبة شعراء البلاط ، بل أصبح الوزير الأول لأكبر ممالك الأندلس . وقد عاش حياته في صراعٍ مستمر مع نفسه وطموحاته ، وفي نهاية الأمر أدَّى به دهاؤه وطموحه إلى مصيره المُفْجِع .

وعلاوة على ذلك فقد لاحظتُ أن نفسيته تستحق أن تحظى بدراسة خاصة تُلْقِي الضوءَ على خفايا نفسه .

وقد عكفت على دراسة شعره دراسةً فاحصةً مستوعبة ، وتتبعتُ أخباره ؛ حتى أستطيع أن ألقي الضوءَ على شخصيته . وكان لا بُدَّ لي أن ألمَّ بنشأته وبيئته ، وأدرسَ نفسيته وطموحه ، وأعرفَ مواطن القوة والضعف في نفسه ؛ كي أدرس شعره دراسةً مَنْ « لا يشغله الجمال الفني عن التماس نفس الشاعر ، وما يكنُّ في ضميره من العواطف المكظومة ، والأهواء المكتومة ، والخواطر التي لا يُفْرِدُ عنها إلا بالإشارة والتلميح »[1] ؛ في محاولة للكشف عن مشاعره الحقيقية ، وطوايا سريرته ، وتقلبات أهوائه ، واستبداد رغباته ، وفهم الدوافع التي تُثِيرُ نفسه وتُحَرِّكُهَا ، وتُفَسِّرُ سلوكه في كل مراحل حياته ؛ لأتمكن من تفسير شعره على ضوء تلك الحياة التي عاشها .

وكان لا بُدَّ من الربط بين أشعاره وأخباره ؛ بُغْيَةَ « فهم النصوص واستكناه بواعثها ، وتبيُّن ما وراءها في حياة الشاعر وفي نفسه ... فإن ما تسكت عنه الأخبار تُوَضِّحُهُ الأشعار ، وما يبدو أصمتَ الدلالة في الأشعار تأتي الأخبار

سوحه صويا بـ CamScanner

سوحه صويا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

كاشفاً قوياً يكشف عن عناصره الخبيئة التي دفعت بصياغته أن تكون على نحو دون آخر »[٢] .

وإذا كان منهج هذا البحث منهجًا نفسيًا ، يقوم على تتبع ملامح نفسية الشاعر ، وخطرات فؤاده ، ورصدها من خلال تفاعلها مع أحداث مجتمعه ، ومؤثرات بيئته ، فإنه - في الوقت نفسه - منهجٌ فني ، يقوم على التحليل والنقد والتذوق ، عن طريق الاستقراء التامّ للنصوص ، واستنباط خصائصها ، واستخلاص النتائج منها . ولمّا كان أيّ نص لا يمكن أن يُحلَّلَ بمعزل عن العصر والسياق التاريخي الذي يندرج فيه ، كان لا بُدَّ من الاستعانة بالمنهج التاريخيّ ، الذي يتخذ من التاريخ وأحداث العصر مادةً لتفسير شعر الشاعر.

إن شخصية الإنسان محصلة مجموعة من الاستعدادات الداخلية والمؤثرات الخارجية ، وغيرُ خافٍ أن فهم شخصية الشاعر ونفسيته يساعد كثيرًا في تفسير شعره ، ومِمَّا يعين على ذلك معرفة حياته وسيرته وبيئته ؛ لأن الشعر متصل - أوثق اتصال - بأصل الشاعر ونشأته ، وحوادث عصره ؛ فإنَّ حياة الفرد - لا محالة - شديدة الارتباط بحياة الجماعة ؛ مِمَّا يُؤَثِّر على الشاعر ، ومنحى تفكيره ، وأسلوب حياته ، وموقفه الفكري ، وتركيب مِزَاجه ، وتكوينه الخُلُقي والنفسي ؛ فيظهر ذلك واضحًا في شعره .

ويعكس شعر الشاعر « في طياته صُوَر الشخصية التي أبدعته ، وملامح من البيئة الاجتماعية والفكرية التي يعيش فيها مُبْدِعُهُ »[٣] .

وقد عَنَيتُ بالأحداث البارزة في حياة ابن عمار ؛ لأن هذه الأحداث - بلا ريب - تُفَسِّرُ كثيرًا من شعره ، وتُبَيِّنُ طريقته في التفكير ، ووسيلته في التعبير ؛ لكي أُعطي صورة واضحة المعالم لهذه الشخصية التي نَبَغَتْ في القرن الخامس الهجري ، وأُبرِزُ أخصَّ ما انفرد به بين شعراء عصره ، « وما الدراسة النقدية لشاعر إلا مجرد رؤية تسبقها رُؤَى ، وتتلوها رُؤَى أخرى مختلفة ، وكلّ رؤية قابلة للمناقشة »[٤] .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

وقد تضافرت جملة من العوامل (النفسية والاجتماعية والسياسية والفكرية والاقتصادية) على خلق هذا المزاج الحادّ لابن عمار ، وأعانت في تحديد ملامح شخصيته ، وتوجيه فكره وسلوكه ، وموقفه من المجتمع والناس ، وكانت بالغة التأثير على نفسه .

ويحرِصُ الناقدُ النفسي – بالدرجة الأولى – على معرفة مناسبة القصيدة ودوافع الشاعر ؛ فهناك ارتباط وثيق بين الأداء الفني وانفعالات النفس ؛ ومن هنا نُدرِكُ دوافع النفس التي حرّكَتْ الشاعر نحو بنية شعرية بعينها رآها وحدها – دون غيرها – قادرةً على إبراز عاطفته ؛ لأن كل هيئة إحساس تلزمها هيئة بعينها من التراكيب اللغوية ، ولا يستطيع الشاعر تشكيل تجربته الشعرية بمنأى عن حالته النفسية ؛ فإن التعبير يتشكل بما يتلاءم مع طبيعة الإحساس الذي انبثق عنه ؛ لأن تَحَكُّمَ الرؤية الذاتية للشاعر (العامل النفسي) يُغَيِّرُ الترتيب المعتاد للكلام ، كما أنه « يُعْطِي الفرصة لأولِيات مختلفة في الترتيب تخضع للضغط النفسي ، ولحاجات مواجهة الموقف ، أكثر مِمَّا تخضع للتصوُّر المنطقي »[٥] .

ديوان ابن عمار :

وابن عمار له ديوان مطبوع طبعة واحدة ، وقد قام بجمعه وتحقيقه صلاح خالص [٦] ، وبدأه بدراسة وافية عن حياة الشاعر وعصره .

وقد جعل محمد حلمي البادي (شعر ابن عمار الأندلسي ؛ جمع وتحقيق ودراسة) ، موضوعًا لرسالة الماجستير التي أعَدَّهَا في كلية دار العلوم سنة ١٩٩٠م . وهو الديوان الذي اعتمدتُ عليه في هذا البحث [٧] .

وقد بذل جهدًا مشكورًا ، لا يُجْحَدُ ، في تحقيق الديوان ، وضبْط أبياته ، وترقيمها ، كما استدرك أبياتًا على مجموع صلاح خالص [٨] .

وأول ما يلفت الانتباه في ديوان ابن عمار أنه يتشكل من إحدى وثلاثين قصيدة ، وباقي الديوان مقطوعات شعرية وأبيات مفردة ، تستغرق خمسة وخمسين نصًّا .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

ويلاحظ على الديوان الذي جمعه محمد حلمي البادي أنه أدخل أبياتًا رويها
ل مع الأبيات التي رويها الباء [٩] ، كما كَرَّرَ ترقيم الصفحة رقم (٢٦٩) مرتين
وأسقط من الترقيم الصفحات (من ص ٢٤٣ إلى ص ٢٤٧) .
ولم يذكر أبياتًا وردت في مجموع صلاح خالص [١٠] .
وهناك بيت أورده محمد حلمي البادي منفردًا ، وهو :

[من الطويل]

١- وأَلْـفُ بَيْنَ الظَّبْيِ والذِّئْبِ عَدْلُهُ فَلا تَجْزَعِي إِنْ زَارَ رَبْعَكِ ذِيبُ (١١)

والصواب أن يُعَدَّ البيت الثاني عشر في القصيدة رقم (٣) ، وذلك كما ورد في
رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة) للشريف الغرناطي (ت ٧٦٠هـ)
مع اختلاف في ترتيب ألفاظ الشطر الأول ، فقد جاء على النحو التالي :

٧- وأَلْـفَ بَيْنَ الذِّئْبِ وَالظَّبْيِ عَدْلُهُ فَلا تَجْزَعِي إِنْ زَارَ رَبْعَكِ ذِيبُ (١٢)

وهناك أبيات وردت في الديوان على أنها لابن عمار ، وحقيقة الأمر أنها
لغيره من الشعراء ، ويبدو أنها راقته فاستشهد بها استحسانًا ؛ فَنُسِبَتْ إليه ، كما
نرى في القصيدة رقم (٥١) ؛ فالبيتان لصالح بن عبد القُدُّوس (ت ١٦٧ هـ)

وقد جانبه الصواب في تعيين البحر الخاصّ بالقصيدة رقم (٣٥) ، فقد
عَدَّها من مجزوء البسيط ، وهي من مُخَلَّع البسيط [١٤] .
وهناك بيت مدور ، ولم يَعُدُّه كذلك ، وهو قول ابن عمار [١٥] :

[من الكامل]

٢١- فَلَكِ الفَصَاحَةُ . أو لِسَيْفِكَ كُلَّمَا استَمْطَيْتَ مَتْنَي : مِنْبَرٍ وَجَوَادِ

والصواب :

[من الكامل]

٢١- فَلَكِ الفَصَاحَةُ ، أو لِسَيْفِكَ كُلَّمَا اسْـ ـتَمْطَيْتَ مَتْنَي : مِنْبَرٍ وَجَوَادِ

كما عَدَّ قِسْمًا من الأبيات مدورة وهي ليست كذلك ، مثل قول ابن
عمار [١٦] :[من المتقارب]

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

٩- وَدَارَتْ دِمَاؤُهُمْ كَالكُئُو سِ ، وَفَاحَتْ نُفُوسُهُمْ كَالزَّهَرْ

والصواب:

[من المتقارب]

٩- وَدَارَتْ دِمَاؤُهُمْ كَالكُئُوسِ وَفَاحَتْ نُفُوسُهُمْ كَالزَّهَرْ

وأيضًا قوله (١٧) :

[من المتقارب]

١- تَعَلَّقْتُهُ جَهْوَرِيَّ النِّجَا رِ ، حُلْوَ اللُّمَى ، جَوْهَرِيَّ الثَّنَايَا

والصواب :

[من المتقارب]

١- تَعَلَّقْتُهُ جَهْوَرِيَّ النِّجَارِ حُلْوَ اللُّمَى ، جَوْهَرِيَّ الثَّنَايَا

هذا فضلاً عن كثير من الأخطاء التي وردت في الديوان ، في ضبط بنية بعض الكلمات ، أو كتابة كلمات أُخْرَى .

أما الأبيات التي حصلت عليها زيادة على مجموع محمد حلمي البادي ، فكانت ستة أبيات ، وسأوردها تحت عنوان المستدرك على ديوان ابن عمار.

نشأة ابن عمار :

وُلِدَ أبو بكر محمد بن عَمَّار بن الحسين بن عَمَّار المَهْرِيّ سنة ٤٢٢هـ (١٠٣١م) (١٨) في قرية شَنْتَبُوس (١٩) ، جنوبي شِلْب (Silves) (٢٠) ، وهو ينحدر من أصول ريفية ، وأصل أسرته من قبيلة مَهْرَة (٢١) ، وهي قبيلة عربية (٢٢) ، تنتسب إلى قُضَاعَة .

وقد وُلِدَ في أسرة متواضعة للغاية ، لم يكن لها في الظهرر شأن ، وكان « خامل البيت ، ليس له ولا لأسلافه في الرياسة – في قديم الدهر ولا حديثه – حظ ، ولا ذكرَ فيهم بها أحد »(٢٣) .

سوحة صويا بـ CamScanner

CamScanner سوحه صويا بـ

Scanned with CamScanner

وأغلب الظن أنه أخذ يختلف منذ نعومة أظفاره إلى مدارس شَـنْتَبُوس ، ولمّا دراسته في تلك الفترة المبكرة من حياته لم تكن تختلف عمّا يتلقـاه أمثالـه من الصبيان من حفظ للقرآن ، والإلمام بمبادئ النحو واللغـة والأدب والأخبـار والأنساب والفقه ، على نحو ما يُصَوِّرُ ابن خلدون ذلك في مقدمته حيث يقول : « وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتّاب من حيث هو، وهذا هـو الـذي يراعونه في التعليم ، إلا أنه لَمّا كانَ القُرْآنُ أصلَ ذلك وأسّـه ، ومنبـعَ الـدين والعلوم ، جعلوه أصلاً في التعليم ، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط ، بل يخلطـون في تعليمهم للولدان روايةَ الشعر في الغالب ، والترسّل ، وأخذهم بقوانين العربية وحفظها ، وتجويد الخطّ والكتاب »[٢٤].

وقد وَرَدَ مدينةَ شِلْب طفلاً ؛ فنشأ بها ، وفيها تلقى دراسته على يد أبـي الحجاج يوسُف بن سُليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشَّنْتَمَرِيّ (ت٤٧٦هـ) ، وكان عالمًا بالعربية واللغة ومعاني الأشعار ، وصارت إليه الرحلة في زمانه [٢٥] .

ومن النادر أن نجد من أهل شِلْب مَنْ لا ينظم الـشعر، وأيّ فـلاح وراء محراثه يستطيع أن يرتجل الأبيات من الشعر فيما يشاء من الموضـوعات ، لقـد اشتهر أهل شلب كلّهم (عامتهم وخاصتهم) بقرض الشعر؛ فهم ينطقون بالـشعر عفوًا من غير قصد ؛ لأنهم فصحاء كأنهم نشأوا في البادية لا في الأمصار ؛ ممـا جعلهم مضرب المثل [٢٦].

وزكـّى ذلـك الرصـافي البلنسـي (ت ٥٧٢هـ) فـي قولـه :

[من البسيط]

١- وأرْضُ شِلْبٍ ومَا شِلْبٌ وإنْ وَلَدَتْ ... غِمارَ نَـاسٍ فَنَاسٌ غيـرُ أغمارِ

٢- عُرِفْنَ التَّحَاوُرَ مِـنْ تِلْقَاءِ أنْسَبِهِمْ ... كأنَّمَا نَشَـأُوا فِي غيـرِ أمْصَارِ

٣- يُقِلُّونَ بالقولِ موزُونًا ومَا قَصَدُوا ... كأنَّ ذَلِكَ مِنْهُـمْ عِنْدَ إضْمَارِ[٢٧]

ثم رحل إلى قُرْطُبَة [٢٨] ؛ فأكمل بها دراسته على جماعـة مـن شـيوخ العصر ، ومَهَرَ في صناعة الشعر ، ونظمه فتى ، واتخذه وسيلة للتكسُّب [٢٩] .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

ولا شك أنّ « أسلوب الحياة الذي يألفه الفرد منذ حداثته يكاد يبقى ملازمًا له طول حياته ، ويتمثل في مزاجه ، ووجهة نظره نحو نفسه ونحو العالم الذي يعيش فيه ، بل نحو الحياة نفسها ، وهو الذي يُحَدِّدُ آماله ومطامعه في الحياة ، ويجعله يسلك مسلكًا خاصًا في مقاومة المشكلات ، وبخاصة مشكلات الحياة الاجتماعية »(٣٠) .

لأن « الإنسان – فضلاً عن الفنان – كُلٌ لا يتجزأ ؛ فمهما اختلفت التجارب التي يَمُرُّ بها ؛ فإن القوة المُوَجِّهَة لها في منابع حسِّه واحدة »(٣١) .

ونعلم معاناة ابن عمّار في صغره للفقر جعلته يرفض هذا الواقع المرير ، ويتمرد عليه ، ويسعى إلى تغييره ؛ لإثبات ذاته في مواجهة المجتمع والحياة من حوله ؛ لذا اتجه إلى البحث عن مخرج يقيه من وطأة الحياة وقسوتها .

إنّ الحرمان الذي ذاق مرارته في طفولته وصباه وصدر شبابه طبعه على القسوة والعنف والجفاء ، وجعله – سواء بقصد أو دون قصد – يظلم الآخرين ؛ لأنه كان يفتقد الأمان والطُّمَأْنِينَةُ والاستقرار النفسي ؛ فاتجهت عواطفه كلها لحُبِّ نفسه ، وتحصيل الخير لها ، منصرفًا عن حُبِّ غيره ، فلا غرابة أن يمتلئ قلبه ببُغض الناس ، وسُوء الظن بهم ، والسُّخط على المجتمع ، والحقد على الأغنياء .

وكان لهذه النشأة أثرها الواضح ؛ فقد جعلته حادّ الطبع ، ضَيِّق الصدر ، سَرِيعًا إلى الهجاء ، حريصًا على أن يفرض نفسه على الناس والحياة ؛ فهو قويٌ مُتَسَلِّط ، مُعْتَدّ برأيه ، وكان طموحه أو طمعه هو المُحَرِّكُ الأول له ، لقد رأى أنه صاحب مواهب ؛ لذا فالأولى به أن يكون في مرتبة أعلى من تلك ؛ فزاده هذا سُخْطًا على الحياة وتبرُّمًا بها .

كما تركت أثرًا كبيرًا في تشكيل شخصيته ، وتكوين ذوقه ، وتوجيه سلوكه وأنماط تفكيره ، ومن ثَمَّ في إنتاجه الشعريّ ؛ فلكل شاعر بواعثه النفسية ، ونظرته ، وموقفه من الحياة .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

فقد كان يشعر بأنه غير متكيف مع نفسه ومع المجتمع الذي يعيش فيه ، وأخذ يعاني وطأة الصدام بين رغباته ومطالبه الذاتية من جهة ، وظروفه الاجتماعية المُحيطة له من جهة أخرى ؛ مما دفعه إلى اقتحام الحياة بالمغامرة ، والتماس المجد ، واندفع ليُعَوِّضَ [٣٢] هذا الشعور الذي يَثْقُلُ عليه ، وهو إحساسه بالعجز ، وشعوره بضعة أصله ، فاعتاض عن ذلك كله بالتسامي [٣٣] على ما يداخله من توتر ؛ لإثبات وجوده ، وتأكيد ذاته ، وتحقيق الظفر والتفوق في مجالات أخرى .

وقد أكدت الدراسات النفسية العلاقة بين الابداع الفني[٣٤] والتوتر النفسي[٣٥] ؛ ذلك أن العلاقة بين الابتكار والحرمان علاقة ارتباط إيجابي ؛ لأن « الجهد الفني – في تحويل الطاقة الحيوية من منطقة الغرائز إلى منطقة الفن – فيه توكيد للذات ، واستعاضة عمّا يصيبها من صدمة الفشل والحرمان »[٣٦] .

وقد نشأ فقيرًا مُعْدَمًا ، لا يجد ما يَسُدُّ حاجته من الطعام والشراب والملبس ، يُصارِعُ الأيام ، ويشتهي من لذّات الحياة ما لا يستطيع أن يَبْلُغَهُ ، وعَانَى ضنك العيش وبؤسه ، ومَنْ يألف مثل هذه الحياة ، لا بُدَّ أن يكون المال – وحدَهُ – محور تفكيره في هذه المرحلة ، ولا سيما عندما يُدْرِكُ أن الجاه والسيادة يحتاجان إلى سلطان المال ؛ فَوَجَّهَ هَمَّهُ لِجَمْعِ المَال .

ولأنه لم يكن بالرجل الذي يسمح لليأس أن يجد سبيلاً إلى نفسه ؛ فقد بادر إلى العمل الدءوب ، وكانت إرادة التفوق هي المُوَجِّهَة لسلوكه ، فقد جعلها مخرجًا ومُتَنَفَّسًا لما يَضيقُ به صدره من هموم .

وقد وجد في نظم الشعر تعويضًا عمّا يَشْعُرُ به من حرمان ، وسبيلاً للغنى ؛ ولهذا عزم على أن يصبح شاعرًا مُجيدًا ؛ فعكَفَ على اللغة العربية يُتْقِنُها ، وأقبل على أشعار القدماء ينهل منها ؛ كي يتمكن من ناصية اللغة .

ويَظْهَرُ فضل الشاعر على غيره من المكْبُوتِين [٣٧] بقدرته على الإبداع الفني . فإن الأخيلة والأوهام – لدى الشاعر المُبْدِع – تسعى إلى الظهور من خلال شعره ، وهو لا يملك أمام هذا الدافع القهري ، الذي ليس له أيّ سيطرة مباشرة

ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

عليه ، إلا أن يخضع له خضوعًا تامًّا ، وبذلك يتمكن من التعبير عن كبته بطريقة تُرْضِي المجتمع ، ويتحول الكبت إلى طاقة تُنَمِّي الذات ؛ فالفن تنفيس لرغبة مكبوتة ؛ لأنه « يحلّ لدى الفنان محلّ ما حُرِمَ منه في الواقع ؛ فالحرمان يُذْكِي الخيال ... إن فقدان التلاؤم والارتواء إزاء العالم الخارجي يُولِّدُ الانطوائية التي تجعل صاحبها يبني لنفسه عالمًا خاصًّا أغنى كثيرًا من الحياة الداخلية لكل إنسان »[٣٨] .

وعندما شعر بتفوقه في مجال الشعر أخذ يَفِدُ على الأغنياء ؛ ولهذا جال في مُدن الأندلس مُسْتَرْفِدًا ، لا يُبَالِي مِمَّنْ أَخَذ ، ولا مَنْ مدح مِنْ سيد أو سُوقَة [٣٩] ؛ فمَدَحَ كُلَّ من وصله ، مهما كانت مكانته ؛ فقد كان يُقَدِّمُ مَدْحَهُ لكل مَنْ يستطيع دفع الثمن ، ولا يمدح إلا من يلتمس فيه ثراءً وغنى .

وأكثر الأشخاص الذين قصد إليهم بمدحه وثنائه في هذا الطور خاملون ، نذكر منهم تاجر ثري تفضَّلَ عليه بفُتَات مائدته نظير ما نظمه فيه من شعر جميل [٤٠] .

لقد أوقعه الفقر المُدْقِعُ في صراعٍ نفسيّ ؛ جعله يتقلب بين الفخر بمواهبه ، والشعور بالضعف الذي يُفْقِدُ النفسَ توازنها ، ولم يكن يتردد في التكسب بشعره مظهرًا حاجته ؛ لأن رغبته في الثراء والتخلص من قيود الفقر ، كانت من أقوى الدوافع التي أذكت قريحة المدح عنده ؛ مما دفعه إلى الوقوف بأبواب الأغنياء ، وسؤالهم العطاء ، فقد كان في حاجةٍ ماسّة للاستقرار النفسي والاجتماعي ؛ لأنه كان في صدر شبابه شاعرًا خاملاً ، وخلال هذه الفترة من الزمن ، التي عاش فيها مُشَرِّدًا ، « امترى أخلافَ الحرمان ، وقاسى شدائدَ الزمان ، وبات بين الدُّكَّة والدكان ، واستحلس دِهْلِيزَ فُلان وأبي فُلان »[٤١] ، ومضى « يَذْرَع نواحي الأندلس في ملابس مستنكرة بعض الشيء ، وجعل يقول المدائح فيمن يمنحه العطاء ، ولم يَقْصِرْ هذه المدائح على الأمراء والرؤساء على ما جَرَتْ به عادة كار الشعراء إذ ذاك »[٤٢] .

ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

وقد استفاد من رحلاته ومغامراته خبرةً في معاملة الناس ، كما اتسعت ثقافته ، وزادت تجاربه في الحياة ؛ مِمَّا أصقل فكره ، ووَسَّعَ مداركه ، وجعله أكثر مرونة في مواجهة الآلام ، وأكثر تماسكًا إزاء مواقف الفراق . وفي هذه الرحلات تخلط بالناس على اختلاف طبقاتهم ، واختبر أخلاقهم ، وتَعَلَّمَ سعة الحيلة ، والاحتياط حين يتصل بالناس ، وألا يكشف عَمَّا في نفسه لأحد ، وأعانه على نجاح ما تَحَلَّى به من الوسامة ، والذكاء ، وحلاوة المنظوم ، وقوة العارضة .

وقد روى عبد الواحد المراكشي أن ابن عَمَّار « وَرَدَ في بعض سفراته شلب ، لا يملك إلا دابَّة لا يجد علفها ، فكتب بشعرٍ إلى رجل من وجوه أهل السوق ، فكان قدره عند ذلك الرجل أنْ ملأ له المخلاة شعيرًا ووَجَّهَ بها إليه ، فرآها من أجَلِّ الصلات وأسنى الجوائز»(٤٣) . وتجدر الإشارة إلى أنه كان يُخْفِي بين جنبيه احتقار تاجر شلب ، ولولا الضرورة ما مدحه ، ولا قصده ، ولا وَقَفَ ببابه .

وقد عاد إلى شِلْب مرة أخرى والتيا عليها في هذه المرة (٤٤) ، وعلى الرغم من مرور سنواتٍ طويلة لم ينسَ هذه القصة ؛ لأنها تركت أثرًا كبيرًا في نفسه ، ورَدَّ إلى التاجر المخلاة نفسها مملوءة دراهم ، وقال لرسوله إليه : قل له : « لو ملأتها بُرًّا لملأناها تِبْرًا »(٤٥) .

كما قصد في مُقْتَبَل شبابه أمراء البلدان للمدح ، من مثل : أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر(ت٥٠٧هـ) (٤٦) أمير مُرْسِيَة (Murcia) (٤٧) ، وكان « جَوَادًا مُمَدَّحًا ، ينتجعه الشعراء ويقصده الأدباء ، وقد انتجعه أيام خموله »(٤٨) ، وكان - في ذلك الوقت - رثَّ الهيئة ، « يُثِيرُ سُخْرِية البعض وشفقة الآخرين بعباءته الطويلة وقَلَنْسُوته الصغيرة »(٤٩) .

ولم تَطُلْ إقامته في مرسية ، وإنما مَرَّ بها ، ثم جاوزها وعَرَّج إلى إشبيلية (Sevilla) (٥٠) حيث بلاط المعتضد بن عباد (ت٤٦١هـ) (٥١) ، وكان للشعراء « في تلك الدولة يومٌ مخصوص ، لا يدخل فيه على الملك غيرهم ، وربما كان يوم الاثنين »(٥٢)

سوحة صويا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

ابن عمار في بلاط المعتضد :

وليس في ديوان ابن عمّار إلا ما قاله بعد أن بلغ العشرين من عمره، واجتازها قليلاً ، ولم يصل إلينا الشعر الذي نظمه قبل التقائه بالمعتضد ؛ فقد أحرق شعره المدحي الذي قاله في فقره بنفسه أيام غناه (٥٣) ؛ لأنه – كما يبدو – لم يكن على المستوى الذي يَرْضَى عنه ؛ وكي يمحو ذِكْرَى تلك الأيام القاسية التي كابد فيها مرارة الفقر وذُلّ الحرمان ، وقد نص ابن بسام (ت٥٤٢هـ) على ذلك في قوله عن قصد ابن عمّار تاجر ثري من أعيان شِلْب يطلب معروفه : « فاعتمده بأبيات عملها على سبيلٍ قد تنكّرتْ له وتنكّرَ لها »(٥٤) .

وقد لَمَسَ ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) أثر التفاوت في شعر الشاعر الواحد ، تبعًا للحالات النفسية التي يَمُرُّ بها ؛ ونظرًا لتفاوت قوة الحافز لديه ، ورأى أن تَفَوُّقَ الشاعر – أيّ شاعر – يقترن بمدى قوة الدافع النفسي الذي يَحُضُّه على قول الشعر ؛ فإن الشاعر المَادِح باستطاعته أن يَبْرُزَ بدافع الطمع ؛ لأن قوة أسباب الطمع من أقوى دواعي شعر المدح على وجه الخصوص (٥٥).

فهو راغبٌ حين يمدح ، يطمع في المال ، ويحرص على أن يَظْفَرَ به ؛ فليس غَرِيبًا أن يُجِيدَ ، وأن يبلغ من الإجادة حظًّا كبيرًا ؛ فقد دعاه هذا الدافع النفسي (الطمع) إلى التَّأنُّق وتجويد الصنعة . ولعل أبرز دوافع المديح الحُظْوَة لدى الممدوح ، والرغبة في عطاياه ، وهو ما يُسَمَّى التكسب بالشعر (٥٦).

ومما يُؤَيِّدُ ذلك أنه لَمَّا حالفه الحظّ ، وأصبح الوزير الأول للمعتمد بن عباد تَرَك التكسب بشعر المدح ، وقَصَرَ شعره على وصف أحاسيسه الذاتية ، ومراسلة أصدقائه من الوزراء والأمراء والكُتّاب ، ووصف مجالس الأنس ، والنسيب .

وكان ملوك الطوائف (٤٢٢هـ - ٤٨٤هـ) يتنافسون في جذب العلماء والأدباء ، ويبالغون في إكرامهم ، وإجزال العطاء لهم ، وأدّى ذلك إلى بعث الهمم ، واستنهاض القرائح ، والنهوض بالشعر . لقد كان « عصر ملوك الطوائف

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

عصرًا عرفتْ فيه إسبانيا- إسبانيا الإسلامية- أكبر إشراق شعري من غير شك » (٥٧).

ولا غرابة في أن يذهب إلى إشبيلية ؛ فقد كانت الحاضرة التي يُنْفَق فيها الشعر، وتُجْزَل لأصحابه فيها الهِبَات ، وقلَّمَا ترى « فيها ناثرًا غير ماهر ، ولا شاعرًا غير قاهر ، دَعَوا حُرَّ الكلام فلَبَّى ، وأرادوه فما تَأَبَّى » (٥٨) .

ولأنه كان طموحًا كبير الآمال ، ينشد المجد ، ويبغي حسن المنزلة وسعة العيش ، والمكانة والشهرة الأدبية ، فقد تصارعت في نفسه خواطر مضطربة ، ليس من اليسير تمييزها ، ولكنها – على كل حال – خواطر ثائر رافض ، يريد أن تتغير الظروف من حوله لمصلحته الخاصة ، لقد أحسَّ بتفوقه في بيئة متواضعة ، ومن ثَمَّ أصبح شعره تعويضًا عن هذا النقص ، وتنفيسًا عن الإحساس بالاضطهاد ؛ فالذات تُمْعِنُ في احتضان ذاتها كُلَّمَا أوغل الواقع في إحباط النزعات الفردية .

وليس إلى مآربه من وسيلة إلا مدح المعتضد ؛ فتوجه إليه بمدحه ، ويُمَجِّدُهُ ، ويُشيد بمآثره ، وفضله ، وقوته ، وانتصاراته في الحروب ؛ لينال بذلك الغُنْم الوفير الذي يُؤَمِّنُ له حياة كريمة ، وكان في ذلك الوقت في الثالثة والعشرين من عمره ، فقد أقبل عليه في غضون عام ٤٤٥هـ (١٠٥٣م) ، وكان المعتضد آنذاك في قمة مجده ؛ فقد انتصر انتصارًا ساحقًا على جاره المُظَفَّر بن الأفطس (ت ٤٦٠هـ) (٥٩) صاحب بَطَلْيَوْس(Badajos) (٦٠) ، وحاز بعض حصونه ، ثم اتجه صَوْبَ الأمراء الصغار من البربر بالغرب ، وأتيحَ له الظفر عليهم وضَمَّ أملاكهم (٦١) .

فقد استولى على لَبْلَة (Niebla) (٦٢) ، وجزيرة شَلْطِيش (Saltes) (٦٣) ، وشَنْتَمَرِيَّة الغرب (Santa Maria de Algarve) (٦٤) ، وكان في حاجة لشعراء يُخَلِّدُونَ مآثره ، ويَتَغَنَّونَ بأمجاده ، ويُؤَيِّدُون سياسته ؛ لأن من خَلَّتْ مملكته من الشعر والشعراء « شَنَّتْ مساعيه وإنْ كانت مشهورة ، ودَرَسَتْ على مُرُور الأيام وإنْ كانت جِسَامًا »(٦٥) .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

وأنشده ابن عَمّار الرائية [٦٦] ، وقد بدأها بوصف مجلس من مجالس الخمر وَسْطَ الطبيعة الغنّاء ، يقول :

من الكامل]

١- أدِرِ الزُّجَاجَةَ ؛ فَالنَّسِيمُ قَدِ انْبَرَى ... وَالنَّجْمُ قَدْ صَرَفَ العِنَانَ عَنِ السُّرَى

٢- وَالصُّبْحُ قَدْ أهْدَى لَنَا كَافُورَهُ ... لَمَّا اسْتَرَدَّ اللَّيلُ مِنَّا العَنْبَرَا

٣- وَالرَّوْضُ كَالحَسْنَا كَسَاهُ زَهْرُهُ ... وَشْيًا ، وَقَلَّدَهُ نَدَاهُ جَوْهَرَا

٤- أو كَالغُلامِ زَهَا بِوَرْدِ رِيَاضِهِ ... خَجَلاً ، وَتَاهَ بِآسِهِنَّ مُعَذَّرَا

٥- رَوْضٌ كَأَنَّ النَّهْرَ فِيهِ مِعْصَمٌ ... صَافٍ أَطَلَّ عَلَى رِدَاءٍ أَخْضَرَا

لا يطيب شربُ الخمر إلا في ظلِّ الطبيعة ؛ فإن رؤيتها تملأ النفس بهجة ؛ لذا يمتزج وصف الخمر بوصف الطبيعة في كثير من الأحيان ، فهم لا يشربون الخمر إلا في الرياض المُونِقة ، حيث الأنهار الجارية ، وظلال الأشجار ، والنسيم العليل .

ويطلب الشاعر من ساقي الخمر أن يطوف بالكئوس على مجلس الشُرب ؛ لأن النسيم الرقيق قد بدأ يَدُبُّ رويدًا على النُدَامى ، وتوقف نَجْمُ السماء عن السُرَى ، وشَمَلَ السكون الجلوس ؛ مِمَّا أغرى بالشراب في هدأة الليل .

وقد أسهم فعل الأمر (أدِر) في توضيح رؤية الشاعر ؛ ففي سبيله نحو المتعة واللذة يلجأ إلى فعل الأمر ، فيقول : (أدِرِ الزُّجَاجَةَ) .

ثم انتقل إلى وصف الطبيعة ، وعَدَّ ذلك إكمالاً لمجلس الخمر، فجعل الكئوس تُدَار في الحدائق ذات الأريج العَطِر ، وعندما انقضى الليل أطلَّ الصُّبْحُ على المجلس ، ناشرًا شذاه الزكية وروائحه العطرية .

وجعل الروضَ الجميل المزدان بالزهور امرأةً حسناء ، وشَبَّهَ الندى الذي يغمو الزهور بالجواهر التي تتحلى بها المرأة . كما شَبَّهَ النهرَ الصافي الذي يحيط بالروض الأخضر بالمعصم الأبيض لحسناء ترتدي رداءً أخضر .

وقد ربط – في مهارة – بين وصف الطبيعة ومَدْح – ولي عهد المعتضد حينئذٍ وقائد جيوشه – إسماعيل [٦٧] ، حيث جعل ريحُ الصَّبَا ذات النسائم الهادئة

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

الرقيقة تَهُزُّ هذا النهر فيحسبه الناظر سيف إسماعيل يُبِيدُ العدو ، يقول :

[من الكامل]

٦- وتَهُزُّهُ ريحُ الصَّبَا فتخالُهُ سَيفَ ابْنِ عَبَّادٍ يُبَدِّدُ عَسكَرَا

ولا بُدَّ أن تكون هناك روابط داخل القصيدة تحكم ربط الأجزاء بعضها ببعض كي ينتقل الشاعر من غرض إلى آخر دون أن يشعر القارئ ، وهذا ما يُعرَف بالتخلُّص أو الخُرُوج . ويَدُلُّ حُسْنُ التخلُّص على مهارة الشاعر ، ومقدرته على ربط الأغراض بعضها ببعض ؛ وبراعته في الانتقال غير المفاجئ [٦٨]، كما يُسْعِدُ الممدوح ، ويجعله يُجْزِلُ العطاء .

ثم وَلَجَ من ذلك إلى المدح المباشر للمعتضد قائلاً :

[من الكامل]

٧- الحَاجِبُ المَنْصُورُ سَيفُ الدَّولَةِ الـ ـمُعْـطِي.... مِنَ انحَبَـاءِ الأَكْبَـرَا

ولم يُمْنَحْ لقب الحاجب في عصر بني عباد إلا للأمراء من البيت المالك ؛ « لعظم اسم الحاجب في الدولة المَرْوانية ؛ وأنَّه كان نائبًا عن خليفتهم » [٦٩] .

ويستمر في المديح قائلاً :

[من الكامل]

٨- عِلْقُ الزَّمَانِ الأَخْطَرِ المُهْدِي لَـنَا مِنْ مَالِهِ العِلْقَ النَّفِيسَ الأَخْـطَـرَا

٩- مَلِكٌ إِذَا ازْدَحَـمَ المُلُـوكُ بِمَـوْرِدٍ وَنَحَاهُ ، لا يَـرِدُونَ حَـتَّى يَصْـدُرَا

١٠- أَنْدَى عَلَى الأَكْبَادِ مِـنْ قَطْرِ النَّدَى . وَأَلَذُّ فِي الأَجْفَانِ مِـنْ سِنَةِ الكَـرَى

١١- قَدَّاحُ زَنْدِ المَجْـدِ ، لا يَنْفَـكُّ مِنْ نَارِ الـوَغَـى إِلاَّ إِلَى نَـارِ القِـرَى

١٢- يَخْتَارُ إِذْ يَهَبُ الخَـرِيـدَةَ كَـاعِبًا وَالطِّرْفَ أَجْرَدَ ، وَالحُسَامَ مُجَوْهَرَا

١٣- أَيقَـنْـتُ أَنِّي مِـنْ ذَرَاهُ بِـجَنَّـةٍ لَمَّا سَقَانِي مِـنْ نَـدَاهُ الكَـوْثَـرَا

١٤- وَعَلِمْتُ -حَقًّا- أَنَّ رَوْضِيَ مُخْصِبٌ لَمَّا سَأَلْـتُ بِـهِ الغَمَامَ المُـمْطِـرَا

وصفه بالكرم ، وهو لا يخرج في مدحه هذا عن سُنَّة الشعراء من قبلـه ، ولكنه يُجيد انتقاء المعاني ، ويُحسن اختيار الألفاظ .

سوحه صويا بـ CamScanner

CamScanner سوحه صويا بـ

Scanned with CamScanner

كما وصف سطوته وشدة بطشه ؛ فهو يفوق نُظَرَائِه من الملـوك ؛ فـإذا قصد موردًا ، يطمع إليه الملوك ، لا يقدون على هذا المورد حتى يتركه ؛ لأنهم يخافون بطشه . إنه دائم الطلب لمعالي الأمور ، لا يترك نار الحروب إلا ليفيض بعطائه على العافين ؛ فَيَهَبُ الفتاةَ الكاعب ، والطِّرْفَ الأجرد ، والسيفَ المُجَوْهَر .

ويشير إلى أنه تَنَعَّمَ في كَنَفِه ، وحَظِيَ بالأمن والسلام ؛ حتى تيقن أنه في الجنة ، وممَّا زاد هذا الاعتقاد رسوخًا ما حباه به من خيرٍ وفير .

ثم يمدح إسماعيل بن المعتضد ، فينادي السائلين عن صفاته :

[من الكامل]

١٥- يا سائلي ، ما حِـمْصُ إلاَّ خـاتَمٌ أنصرتُ إسمـاعـيلَ فيه خِنْصرا

يقول : إن إشبيلية ما هي إلا خاتم ، وإسماعيل هو إصبع الخِنْـصَر الـذي يوضع الخاتم فيه ، يريد بذلك أن يؤكد سيطرته على جميع أمور الدولة .

ثم يعود إلى مدح المعتضد ؛ فيقول :

[من الكامل]

١٦- مَـنْ لا تُوازِنُهُ الجبـالُ إذا احتَبى مَنْ لا تُسابِقُهُ الـرِّيـاحُ إذا جـرى

يشير إلى قوته فهو يَفُوق الجبال قوةً ، كما يشيد بـسرعته ، فهـو - إذا جرى- يسبق الرياح العاتية ، وفي البيت مبالغة واضحة .

ويصف مهارته الحربية ؛ فيقول :

[من الكامل]

١٧- ماضٍ وصدرُ الرُّمْحِ يكْهِمُ ، والظُّبى تَنْبُو ، وأيدي الخيلِ تَعْثُرُ في البرى

١٨- لا شيءَ أقرأُ مِـنْ شِـفارِ حُسَـامِه إنْ كُنْتَ شَبَّهْتَ المَوَاكِـبَ أسْطُـرا

إنه يخترق القلوب ويصيبها عندما يعجز الرُّمْح عـن الـضرب ، وينبـو السيف ، وتَعْثُرُ الخيول ؛ فهو أقوى من الرماح والسيوف والخيول ، وحُسَامه حادّ يقتل بسرعة .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

CamScanner ممسوحة ضوئيا بـ

Scanned with CamScanner

ويصف مولكبه وجيشه ؛ فيقول :

[من الكامل]

١٩- قَادَ المَوَاكِبَ كَالكَوَاكِبِ فَوقَهُمْ ... مِنْ لأمِهِمْ مِثْلَ السَّحَابِ كَنَهْوَرَا

٢٠- مِنْ كُلِّ أبْيَضَ قَدْ تَقَلَّدَ أبْيَضًا ... عَضْبًا ، وَأسْمَرَ قَدْ تَقَلَّدَ أسْمَرَا

٢١- للهِ مُرْسِلَةً بِنَافَاقِ العِدَى ... بَرْقًا تَصَوَّبُ عَارِضًا مُثْعَنْجِرَا

إنه يقود الجيوش ، وجنوده كالكواكب ، وأسلحتهم مثل السحاب المتكاثف وينتظم في الجيش فوارس بيض يحملون سيوفًا قاطعة ، وفوارس سُمْر يحملون رماح .

ويعود إلى وصفه بالكرم ، خاصةً وقت الجدب والقحط ؛ فيقول :

[من الكامل]

٢٢- عَبَّادُ المُخْضَرُّ نَائِلُ كَفِّهِ ... وَالجَوُّ قَدْ لَبِسَ الرِّدَاءَ الأغْبَرَا

ويصفه بجمال الخَلْق وجمال الأخْلاق ؛ فهو كالروض جميلٌ في منظره لوجود الزهور والرياحين ، وجميل في مخبره ، يقول :

[من الكامل]

٢٣- مَلِكٌ يَرُوقُكَ خَلْقُهُ أو خُلْقُهُ ... كَالرَّوْضِ يَحْسُنُ مَنْظَرًا أو مَخْبَرَا

وهو يُقِيمُ الدينَ وشعائره ، وتشهد أعماله على إيمانه وتقواه ، يقول :

[من الكامل]

٢٤- أعْلِمْتُ بِالإيمَانِ حَتَّى شِمْتُهُ ... فَرَأيْتُهُ فِي بُرْدَتَيْهِ مُصَوَّرَا

ويعود مرة أخرى إلى وصف كرمه ، ولا غرابة في أن يُلِحَّ في مدحه بهذه الصفة ، يقول :

[من الكامل]

٢٥- وَجَهِلْتُ مَعْنَى الجُودِ حَتَّى زُرْتُهُ ... فَقَرَأتُهُ فِي رَاحَتَيْهِ مُفَسَّرَا

٢٦- فَاحَ الثَّرَى مُتَعَطِّرًا بِثَنَائِهِ ... حَتَّى حَسِبْنَا كُلَّ تُرْبٍ عَنْبَرَا

٢٧- وَتَزَوَّجَتْ بِالزَّهْرِ صُلْعُ هِضَابِهِ ... حَتَّى حَسِبْنَا كُلَّ هَضْبٍ قَيْصَرَا

٢٨- فَصَرَتْ يَدِي غُصْنَ الغِنَى مِنْ دَوْحِهِ ... وَجَنَتْ بِهِ رَوْضَ السُّرُورِ مُنَوَّرَا

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

يقول إنه لم يَعْرِفْ معنى الجُود ، وجَهلَ كُنْهَهُ ومَرَامَهُ ؛ حتى إذا ما سأل بكنف المعتضد ، وظَفِرَ بفضله وكرمه تَبَيَّنَ ماهية الجود ، وأدرك معناه ، وأصبح مفسِّرًا في راحتيه المبسوطتين بالعطاء ، ذلك العطاء الذي يفيض على كل الناس ولا يَخُصُّ قومًا دون قوم .

لقد فاحت رائحة طيبة من الثرى بمجرد ذكر محاسنه وفضائله ؛ لسكان حَسِبَ الناسُ كُلَّ ترابِ الأرضِ عنبرًا . وفي ذلك مبالغة واضحة للدلالة على انتشار فضائل الممدوح وسيرته العطرة وذيوعها بين الناس .

ويقول إنه عاجزٌ عن إيفائه حقِّهِ من الشكر ، إذ إن للممدوح نوعين من الصفات : أحدهما من قبيل اللين والآخر من قبيل الشدة ، الأول يضم الحديث عن الكرم والعطاء ، والآخر يضم الحديث عن الهيبة والبأس والإيقاع بالأعداء ؛ فهو يمنح عُفَاته الجُود ، وعِدَاهُ السيف ، يقول :

[من الكامل]

٢٩- حَسْبِي عَلَى الصُّنْعِ الذِي أولاهُ أنْ ... أسْعَى بِشُكْرٍ ، أو أمُوتَ فأعْذَرا

٣٠- يَا أيُّهَا المَلِكُ الذِي أصلُ المُنَى ... مِنْهُ بِوَجْهٍ مِثْلَ حَمْدِي أزْهَرا

٣١- السَّيفُ أفْصَحُ مِنْ زِيَادٍ خُطْبَةً ... فِي الحَرْبِ إنْ كَانَتْ يَمِينُكَ مِنْبَرا

٣٢- مَا زِلْتَ تُغْنِي مَنْ غَدَا لَكَ رَاجِيًا ... نَيلاً، وتُغْنِي مَنْ طَغَى وتَجَبَّرا

٣٣- حَتَّى حَلَلْتَ مِنَ الرِّيَاسَةِ مَحْجَرًا ... رَحْبًا ، وَضَمَّتْ مِنْكَ طَرْقًا أخْوَرا

وقد اتخذ المعتضد خُشُبًا في ساحة قصره عَلَّق عليها رءوس أعدائه الذين فَتَك بهم ، عوضًا عن الأشجار التي تكون في القصور ، وقال : في مِثْلِ هذا البستان فَلْيُتَنَزَّه ، وكان لا يتلذذ إلا برؤية هذا البستان ، ولا يطيب له شرب الخمر إلا فيه (٧٠) ، وقد أشار ابن عمَّار إلى ذلك في قوله :

[من الكامل]

٣٤ - أثْمَرْتَ رُمْحَكَ مِنْ رُءُوسِ كُمَاتِهِمْ ... لَمَّا رَأيْتَ الغُصْنَ يُشْبِهُ مُثْمِرَا

٣٥- وَصَبَغْتَ دِرْعَكَ مِنْ دِمَاءِ مُلُوكِهِمْ ... لَمَّا عَلِمْتَ الحُسْنَ يَلْبَسُ أحْمَرَا

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

وقد ملأت هيبته النواظر ، ولا يخفى أن الإلحاح على وصفه بصفات القسوة والشدة والعنف ، يكشف عن وقع هذه الصفات في نفس الشاعر ، فالرمح ، على سنانه هامة العدوّ المقتول ، غصنٌ مثمر !

ولمّا علِمَ أنّ الحُسْنَ أحمرُ [٧١] صَبَغَ دِرْعَهُ ، الذي يلبسه في المعارك ، بدماء أعدائه ، وفي ذلك دليل على سطوته وتمكّنه ممّن يتوعده بحيث لا يستطيع الإفلات منه .

وينتقل إلى وصف رحلته الشاقّة إلى الممدوح ، فقد امتطى صهوة جواد سريع ، وواصل السير في الصحراء ليالٍ طويلة ؛ حتى وصل إليه ، يقول :

[من الكامل]

٣٦- وإليكَ يا منصورُ قادتْ همّتي ... بزِمامِها جُرْدَ المَذاكي الضُّمَّرَا

٣٧- مَدَّتْ سَنابِكَها القَوادِحُ للصَّفا ... مِرْطًا على مَتْنِ الظَّلامِ مُعَصفَرَا

٣٨- يَجْعَلْنَ قِبْلَتَكَ النهيئةَ قِبلَةً ... ويَرِدْنَ ساحَتَكَ البَهِيَّةَ مَشْعَرَا

ثم يختم قصيدته بأن يُهْدِيها للمعتضد ، مشبهًا إيَّاها بروضةٍ غنّاء ، مُزَيَّنة بذكر الممدوح ، ومُعَطَّرة بنسيم ثنائه ، وقد هبت عليها نسائم الصِّبَا ، وحَنَّتْ عليها قطرات الطلّ حتى خرج نَورُها ؛ آملاً أن تنال قَبُول الممدوح ورضاه ، يقول :

[من الكامل]

٣٩- خُذْهَا إليكَ ، ورَوضُهَا لَكَ ناظِرٌ ... أسقَيتُهُ ماءَ النَّعيمِ فَنَوَّرَا

٤٠- نمَّقْتُهَا وشْيًا بِذِكْرِكَ مُذْهَبًا ... وفَتَقْتُهَا مِسكًا بِحَمْدِكَ أذْفَرَا

٤١- مَنْ ذا يُنَافحُني ، وذِكْرُكَ مَنْدَلٌ ... أورَدْتُهُ مِنْ نَارِ فِكْرِيَ مِجْمَرَا

٤٢- ولَئِنْ وَجَدْتَ نَسِيمَ حَمْدِيَ عَاطِرًا ... فَلَقَدْ وَجَدْتُ نَسِيمَ بِرِّكَ أعْطَرَا

٤٣- وهُنَاكَ عِيدُ النَّحْرِ لا زَالَتْ بِهِ ... حُرُمُ الأعَادِي كَي تَطُوفَ فَتَنْحَرَا

٤٤- وإليكَها كالرَّوضِ زَارَتْهُ الصَّبَا ... وحَنَا عَلَيهِ الطَّلُّ حَتَّى نَوَّرَا

ولا يخفى إلحاحه في طلب العطاء ، كما نرى في قوله : (بِرِّكَ ، حَنَا عليه الطَّلُّ حتى نَوَّرا) ؛ فهو ما مدح إلا لنيل العطاء ، وقد أفرغ جُهْدَهُ في إعداد هذه القصيدة ؛ لأنه كان حريصًا على نيل رضا المعتضد ، وتوالت أبياته تملأ نفسه

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
CamScanner ممسوحة ضوئيا بـ
Scanned with CamScanner

بما يَوَدُّ كل حاكم أن يسمعه ويوصف به ، وتُشْعِرُهُ بتساميه عن الآخرين ؛ فهو نسيج وَحْدِه .

وقد عارض بهذه القصيدة المتنبي (ت٣٥٤هـ) في قصيدته التي يمدح فيها ابن العميد (ت ٣٦٠هـ) ، ومطلعها :

[من الكامل]

١- بَادِ هَوَاكَ صَبَرْتَ أَم لَمْ تَصْبِرَا وَبُكَاكَ إِنْ لَمْ يَجْرِ دَمْعُكَ أو جَرَى[٧٢]

وما عارضه إلا ليُدَلِّلَ على تمكُّنه من اللغة ؛ ولتأكيد ذاته ، « وقد ذاعت معارضة ابن عَمَّار هذه ، وأصبحت هي نفسها نموذجًا للمعارضة » [٧٣] .

وافتخر ابن عَمَّار نفسه بهذه القصيدة ، وتَهَكَّمَ على ابن رزين (ت٤٩٦هـ) [٧٤] قائلاً : بأيِّ شيء عارضت قصيدتي :

[من الكامل]

١- أَدِرِ الزُّجَاجَةَ ؛ فَالنَّسِيمُ قَدِ انْبَرَى وَالنَّجْمُ قَدْ صَرَفَ العِنَانَ عَنِ السُّرَى

أبقولك في أوّل قصيدة :

[من الكامل]

١- أَشَمَمْتُ نَشْرَكِ أَمْ شَمَمْتُ العَنْبَرَا وَمَصَصْتُ رِيقَكِ أَمْ مَصَصْتُ السُّكَّرَا

حتى عدل به عن سبيلِ الطرب ، وكاد ينشق عليه جِلْدُهُ من الغضب [٧٥] .

وقد حَظِيَتْ القصيدة بإعجاب مؤرخي الأدب الأندلسي ؛ فأثنى ابن دحية (ت٦٣٣هـ) عليها بقوله : « إنها من غُرر القصائد ، ودُرر القلائد ، وكلُّ بَيت منها بيتُ قصيد ، وواسطَةُ سِلكٍ فَريد » [٧٦] . وابن سعيد (ت٦٨٥هـ) فقال : « لم أجد لأحدٍ من شُعَراء الأندلس قَصيدةً أَتَتْ فَرَائِدُها نَسَقًا لا يَكادُ سَمْعٌ ينبُو عن بَيتٍ منها غير هذه القَصيدة » [٧٧] ، كما عَدَّ بعض أبياتها من المُرَقِّصَات [٧٨] . وسماها المَقَّرِي (ت١٠٤١هـ) الرائية المشهورة [٧٩] .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

كما استحسن المعتضد القصيدة ، ووقع شعر ابن عَمّار من نفسه موقعًا حسنًا ، وكان يُطرَبُ للشعر ، ويُجيز عليه ؛ فأمر له بمالٍ وثياب ومَركَب ، وأجرى عليه رزقًا ثابتًا يعيش منه ، وسَجّلَ اسمه في ديوان الشعراء(٨٠) .

وبذلك صار من شعراء البلاط ، يمدح وينال الثواب ؛ لحدة خاطره ، وسرعة بديهته ، وقوة عارضته ، وقدرته على الارتجال ، وذكائه ، ورهافة حِسّه ، ودقة ملاحظته .

ويُصَوِّرُ شعر المدح المُثُل العُلْيَا للصفات الإنسانية ، ويرسم صورة مثالية للشخصية المتكاملة التي يجب أن يكون عليها الحاكم ، وقد يَصدُق الشعراء أو يكذبون في مدحهم ، ولكن لا بُدّ أن يَصدُقُوا « في تصوير المُثُل العليا فيما ينشئون من مدح وثناء ؛ لأن المادحين والممدوحين يذهبون وتَبْلَى أشخاصُهم ، ولكن المُثُل العليا التي يصدقون في تصويرها تبقى للناس ما بَقِيَ الناس » (٨١).

وشاعر البلاط « معروفٌ – أبدًا – برعاية السَّمْت والعُرف ، وإخفاء ما وراء الظواهر من حقائق نفسه وخوالج ضميره .... فليست الصفات ولا الأخلاق ولا الآراء التي يُثْنِي عليها هي التي تُمَثِّلُهُ في حقيقة نفسه » (٨٢) .

وهو يهدف إلى إثارة مشاعر الممدوح ، ونيل رضاه ؛ ليحصل على موفور العطاء ؛ فهو يمدح رغبةً في المال ؛ لذلك كان لزامًا عليه أن يُخرِجَ قصيدة تُصغِي إليها الأسماع ، وتَهِشُّ لها النفوس ؛ ولهذا « يحمل إلى كل سوق ما يَنْفُقُ فيها ، ويخاطب كل إنسان من حيث هو ، ويأتي إليه من جهة فهمه » (٨٣) .

وقد تَمَرَّسَتْ نفسُ ابن عَمّار بهذا الفن (المدح) ، ولم يكن له بُدٌّ من أن يسلك هذا المسلك متجاهلاً خفايا تلك النفس التي ما فتئت تَتُوق إلى العُلا والمجد ؛ فلم يكن هَمُّه أن يكون شاعر بلاط فحسب ، ولكنه كان يطمع في أن يتولى أخطر المناصب في هذا البلاط .

وقد نظم عدة قصائد في مَدْح المعتضد (٨٤) ، وذِكْر مآثره ، وتَمْجِيد بطولته وكرمه وشجاعته ، والإشادة بانتصاراته ، وهجاء أعدائه ..

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

و عالى في تحويله [٨٥] ؛ بتأثير دافع داخلي ذاتي ؛ لأنه كان يشعر أن المعلم
بر وكه هذا الخضوع ؛ فهو بذلك يتقي غضبه ويأمن شره ؛ لأنه - في قراءة هذه
يخشى بأسه وسطوته .

وقد اضطر إلى أن يكظم عواطف البُغض ، ويحمل نفسه حملاً على هذ
؛ لأن أمله كان معقودًا على نجاحه في هذا المدح ؛ حتى يكشف عن مواهب
ويظفر بما يأملُ من منصب أو مال . إن طموحه إلى الغنى دفعه إلى مدحه ، وهو
يعرف - جيدًا - من أين ينفذ إلى النفوس ؛ لذا استطاع أن يُوفِّق بين التعبير بشكل
عن خلجات النفس ووصف ما يحيط به من مناظر وأحداث ، والتوصّل بالشعر إلى
المال ، ولا غرابة في ذلك ؛ لأن « الشعر تعبير مركب يختلط فيه الجانب العلمي
مع الجانب الفني » [٨٦].

وهناك قصيدة قالها في مدح المعتضد [٨٧] ، وقد بدأت بالغزل على عادة
شعراء العرب القُدَامى ؛ لأنه يُهَيِّئُ للغرض الذي يقصد إليه الشاعر ؛ « لما فيه من
عَطْف القلوب ، واستدعاء القَبُول بحسب ما في الطباع مِنْ حُبِّ الغزل ، والميل
إلى اللهو والنساء ، وإنَّ في ذلك استدراج إلى ما بعده » [٨٨] ؛ فشعر الغزل محبّب
إلى النفس ، يُؤَثِّرُ فيها ، ويُثِيرُ انتباهها إلى ما يأتي من معانٍ ؛ فقد « جعل الله في
تركيب العباد من محبة الغَزَل وإلف النساء ، فليس يكاد أحدٌ يخلو من أن يكون
متعلقًا منه بسببٍ ، وضاربًا فيه بسهمٍ ، حلالٍ أو حرامٍ » [٨٩].

وقد بلغت المقدمة الغزلية تسعة أبيات ، يقول

[من الطويل]

١- لَشَاقَكَ بَرْقٌ ، أمْ جَفَاكَ حَبِيبُ ... فَلَيْلُكَ فَضْفَاضُ الرِّدَاءِ رَحِيبُ
٢- إلَى اللهِ أشْكُو أنَّ مَا لَكَ فِي دَمِي ... شَرِيكٌ ، وَمَا لِي فِي هَوَاكَ نَصِيبُ
٣- أتَذْرِينَ مَنْ كَلَّفْتِ عَيْنَيْكِ قَتْلَهُ ... وَقُلْتِ : فَتًى لا يَسْتَفِيدُ غَرِيبُ
٤- سَتَنْصُرُهُ- مِنْ مَهْرَةَ- الخَيْلُ تَرْتَمِي ... بِأعْلامِ نَصْرٍ فِي الوَغَى وَتَؤُوبُ
٥- تَسَامَوْا بِلَخْمٍ ؛ فَاسْتَهَلَّتْ سَمَاؤُهُمْ ... بِغَيْمَتَيْنِ مِنْهَا : ذَلِيلٌ وَمُذْنِبُ
٦- بُدُورٌ ، وَلَكِنَّ السَّمَاءَ مَحَارِبٌ ... وَأُسْدٌ ، وَلَكِنَّ العَرِينَ خَرُوبُ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

بدأت القصيدة بأسلوب الاستفهام الذي يُثِيرُ الانتباه ، ويدعو إلى ترقُّب الجواب ، وهذا الاستفهام نفسه يحمل معنى الحيرة ، حيرة الشاعر من أمره ، فهو يتساءل : ما الذي أثار شوقه للمحبوبة ، لقد جفاه النوم ، وطال لَيْلُهُ واتَّسَعَ ، وهو يبحث عن علَّة ذلك ، هل أثارت رؤية البرق أحزانه وأشواقه ، وحَرَّكَتْ شجونه ؛ فتَذَكَّرَ محبوبته ؛ فامتنعت عينه عن النوم ، أم أن جفاء المحبوبة سَبَب هذا الأرق والسهر الطويل .

ويلجأ إلى الشكوى والتضرع إلى الله (ﷻ) راجيًا قربها ؛ فهو لا يفكر إلا فيها ، وصورتها نُصْبَ عينيه طَوَالَ اليوم . ويسأل محبوبته مستنكرًا : أليس من الظُّلْم أن تَأمُرِي عينيك بقتلي ؛ لأني فتى غريب ، لقد جَهِلَتْ نَفْسُكِ قَدْرِي العالي ، ولم تعلمي أصلي وقبيلتي .

ثم يقول :

[من الطويل]

٧- مَزَحْتُ فَتَاتِي- يَا ابْنَةَ القَيلِ- لَمْ أَكُنْ ... لأُفْشِيَ سِرًّا ضُمِّنَتْهُ قُلُوبُ

٨- سَأُشْهِدُ قَومِي أنَّ طَرْفَكِ مِنْ دَمِي ... بَرِيءٌ ، وَإِنْ كَانَ الفُتُورُ يَرِيبُ

٩- لَئِنْ كَانَ ذَنْبِي لِلزَّمَانِ مَحَبَّتِي ... فَذَلِكَ شَيءٌ لَسْتُ مِنْهُ أَتُوبُ

ثم أكَّدَ لها – وهي ابنة الملوك – أنه يستحيل أن يفشي سرها ، وسَيُشْهِدُ قومَه أن عينيها بريئة من دمه ، ولكنه – مع ذلك – لا يستطيع أن يُنْكِرَ أن فُتُورَ عينيها يثير الشك ، ويُضْفِي على عينيها جمالاً زائدًا ، لا يَمْلِكُ المَرْءُ دَفْعَهُ ؛ لِذا أَبَى لَحْظُ عَينَيهِ أن يُفَارِقَ وَجْهَهَا ، كما أثْبَتَ الرَّامِي على الغَرَضِ النَّبْلا . ويُقَرِّرُ أنه لن يتوقف عن حُبِّهَا ؛ فذلك هو الذنب الذي لن يتوبَ عنه .

ثم انتقل إلى مدح المعتضد في ثلاثة أبيات في نهاية القصيدة ، يقول :

[من الطويل]

١٠- وكَيفَ أرَى فِي الغَدْرِ نَهْجًا لِسَالِك ... وَعَهْدِيَ بِالمَلْكِ الوَفِيِّ قَرِيبُ

١١- فَتًى نَسَخَ الغَدْرَ اقْتِضَاءُ وَفَائِه ... فَلا تَحْكُمِي أنَّ الوَفَاءَ غَرِيبُ

١٢- أغَرُّ ، يُبِيرُ المُلْكَ مِنْهُ بِكَوكَبٍ ... لَهُ فِي سَمَاءِ المُشْكِلاتِ ثُقُوبُ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

إنه لن يَغْدِرَ بالمحبوبة ؛ لأنه متصف - دومًا - بالوفـاء ؛ فهـذا طبعـه الأصيل ، وكيف يَغْدِرُ المُحِبُّ بحبيبته ، والحُبُّ يقوم على الوفاء ، ثم نثبت لها أن لن يَغْدِرَ بمؤكِّد آخر ، وهو أنه تَعَلَّمَ هذا الوفاء من ملكه الوفيّ المعتضد ، الذي يصفه بحِدَّة الذكاء ؛ ولأجل ذلك يحلّ كل المُعْضِلات بحدارة فائقة .

ونستشعر مدى خوفه من بطش المعتضد وغدره ؛ ولا بُدَّ أن يكون لهذا الإحساس دورٌ بارزٌ في أدائه الفني ، ويتجلى ذلك في إلحاحه على صفتي : الغدر والوفاء دون غيرهما من الصفات ؛ كي يثير فينا من المعاني والدلالات الإيحائية ما يُدَعِّمُ هذا الإحساس ، ويزيده رسوخًا في النفس ، وكأنَّهُ عندما رأى الظُّلْم واقعًا على غيره ، تَأَذَّى وتَرَقَّب وقوعه عليه .

وقد أجاد وصف مجالس اللهو والأنس ، يقول مخاطبًا المعتضد وقد بـرأ من عِلَّة :

[من الكامل]

١- الكَـأسُ ظَـامِئَةٌ إِلَى يُمْنَاكَـا ... وَالرَّوْضُ مُـرتَـاحٌ إِلَى لُقْيَاكَا

٢- وَالدَّهْرُ جَارٍ فِي عِنَانِكَ، لَمْ تَقُلْ ... هَاتِ المُـنَى إِلاَّ أَجَابَ هَـاكَا

٣- فَادِرْ بِآفَاقِ الزُّجَاجِ كَـوَاكِـبًا ... تَخِذَتْ أَكُـفُّ سُقَـاتِهَا أَفْـلاَكَا

٤- رَاحًا إِذَا هَبَّ النَّسِيمُ حَسِبْتَهَـا ... مَـسْـرُوقَةَ الأَنْفَاسِ مِـنْ رِيَّاكَا

٥- فِي مَجْلِسٍ بَسَطَ الرَّبِيعُ بِسَاطَهُ ... زَهْرًا ، وَرَقْرَقَهُ عَلَيْـكَ أَرَاكَـا

(٩٠)

تشتاقُ الكأسُ إلى يدك الكريمة ، كما يشتاق الروض إلى لُقْيَاك ، ويجري الدهر طَوع إرادتك ، وينفذ كل أوامره طواعيةً ، فبمجرد أن تقـول لـه : هـاتِ الأماني ، يجيب سريعًا : ها هي . وما المُنَى إلا احتساء الخمر ، التي تُبْهِجُ أكثـر عندما يَهُبُّ النسيم ، وعندئذٍ تحسب رائحتها منبعثة من رائحتـك الجميلـة ؛ فـي مجلسٍ تَحُفُّه الزهور ، ويتمايل فيه شجرُ الأراك مزْهُوًّا .

ويقول في ختام قصيدة في مدح المعتـضد :

[من المتقارب]

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

١٢- تَمَتَّعْ فَقَدْ سَاعَدَتْكَ الحَيَاةُ بِرِيحِ الحَدِيقَةِ غِبَّ المَطَرْ (٩١)

يدعو إلى اغتنام اللذات ، وشرب الخمر ، والاستمتاع بالحياة ، وتحرّض على انتهاز الفرصة للمتعة ، وإلا ضاعت إلى غير رجعة ؛ لأن لحظات الصفو والهناء قلّما يجودُ بها الزمان .

وقد اضطربت الحياة السياسية في ظل ملوك الطوائف ؛ لقد كانت الأندلس تعيش أوضاعًا مؤسفة ، حيث تتلقى هجمات نصرانية شرسة تطيح بالمدن ، الواحدة تلو الأخرى ؛ بسبب انقسامها إلى إمارات وطوائف متنازعة ، يغزو بعضهم بعضًا ، ويطمع كُلٌّ فيما في يد صاحبه ؛ مما جعلها فريسة لأعدائها من مسيحي الشمال ، « إن الشارة الغالبة على عصر ملوك الطوائف هي الانهيار » (٩٢).

لقد « جعل اللّه بين أولئك الأمراء – ملوك الطوائف – من التحاسُد والتنافس والغيرة ، ما لم يجعله بين الضرائر المترفات ، والعشائر المتغايرات ؛ فلم تتصل لهم في الله يدٌ ، ولا نشأ على التعاضد عزمٌ ، ولا توجُّه إلى الاستكثار قصدٌ » (٩٣).

ولأجل هذا كانت الحياة السياسية التي عاش ابن عَمّار في ظلها صراعات لا تكاد تنتهي حتى تبدأ ، سواء على المستوى الداخلي بين الملوك والأمراء ، أو المستوى الخارجي مع الممالك المسيحية ، ولا يخفى أن حالة الحرب ، التي كان يعيشها عصره في الداخل والخارج ، انعكست على نفسيته وشعره .

ومن غريب أخبار المعتضد أنه « نَالَ بُغْيَتَه وأهلك تلك الأُمَم العَاتِية ، وإنه لغائب عن مشاهدتها ، مُتَرَفِّعٌ عن مكابدتها ، مُدَبِّر فوق أريكته ، مُنَفِّذ لحيلها من جوف قصره ، ما إن مشى إلى عدو أو مغلوب من أقتاله غيرَ مَرَّةٍ أو اثنتين ، ثُمَّ لَزِمَ عرِيسته يُدَبِّرُ داخلها أموره » (٩٤) ، وقد نشأ المعتمد (٩٥) تحت سطوة هذا الوالد ؛ إذ « ما انفكَّ يديرُ عليه الرَّحَى ، ويقرع إليه كلما قَرَعَتْ عصًا عصًا » (٩٦).

ابن عمار في صحبة المعتمد :

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
CamScanner ممسوحة ضوئيا بـ
Scanned with CamScanner

وفي إشبيلية في بلاط المعتضد تَعَرَّفَ المعتمد على ابن عَمّار [٩٧] ، الذي يكبره بنحو تسع سنوات [٩٨] ، وكان شابًّا جميل الطلعة ، قويّ الجسم .

وعندما انتصر المعتمد على محمد بن عبد الله البَرْزَالي [٩٩] وباديس بن حَبُّوس (ت ٤٦٥هـ) [١٠٠] بقَرْمُونة (Garmona) [١٠١] ، انفعل ابن عَمّار بهذه الحادثة ، وقال قصيدة تبدأ بالمدح مباشرة [١٠٢]، و« أحسن ما تبدأ به وصفُ ما يكون في الحال مِمَّا له إلى غرض القول انتساب شديد ... كافتتاح مدح مَنْ ظفر بأعدائه بوصف ذلك وتهنئته به ، ثم يَتْبَع ذلك بذكر فضائل الممدوح ونشر محامده ، ويستمر في الأغراض التي تعنّ على الأنحاء التي لا يوجد للكلام معها اضطراب ولا تنافر» [١٠٣] .

يقول :

[من الطويل]

١- أَلا لِلمَعَالِي مَـا تُعِيدُ وَمَا تُبْـدِي ... وَفِي اللهِ مَـا يُخْفِيـهِ عَنَّا وَمَا يُبْدِي

٢- نَوَالٌ كَمَا اخْضَرَّ العِذَارُ ، وَفَتْكَةٌ ... كَمَا خَجِلَتْ مِنْ دُونِهِ صَفْـحَةُ الخَدِّ

٣- جَنَيتَ ثِمَارَ النَّصرِ طَيِّبَـةَ الجَنَى ... ولا شَجَـرٌ غَيرُ المُثَـقَّـفَةِ المُـلْدِ

٤- وَقَلَّدتَ أَجْيَادَ الـرُّبَى رَائِقَ الحُلَى ... وَلا دُرَرٌ غَيرُ المُطَهَّـمَـةِ الجُـرْدِ

يُهَنِّئُ المعتمد بالنصر المبين ، ويصفه بأنه عطاءٌ جميلٌ خَالٍ من المنّ مثلما اخضرَّ العِذَار، وفتكةٌ جمراءُ مثلما خجلت صفحة الخدِّ ، وجعل للنصر ثِمَارًا تُجْنَى ، وهي طَيِّبَةُ الجَنَى ، ولا شجرٌ يحملها غير الرِّمَاحِ اللَّيِّنة .

ثم ينتقل إلى وصف جنوده الشجعان قائلاً : [

من الطويل]

٥- بِكُلِّ فَتًى عَارِي الأَشَـاجِـعِ لابِسٍ ... إِلَى غَمَرَاتِ المَوتِ مُحْكَـمَةَ السَّرْدِ

٦- يَكُرُّ فَكَمْ طَعْنٍ كَسَـامِعَـةِ الفَـرَا ... يُضَافُ إِلَى ضَرْبٍ كَحَاشِـيَةِ البُرْدِ

٧- نُجُومُ سَمَاءِ الحَرْبِ إِنْ يَدْجُ لَيلُهَـا ... يَـدُورُ بِهِمْ أَقْـوَاجُهَا فَلَكُ السَّـعْدِ

٨- خَمِيسٌ تَرَدَّى مِـنْ نَبِيكَ بِمُـرْهَفٍ ... حَكَاكَ كَمَا قَـدَّ الشِّـرَاكُ مِنَ الجِلْدِ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

يُسَاعِدُهُ جُنُودٌ فتيان مستعدونَ للحرب ، يرتدون أسلحةً كاملة ، ويهجمون على العدو ببسالة ؛ فَنَرَى طَعْنًا شديدًا ، وضَرْبًا نافذًا ، وعلى الرغم من هول المعركة ؛ فإن المعتمد خبيرٌ أمام هذه المواقف الصعبة ؛ يصاحبه النصر دائمًا ، وبانتصاره على البربر، سَيَعُمّ الخير والأمان في المنطقة .

ثم يمدح المعتمد بالشجاعة ، يقول :

من الطويل]

٩- بِبَـدْرٍ ، ولَكِنْ مِنْ مَطَـالِعِهِ الـوَغَى ... ولَيْثٍ ، ولَكِنْ مِـنْ بَرَاثِنِهِ الهِـنْدِي

١٠- فَتًى ثَقِفٌ ، بَيْنَ الجَمَـائِلِ مُـقْـدِمٌ ... جَنَى المَوتِ مِنْ كَفَّيهِ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ

١١- سَقَيْـتَ بِهِ دِينًا عُفَـاتُـكَ مُخْصِبًا ... فَأَجْنَاكَ مِنْ رَوضِ النَّدَى زَهْرَ الحَمْدِ

وقد شَبَّهَهُ ببدر النجوم ؛ ليدلل على تفرُّدِهِ بين الأقران ، كما وصفه بالقوة والشجاعة ؛ فهو ليثٌ ، ومخالبه سيوف الهند ، إنه فتى سديد الرأي ، يتقدم صفوف المحاربين ، لا يَهَابُ الموت ، وأكبر غنيمة عنده هي النصر على العدو ، وفوق ذلك فهو كريم ، يغمر السائلينَ بعطائِهِ المُستَوجِبِ للحمد .

ويستفيض في وصفه بالشجاعة قائلاً :

من الطويل]

١٢- وَجَدْتَـهُ نَحْـوَ المُلُـوكِ مُـحَـارِبًا ... فَـوَافَاكَ يَقْتَـادُ المُلُـوكَ مِـنَ الجُنْدِ

١٣- وَرُبَّ ظَلامٍ سَـارَ فِيهِ إِلَـى العِـدَى ... وَلا نَجْمُ إِلا مَـا تَطَلَّعَ مِـنْ غِـمْـدِ

١٤- أَطَلَّ عَلَى قَـرْمُـونَـةٍ مُـتَبَـلِّجًـا ... مَعَ الصُّبْحِ حَتَّى قِيلَ : كَانَا عَلَى وَعْدِ

١٥- فَأَرْمَلَهَـا بِـالسَّيْفِ ، ثُمَّ أَعَـارَهَـا ... مِنَ النَّارِ أَثْـوَابَ الحِدَادِ عَلَى الفَـقْدِ

١٦- فَيَا حُسْنَ ذَاكَ السَّيْفِ فِي رَاحَةِ النَّدَى ... وَيَا بَـرْدَ تِلْكَ النَّارِ فِـي كَبِـدِ المَجْدِ

وهو يُحَارِبُ المُلُوكَ ، ويَبُزُّهم جميعًا ، وكثيرًا ما سار في الظلام إلى الأعداء ، وكان النَّجْمُ المُضِيءُ في الليل البهيم هو بريقُ السيف . وقد أشرف على قرمونة مُقْتَحِمًا مع بزوغ الصبح ؛ حتى كأنهما على ميعاد ، وبعد أن استولى عليها ، وصارت في قبضة يده ، اندلع فيها حريق فصار نساؤها الأرامل يلبسون ثيابًا منسوجة من النار حدادًا على فقد ذويهم .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

ويستمر في المدح ، مُشيرًا إلى العدوّ بشماتة واستهزاء ، يقول :

[من الطويل]

١٧- لَـكَ اللهُ إنْ كَـانَتْ عُـدَاتُكَ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ ، فَكُلٌ مِنْـهُمْ جَمِيعًـا إلى فَرْدِ

١٨- يَهُودًا وكَانَتْ بَرْبَرًا ؛ فَانْتَضِ الظُّبَـى وَأَنْـبِـئْهُـمُ مِـنْهَـا بِـأَلْسِنَةٍ لُـدِ

ويَمُدُّكَ اللهُ بالعون لأن عُدَاتُكَ - من بربر اليهود - بعضُهَا يُناصِرُ بَعْضًا ، وعليك أن تكلهم جميعًا إلى فَرْدٍ شُجَاع ، وتُخْبِرَهُمْ بقوتك بِلِسَانِ أسلحتك النافذة .

ويسترسل في وصف المعركة ، يقول :

]

من الطويل]

١٩- أَقُولُ -وَقَدْ نَادَى ابْنُ إِسْحَـاقَ قَـومَهُ لأَرْضِكَ يَـزْتَـادُ المَنِيَّةَ مِـنْ بَعْـدِ

٢٠- لَقَدْ سَلَكَتْ نَهْـجَ السَّبِيلِ إِلَى الـرَّدَى ظِبَاءٌ دَنَتْ مِنْ غَـابَةِ الأَسَـدِ الوَرْدِ

٢١- كَأَنِّي بِبَادِيـسٍ ، وَقَـدْ حَـطَّ رَحْلَهُ إِلَى الفَرَسِ الطَّاوِي عَنِ الفَرَسِ النَّهْدِ

٢٢- إِلَى الفَرَسِ الجَـارِي بِهِ طَلَقُ الرَّدَى سَـرِيعًا غَـنِيًّا عَـنْ لِجَامٍ وَعَنْ لِبْدِ

٢٣- يَحِـنُّ إِلَى غَرْنَاطَةٍ فَـوقَ مَـتْنِـهِ كَمَا حَنَّ مَقْصُوصُ الجَنَاحِ إِلَى الوَرْدِ

وعندما نادى ابن إسحاق البَرْزَالي ، صاحب قرمونـة ، قومـه لأرضـك يَطْلُبُ الموت ، قُلْتُ : لقد سَلَكَتْ ظِبَاءٌ قَرُبَتْ من غابة الأُسُود طريـقَ المـوت ، وكأني أرى باديس وقد حَطَّ رِحَالَهُ إلى المعركة ؛ فلـم يجـدْ أمامـه إلا الجنـود المحاربين .

ويدعوه إلى شرب الخمر فرحًا بالانتصار ، يقول :

[من الطويل]

٢٤- ظَفِرْتَ بِهِمْ فَارْتَحْ ، وَأَومِضْ كُئُوسَهَا بُرُوقًا لَهَا مِـنْ عَودِهَا ضَجَّةُ الرَّعْدِ

٢٥- مُعَتَّقَةٌ ، أَهْـدَتْ إِلَـى الوَرْدِ لَـونَهَا وَجَـادَتْ بِرَيَّاهَا عَلَى العَنْبَرِ الـوَرْدِ

ويذكر حُبَّهُ للجهاد ، ومسارعته بالعطاء ، يقول :

[من الطويل]

٢٦- فَأَكْثِرْ مَا يُلْهِيكَ عَنْ كَأْسِهَا الـوَغَى وَعَنْ نَغَمَاتِ العُـودِ نَغْمَةُ مُسْتَجْدِي

ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

٢٧- وما المِلْكُ إلاَّ حِلْيَةٌ بكَ حُسِّنَتْ ... وَإلاَّ فَمَا فَضْلُ السِّوَارِ بِلا زَنْدِ

٢٨- ولا عَجَبٌ إنْ لَمْ يَبِنْ بكَ مَارِقٌ ... فَلَيسَ جَمَالُ الشَّمْسِ في الأَعْيُنِ الرُّمْدِ

إنه ينتشي لخوض غمار المعارك ، الذي يجلب له مُتْعَةً أكبر من شرب الخمر ، كما يطرب لصوت السائل أكثر من طربه عند سماع نغمات عازف العود ، ويَقْصِرُ المُلْكَ على كونه زينة ، لا يظهر جمالها إلا به ، ويُدَلِّلُ على ذلك بأن السِّوَار لا يظهر جماله وقيمته إلا في يَدٍ حسناء ، ويطلب منه ألا يتعجب إن لم يَنْخَدِعْ في حِمَاهُ مارقٌ ؛ فإن جمالَ الشمس الساطع لا تراه العُيُون الرُّمْد .

ويعود – من جديد – لِتَهْنِئته بهذا الفتح العظيم ، يقول :

[من الطويل]

٢٩- فَتِينًا بِبِكْرٍ فِي الفُتُوحِ نَكَحْتَهَا ... وَمَا قَبَضَتْ غَيْرَ المَنِيَّةِ فِي النَّقْدِ

٣٠- تَحَلَّتْ مِنَ السَّيْفِ الخَضِيبِ بِصَفْحَةٍ ... وَقَامَتْ مِنَ الرُّمْحِ الطَّوِيلِ عَلَى قَدِّ

جَعَلَ المعركةَ فتاةً بِكْرٍ تزوجها ، وكان مَهْرَهَا موتُ العدو ، وقد تَزَيَّنَتْ بصفحة السيفِ المُخَضَّب بالدماء ، وقامت – وهي طويلة القد – كالرمح الطويل .

ثم يُهْدِي له القصيدة ، يقول :

[من الطويل]

٣١- وَدُونَكَهَا مِنْ نَسْجِ فِكْرِيَ حُلَّةً ... مُطَرَّزَةَ العِطْفَيْنِ بِالشُّكْرِ وَالحَمْدِ

٣٢- أَلَذُّ مِنَ الماءِ القَرَاحِ عَلَى الصَّدَى ... وَأَطْيَبُ مِنْ وَصْلِ الهَوَى عَقِبَ الصَّدِّ

يفتخر بقصيدته ويُشِيدُ بأثرها ؛ فقد نَسَجَهَا من أفكاره حُلَّة مُطَرَّزَة الجانبين بالشكر والحمد ، ألذّ من الماء الصافي العذب وقت العطش الشديد ، وأطيب من وَصْلِ المحبوبة بَعْدَ طولِ هجرها .

وجعل فخره بشعره سبيلاً لإيجاب حقِّه على الممدوح ؛ فختم قصيدته بطلب العطاء ، وحرص على أن يثير انفعال الممدوح ؛ كي يدفعه للعطاء والبذل ، يقول

[من الطويل]

٣٣- وَمَا هَذِهِ الأَشْعَارُ إلاَّ مَجَامِرٌ ... تَضَوَّعَ فِيهَا لِلنَّدَى قِطَعُ النَّدِّ

٣٤- وَكُنْتَ نَشَرْتَ الفَضْلَ فِيَّ ، وَإِنَّمَا ... نَشَرْتَ سَقِيطَ الطَّلِّ فِي وَرَقِ الوَرْدِ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

٣٥- وها أنا باغٍ مـنْ نَدَاكَ بقَـدْرِ مـا يُضَافُ لتَـأميلي ، ويَعْزى إلى وُدّي
٣٦- فأقْسِمُ لو قَسَمْتَ جُـودَكَ في الوَرَى على قَـدْرِ التَّأميلِ فُزْتَ به وَحْـدي

ولا بد أن يعطيه الممدوح ما يوازي موهبته الشعرية ؛ لأن شعره يجوب الآفاق ؛ فيُخَلِّد مآثر الممدوح ، وقد أعطاهُ – من قبل – عطاءً قليلاً لا يَسُدُّ حاجته ؛ ولهذا يَطْلُبُ منه الإسراع بإعطائه مزيدًا من المال يُضَافُ لآماله ، ويكونَ بمقدار حُبِّهِ ، وهو على يقين من أنه سَيُلَبِّي طلبه ، ويُقْسِمُ أنه لو قَسَّمَ كَرَمَهُ في الورى ، على قدر التأميل ؛ لفاز – وَحْدَهُ – بالنصيب الأوفى .

نلاحظ أن ابن عَمَّار يُلْحِفُ ويُلِحُّ إلحاحًا شديدًا في طلب المال ، وينطوي هذا الإلحاح المتكرر على دلالة ؛ فهو – لا شك – أثرٌ من آثار نشأته الفقيرة ، التي جعلته شديد الحرص على جمع المال .

ويصف نفسه بالقناعة في ختام القصيدة ، يقول :

من الطويل]

٣٧- قَنِعْتُ بِمَا عِنْـدِي مِـنَ النِّـعَمِ التِي يُفَسِّرُهَا قَوْلِي : قَنِعْتُ بِـمَا عِـنْدِي

يشير إلى أن العطاء الذي ناله كان كثيرًا لدرجة أنه جعله يقنع به ، ويكتفي بما أخذه منه ، ويؤيد ذلك قوله : (قنعت بما عندي) ، الذي كَرَّرَهُ مرتين ؛ ليُدَلِّلَ على رضاه . وهو يكذب في هذا البيت ، ويصف نفسه بما ليس فيها ؛ فإن سيرته ونفسيته تُنْبِئُنَا أنه لا يَعْلَمُ شيئًا عن القناعة ؛ لأن طموحه وطمعه ليس له حدود .

وغير خفيٍّ أنه « ينبغي أن يكون آخر بيت في القصيدة أجودَ بيت فيها ، وأدخل في المعنى الذي قصد له الشاعر في نظمها » [١٠٤]. وجليٌّ أن المعنى الذي يقصده الشاعر من القصيدة بِرُمَّتِهَا هو طلب العطاء والحُظْوَة لدى المعتمد ؛ فالمال هو شُغْلُهُ الشَّاغِـل ، وليس المَلِكُ عنده إلا كريمًا يُعْطِي ، فإذا تباطـأ سـيبه ، أو تثاقل عطاؤه ، بعث إليه يستعجله [١٠٥].

واستطاع المعتضد أن يَبْسُطَ سيطرته على إمارة شِـلْب [١٠٦] ، وأرسـل المعتمد واليًا عليها ؛ فأخذ ابن عَمَّار معه .

سوحة ضويا بـ CamScanner
سوحه ضويا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

ثم توطدت العلاقة بينهما في شلب ، وصَحِبَ ابن عَمَّار المعتمدَ في مجالس اللهو ، وكان نديمه ، يُحسِنُ مجالسته ، والترويح عنه ؛ لأنه خفيف الظلِّ ، حاضر البديهة ، سريع الخاطر ، حُلْو النادرة ، عذب الحديث ، يُضفِي المَرَح والسرور على الحُضُور .

وقد اشترك معه في لهوه وعبثه ومرحه ، وكان المُؤْنِسَ الذي لا يُمَلُّ ، وحضر مجالسه الخاصة ، وكان المعتمد يُحِبُّه ، ولا يطيق صبرًا على بُعْدِهِ ، ولعلنا نستطيع أن نقول إنه كان – بحقّ – رَيحَانَة المجلس ، ونجح في الترفيه عن المعتمد حتى نال رضاه وإعجابه ؛ حيث وَجَدَ فيه نِعْمَ الصاحب ، إن طلب عنده الشعر وجده « شاعرًا لا يُجَارَى ، وماحرًا لا يُبَارى ، إذا مَدَحَ استنزل العُصمَ ، وإن هَجَا أسمع الصمَّ ، وإن تغزّل ، ولا سيما في المعذَّرين من الغِلْمَان ، أسمع سحرًا لا يعرفه البيان »(١٠٧) . وإن طَلَبَ عنده أنسًا وقصفًا وجده « زيرَ قيانٍ وغلمان ، وصريع راحٍ وريحان ، أمَلُهُ – زعموا – كان بين شُرْبِ كاس ، وشَمِّ آس ، وَجَنْلُهُ في نصب حبالة ، لغزال أو غزالة » (١٠٨) .

ولَعَلَّ هذه الطباع المشتركة أَلَّفَتْ بين الأمير والشاعر ؛ مِمَّا جعلهما متلازمين – بصفة دائمة – لا يكاد يفارقُ أحدهما الآخر .

وعندما اتصل ابن عَمَّار بالمعتمد كان حريصًا – كُلَّ الحرص – على أن يُرْضِيه ، واستطاع أن يتسلل إلى قلبه ونفسه ، واقترب منه مَلِيًّا ، ولكن مُجَالَسَة المعتمد لم تكن هدفه ، بل كانت مطامعه فوق هذا بكثير ! لأنه لم يكن صافِ في مودته ، ولكنه كان يَدَّعِي محبته ؛ ليُحَقِّقَ مآربه .

وقد اتخذه المعتمد وزيرًا ، وأولاه ثقته ، ووكَّلَ إليه كل أموره (١٠٩)، وكانا يقيمان سَوِيًّا في قصر الشراجيب في شلب ، وقد عاش ابن عَمَّار أيامًا سعيدة ، وأخذ يُشْبِعُ مطامحه ، ويَعُبُّ من سائر أنواع المُتَع والمسرَّات .

ويروي عبد الواحد المراكشي خبرًا عجيبًا حدث لهما وهما بنعمان معًا في شلب ؛ نقلاً عن ابن عَمَّار نفسه ، « ذلك أن المعتمد استدعاه ليلة إلى مجلس أنسه ، على ما كانت العادة جارية به ، إلا أنه في تلك الليلة زَادَ في التحفي به

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
CamScanner ممسوحة ضوئيا بـ
Scanned with CamScanner

والبرّ له على المعتاد ، فلما جاء وقت النوم أقسم المعتمد عليه ، لتضعن رأسك معي على وسادة واحدة ! فكان ذلك .

قال ابن عَمّار : فهتف بي هاتفٌ في النوم يقول : (لا تغترُّ أيُّها المسكين ، إنه سيقتلك ولو بعد حين !) قال : فانتبهت من نومي فزعًا ، وتعوّذتُ ، ثم عُدتُ ، فهَتَفَ بي الهاتف على حاله الأولى ، فانتبهتُ من نومي فزعًا وتعوّذتُ ، ثم عُدتُ ، فهَتَفَ الهاتف على الحال الأولى ، فانتبهت ، ثم عُدْتُ فسمعته ثالثة »(١١٠)

وعندئذٍ تَملَّكَهُ الخوف ، وأدركَ أنه مقتول - لا محالة - بيد المعتمد ؛ فأراد ألا يطيل المقام عنده ، ولكن أبى المعتمد ذلك ، « وقال : يا أبا بكر ، أضغاث أحلام ، هذه آثار الخمر ... وكيف أقتلك ؟ أرأيت أحدًا يقتل نفسه ؟ وهل أنت عندي إلا كنفسي ؟ فتشكر له ابن عَمّار ودعا له بطول البقاء ، وتناسى الأمر فنسيه »(١١١) ، وأخذ هذا الحُلْم يُمْحَى من ذاكرته شيئًا فشيئًا .

ويكشف هذا الخبر - بجلاء- عن شدة تَعَلُّق المعتمد بابن عَمّار ، كما يُجَلِّي - بوضوح - ما تُكِنُّهُ نفس ابن عَمّار للمعتمد ، لقد احتَفَظَ في لا شعوره أو عقله الباطن بمخاوفه من المعتمد (تجربة مُرَّة مُؤْلِمَة) ، وانحدرت هذه المخاوف إلى أعماق نفسه . وتسعى تجارب النفس المكبوتة إلى الظهور من خلال الأحلام ، وبواسطة الأحلام يتم تفريغ التوتر ، ويتحقق التوازن بين قُوَى النفس ، بحيث تصبح الشخصية على قدرٍ من الاستقرار .

لقد حبس مشاعره الحقيقية تجاه المعتمد (عاطفة الخوف) في لا شعوره ، ومن ثَمَّ ولَّدَ هذا الكبتُ القلقَ ، وظلت هذه الانفعالات تستعصي على الكبت ، ويشتد ضغطها شيئًا فشيئًا ؛ حتى ظهرت في صورة هذا الحُلْم ، الذي يمكن أن نَعُدَّهُ إفشاءً إجباريًا - لا سيطرة لابن عَمّار عليه - لِمَا يَستُرُهُ في ضميره ؛ تخفيفًا من ضغط العواطف المكظومة .

وذلك « لأن كرامة الإنسان واحترامه لنفسه يأبيان عليه أن يُظْهِرَ الخوف أمام غيره ؛ فهو يُخفيه ، ولا يزال يُخفيه ؛ حتى تظهر عليه آثاره في أحلامه . هذا

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

إلى أن أثر الخوف في النفس شديد ، فإذا لم يظهر في اليقظة ظهر في النوم »

واللاشعور مُحَرِّكٌ خفي يجعل الاستجابة التي يُبديها الإنسان إزاءَ أي موقف يُواجِهُهُ ردّ فعل ، مهما كانت درجة وعي صاحبه ويقينه بأنه مُتَحكِّم في أبعاد سلوكه .

ولا بُدَّ أن يُنَفِّسَ اللاشعور عن عُقَدِه وصراعاته ؛ ولذا خرجت هذه الأفكار الدفينة والمكبوتة من مكامن النفس الخفية عن طريق هذا الحلم المُزْعِج الذي يُعَبِّرُ عن الميول الانفعالية اللاشعورية التي كَبَتَها في نفسه ؛ والعواطف التي عمل جاهدًا على إخفائها وسترها ، لقد ترسب شعور خفي بالخوف من غدر المعتمد وبطشه في لا شعوره ؛ لأنه كان غَيرَ مُخْلِصٍ في وُدِّه ؛ فكان يترقب من المعتمد الفتك به ، وكان يرى من المعتمد إقبالاً عليه ، وتلطفًا له ؛ فيزداد نفورًا منه وكرهًا له ، وكان يَقْبَلُ صِلاته الجزيلة ، ويراها قليلة ، ويتقلب في نعمته حاقدًا ، ويكرهه ويخشاه في خبيئة نفسه ، وأوضح هذا الحُلْم المصير الذي يخشى أن يؤول إليه .

ولكن ، هل غيرت طباع ابن عَمَّار حياةُ المدينة التي أَلِفَها ، والعيش الناعم المُرَفَّه بين الجواري والقيان ، وسعة العيش في كنف المعتمد ؟ الواقع أن طباع ابن عَمَّار لم تتغير ، وظلَّتْ كما هي .

وقد عاش فترة طفولته في بيئة تنطوي على تهديد ؛ لذا عندما عاش مع المعتمد في بيئة توافرت له فيها كل أسباب الأمن والحب والانتماء نراه غير آمن .

إن ما عاناه ابنُ عَمَّار من صراع نفسي عنيف في الوقت الذي كان فيه المعتمد يجالسه ويقاربه ، إنما كان ثمرة من ثمار نشأته الفقيرة ؛ إذ جعلته يسيء الظن بالآخرين ، ولا يثق بأحد ؛ مما أذكى في قلبه خشية المعتمد ، ولم يستطع أن يُصَرِّحَ بحقيقة ما يدور في نفسه من مشاعر ، بل نجده يجاريه ويصادقه في ظاهر الأمر ، ويخشاه ويتقي بطشه وسطوته في داخل نفسه ، وهو إحساس استقرَّ في لا شعوره ، وعذبه أشد العذاب ؛ فظهر في الحُلْم الذي رآه في نومه .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

وكان ابن عمّار حاضر الجواب تُسعفُه البديهة ؛ فينظم شعرًا حتى الخطر
فكان المعتمد يصطحبه في رحلاته ليجيز له بعض شعره . وكانا يغادران شلب إلى
إشبيلية للتمتُّع ، وفي إحدى نزهاتهما في مرج الفضة على شاطئ نهر الوادي الكبير
في إشبيلية رأى المعتمد اعتماد الرُّمَيكيَّة (ت ٤٨٨هـ) (١١٣) ؛ فأعجب بها
من تعلُّقِهِ بها معرفتها الشعر ، وقدرتها على قرضه على البديهة (١١٤) ؛ فاشتراها
من سيدها رُمَيك بن حَجّاج ، ثُمَّ تزوجها ، وقد أفرط في الميل إليها ، وكانت مليحة
الوجه ، حلوة الحديث ، كثيرة النادرة ، سريعة الخاطر ؛ ولسمو مكانتها وتمكُّن
نفوذها أُطْلِقَ عليها لقب « السيدة الكُبْرَى »(١١٥) .

وفوق ذلك فإن الأمير محمد بن عباد لَقَّبَ نفسه بالمعتمد على الله ، بعد
أن صار ملكًا ؛ لكي تتشابه حروف لقبه مع حروف اسمها ، وكان من قبلُ يلقَّب
بالظافِر بحول الله ، والمؤيَّد بالله (١١٦) .

ولم يكن حُبّ المُعْتَمِد لاعتماد ليشغله عن صديقه ابن عَمّار الذي حلّ من
قلبه محلاً كبيرًا ؛ حتى زال الحجاب بين الشاعر وممدوحه ، واشتدّت الصلة بينهما
، غير أن العلاقة بينهما تطورت ؛ حتى تجاوزت العلاقة بين شاعر وملك
وتحولت إلى حديث مشبوه تلوكه ألسنة الناس ، لقد كان المعتمد مُغْرَمًا بابن عمّار
(١١٧) ؛ فتعلُّقه به كان غريبًا مثيرًا للأقاويل ؛ حتى قال صاحب (المُعْجِب) عن هذه
العلاقة المُرِيبَة التي جمعت بينهما في شلب : « صار ابنُ عَمّار ألزقَ بالمعتمد من
شعرات قَصّهِ ، وأدنى إليه من حَبْلِ وَرِيده ، كان المعتمد لا يستغني عنه ساعة من
ليل ولا نهار ... وسلَّمَ إليه جميع أموره ؛ فغلب عليه ابن عَمّار غلبةً شديدة
وساءت السمعة عنهما ... وأقسم المعتمد عليه ، لتضعن رأسك معي على وسادة
واحدة !... وقال له : وهل أنت عندي إلا كنفسي ؟ » (١١٨) .

ومن الظواهر الاجتماعية التي انتشرت في الأندلس عادة التغزل في
الغلمان ، ويُعَدُّ هذا اللون من الغزل تقليدًا لما أحدثه أبو نُوَاس(ت١٩٩هـ) من
جهة (١١٩) ؛ واستجابةً لدواعيه في مجالس الشراب الأندلسية من جهة أخرى .

ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

وقد بالغ الشعراء في التغزل بالغلمان ؛ « حتى هؤلاء الذين ترتبط أسماؤهم بسمات من الوقار قد تورطوا في إنشاء شعر الغزل بالغلمان ، بحيث يُخيَّل لمُتابع الدراسة في حقل المجتمع الأندلسي أن هذه العادة الغريبة قد أصبحت جزءًا من كيان ذلك المجتمع » (١٢٠).

ومِمَّا يلفت النظر أن « التعلُّق بالغلمان والتغزُّل بهم لم يكن منتشرًا فحسب ، بل إنه لا يبدو أمرًا معيبًا أو غير مرغوب فيه لا سيما في الوسط الأرستُقْرَاطِي » (١٢١)، وفضلاً عن ذلك كان اللِّوَاط « ملحوظًا في كلِّ بلاطات ملوك الطوائف » (١٢٢).

وقد انتشر الغزل في المذكر في الأندلس في عصر ملوك الطوائف ؛ حتى إنه تَسَرَّبَ إلى قصور الخلفاء ؛ لانتشار الحانات ودُور اللهو ومجالس الخمر والغناء ، وكثرة مجالسة المُجَّان والخُلَعَاء ، واختلاط الأندلسيين بالبيئة المسيحية التي يكْثُرُ فيها الغِلْمَان المِلاح ، الذين تَيَسَّرت سُبُل الالتقاء بهم ؛ فمنهم السُّقاة في الحانات ، ومنهم من يخدم الملوك في قصورهم ، أو الشعراء في منازلهم ، فضلاً عن حياة الترف والنعيم والفراغ ، هذا بالإضافة إلى الحرية ، وتَعَدُّد الجواري وابتذالهن ، وتيسُّر الحصول عليهن بأيسر سبيل ، كل ذلك دفع الرجل إلى الزهد في المرأة ، ومحاولة اقتناص اللذة والمتعة من سبيلٍ آخر جديد .

ولكن « الانجذاب إلى الغلمان لا ينطوي دائمًا على فعل جنسي ، ولكنه – على أية حال من الأحوال – ظاهرة من الميول الجنسية تسترعي النظر » (١٢٣) .

ولا يُمْكِن للنفوس السَّوِيَّة أن تُقْبِلَ على هذا النوع من الغزل ، أو تستسيغه ، وعلاوة على ذلك فإن كثيرًا من هذا الغزل لا يمكن رَدُّه إلى تجارب حقيقية مع الغلمان ، بل رُبَّما كان ضربًا من ضروب التفكُّه .

وتجدر الإشارة إلى ما اتصف به المعتضد وشاع عنه من عنفٍ وقسوة وبطش حتى بأقرب الناس إليه ، فقد قَتَلَ رجلاً أعمى بمكة كان يدعو عليه بها ؛ ومما يثير التعجُّب أن المعتضد القاطن بإشبيلية يسعى لقتل رجل بالحجاز (١٢٤) . كما قتل وزيره أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب ، الملقب بحبيب نحو سنة ٤٤٠ هـ (١٢٥) . وقال فيه الحِجاريّ : « ما مات حتى قبض أرواح

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

ندمائه وخواصه بيده » (١٢٦) ، ورُوِيَ « أن غلامًا دون البلوغ دخل عليه بغير استئذان ؛ فقطع رأسه . وسمع جارية تقول : القبرُ – واللهِ – أحسنُ من سكنى هذا القصر ؛ فقال : واللهِ لأُبَلِّغَنَّكِ ما طلبته ، وأمر فَدُفِنَتْ حَيَّةً . وتعجب الناسُ من وزيره ابن زيدون كيف انفرد بالسلامة منه ؛ فقال : كنت كمن يُمْسِكُ بأذني الأسد ، يتَّقي سطوته تركَه أو أمسكَهُ » (١٢٧) .

وظل المعتمد ينعم بصحبة رفيقه ابن عَمَّار في شِلْب نحو ست سنوات (من سنة ٤٤٥هـ إلى سنة ٤٥٠هـ) .

وعندما شَكَّ المعتضد في أن ابنه إسماعيل المنصور يتآمر عليه لإزاحته عن العرش قتله بيديه سنة ٤٥٠هـ ؛ وإثر ذلك وقعت مهابته في قلوب القريب والبعيد ، ثُمَّ استدعى ولده محمدًا من شِلْب ؛ ليكون وليًّا للعهد ، وكتب بذلك كتبًا إلى ملوك الأندلس (١٢٨) .

وعاد المُعتَمِد إلى إشبيلية بصحبة ابن عَمَّار ليعيشا في بلاط المعتضد . وقد أثارت هذه الصلة القوية – بين الشاعر والأمير – رِيبَة المعتضد ، الذي لم يكن راضيًا عن هذه العلاقة ، ونَهَى المعتمد عن صحبته ؛ « لأنه شغله عن كثير من أمره » (١٢٩) ، وأمر بالتفريق بينهما ، ونَفَى ابن عَمَّار .

واستدعاه المعتمد وأنباه بخبر النفي ؛ فارْبَدَّ وجههُ قليلاً ، وأطرق واجمًا ، ثم علَتْ وجهه ابتسامةٌ خافتة ؛ ولم يجد بُدًّا من الطاعة والانصياع للأوامر ؛ مجاملةً ومصانعةً من جهة ، وتَقِيَّةً من بطش المعتضد من جهة أخرى ؛ فإن من لا يمكن مقاومته ، فليس إلا مداراته وطاعة أوامره ، وأخذ يخدع المعتمد ببريق الألفاظ ؛ كي يُخْفِي شُعُورَهُ بالغيظ ، ولَكِنَّ ما يَكُنُّه ضميره كان شيئًا آخر ، فقد كان عاجزًا عن إظهار سخطه ، واضطر أن يكبت تمرُّدَه في الباطن إلى حين . وخرج من إشبيلية محزون النفس عام ٤٥١هـ ، وذهب صاغرًا إلى سَرَقُسْطَة (Saragosse) (١٣٠) ، ولكن هذا البُعْد لم يَزِدْ المعتمد إلا حُبًّا له ، وتعلقًا به .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

ومن منفاه كتب إلى المعتمد (١٣١) :

[من الطويل]

١- عَلَيْ ، وَإِلاَّ مَا بُكَاءُ الغَمَائِمِ ... وَفِيْ ، وَإِلاَّ مَا نِيَاحُ الحَمَائِمِ

٢- وَعَنِّي أَثَارَ الرَّعْدُ صَرْخَةَ طَالِبٍ ... لِثَأْرٍ، وَهَزَّ البَرْقُ صَفْحَةَ صَارِمِ

٣- وَمَا لَبِسَتْ زُهْرُ النُّجُومِ حِدَادَهَا ... لِغَيْرِي، وَلا قَامَتْ لَهُ فِي مَآتِمِ

٤- وَهَلْ شَقَّقَتْ هُوجُ الرِّيَاحِ جُيُوبَهَا ... لِغَيْرِيَ ، أَو حَنَّتْ حَنِينَ الرَّوَائِمِ (١٣٢)

بدأ قصيدته بوصف مظاهر الطبيعة ، ورآها رؤية حزينة انعكاسًا لنفسه ؛ لأنه نظر إلى الظواهر الخارجية من خلال منظوره الداخلي ، وجعلها تشاركه أحاسيسه ، ومِنْ هنا كانت الغمائم تبكي ، والحمائم تُنَوِّح ، والرعد يصرخ مُدَوِّيًا طالبًا بثأره ، والبرق يَسُلُّ سيفه ، والنجوم ترتدي ثياب الحِدَاد حزنًا عليه ، والرياح الهوجاء تَشُقُّ جيوبها متحسرةً على حاله ، فقد كانت عناصر الطبيعة ثائرة حزينة على ما حلَّ به ، فكانت المقدمة مدخلاً ملائمًا عَبْرَ من خلاله عَمَّا يجيش في صدره من مشاعر وأحاسيس . ولا يخفى ما في ذلك من دلالة على الأثر العميق للطبيعة في نفوس الأندلسيين .

وفي سرقسطة صار يرى في كل ما يقع تحت سمعه وبصره مثيرًا للأحزان ، باعثًا للشوق والحنين إلى شِلْب ، ومعلوم أن الفنان « لا يرتبط بنسق الأشياء كما هي واقعة في الحياة ، بل يلجأ إلى أغوار نفسه البعيدة ، يستمد من مخزونها الرموز المتباعدة في المكان والزمان ؛ لينقل شعورًا أو فكرة أو حالة نفسية »(١٣٣)، ومن ثَمَّ فاللاشعور في المجال الفني يكون أحيانًا أقوى من الشعور.

ثم ينتقل لوصف الفرس الذي ركبه للخروج من شلب ، يقول :

[من الطويل]

٥- خُذُوا بِيَ إِنْ لَمْ تَهْذَأُوا كُلَّ سَابِحٍ ... لِرِيحِ الصَّبَا فِي إِثْرِهِ أَنْفُ رَاغِمِ

٦- مِنَ العَابِسَاتِ الدُّهْمِ إِلاَّ التِفَاتَةً ... إِلَى غُرَّةٍ أَهْدَتْ لَهُ ثَغْرَ بَاسِمِ

٧- طَوَى بِيَ عَرْضَ البِيدِ فَوقَ قَوَائِمٍ ... تَوَهَّمْتُنِي مِنْهُنَّ فَوقَ قَوَادِمِ

٨- وَخَاضَ بِيَ الظَّلْمَاءَ حَتَّى حَسِبْتُهُ ... لَهُ مُرْتَبِطٌ بَيْنَ النُّجُومِ العَوَاتِمِ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

يصف سرعة فرسه في العَدْو ، واتساع خطواته ، ووفرة نشاطه ، وصلابته ، وطاقته الهائلة على التَّحَمُّل ؛ إذ إنه يسبق ريح الصَّبَا ، دون أن يبدو عليه أي أثر للكلال والإعياء ، ولا يخفى أن وصف الفرس بالقوة والصلابة يعني وصف الفارس بهما أيضًا ؛ لأن الفرس القوي لا يمتطي صهوته إلا فارس قوي يستطيع السيطرة عليه ، والتحكُّم في حركته .

وهو فرس أدهم ، له غرة بيضاء ، طوى به الصحراء فوق قوائم سريعة جعلته يَتَوَهَّمُ أنه يَرْكَبُ جَنَاحَ طَائِرٍ ، ويُبَالِغُ فيقول : إن فرسه لا نظير له في سرعة عدوه ؛ لأنه يستفرغ أقصى جُهْدَه في الجري ، وقد خاض به الظلماء سريعًا ؛ حتى ظَنَّ أنَّ له مِرْتَعٌ بين النجوم العَوَائِمِ .

ويدعو على هذا الفَرَس بالموت ؛ لأنه أبعده عن أرض العلا والمكارم، يقول :

[من الطويل]

٩- أَلا قَاتَلَ اللهُ الجِيَادَ ، فَإِنَّهَا ... نَأَتْ بِيَ عَنْ أَرْضِ العُلا وَالمَكَارِمِ

ثُمَّ تَدَاعَتْ في نفسه معاني الغربة ، والحنين إلى الديار ، واستبدَّ به الشعور بالوحشة ، فقال :

[من الطويل]

١٠- أَشِلْبٌ ، وَلا تَنْسَابُ عَبْرَةُ مُشْفِقٍ! ... وَحِمْصٌ ، وَلا تَغْتَالُ زَفْرَةُ نَادِمِ!

١١- كَسَاهَا الحَيَا بُرْدَ الشَّبَابِ ؛ فَإِنَّهَا ... " بِلادٌ بِهَا عَقَّ الشَّبَابُ تَمَائِمِي "[١٢٤]

١٢- ذَكَرْتُ بِهَا عَهْدَ الصِّبَا فَكَأَنَّمَا ... قَدَحْتُ بِنَارِ الشَّوْقِ بَيْنَ الحَنَايِمِ

١٣- لَيَالِيَ لا أَلْوِي عَلَى رُشْدِ لائِمٍ ... عِنَانِي، وَلا أُثْنِيهِ عَنْ غَيِّ هَائِمِ

١٤- أَنَالُ سُهَادِي عَنْ عُيُونِ نَوَاعِسٍ ... وَلَجِّي عَذَابِي مِنْ غُصُونِ نَوَاعِمِ

يحنُّ إلى لياليه السالفة في مدينتي شِلْب وإشبيلية اللتين شهدتا أزهى أيامه لاهيًا مُتَنَعِّمًا مع المعتمد ؛ فتنساب دُمُوعُه حزنًا على فراق شِلْب ، وتتتابع أنفاسه

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

لتخفيف للتوتر الذي يشعر به ؛ بسبب فراق وطنه الذي قضى فيه لَيالِي جَمِيلَـة ، وعندما يتذكره تشتعل نار الأسى في جوانحه ، ولا يجد سبيلاً لإطفائها .

وهذا يدل على رسوخ تلك المشاهد في ذهنه ، وتَطلُّعُهُ إلى عودتها مـرة أخرى ، بالإضافة إلى ما في ذلك من التحسُّر على ما مضى .

إنه يهرب من الحاضر إلى الماضي ، وتُظهِرُ الأبيات ما يعتمل في نفسه من قلق واضطراب بين أمسه المُنير بنعيمه ، ويومه المُقبِل بشقائه ؛ فهو يتحسر ويأسى على ذلك الماضي البهيج والأيام الهانئة التي تتداعى ذِكراها إلى خـاطره ؛ لأن قسوة الواقع تدفع به إلى المقارنة في محاولة للتخفيف عن نفسه ، وبذلك يَخلُق توازُنًا في ذاته ، يُخلِّصُهُ من القلق والاضطراب الذي يشعر به ، ومعلومٌ أن تَذَكُّر الماضي الجميل حيلة نفسية دفاعية يلجأ إليها الفرد للهروب من الواقع المرير .

ويصف حياته اللاهية في شلب قـائلاً :

[من الطويل]

١٥- ولَيلٍ لَنَا بالسُّدِّ بَيـنَ مَعَـاطِـفٍ ... مِنَ النَّهرِ يَنسَـابُ انسِيَابَ الأَرَاقِـمِ

١٦- بِحَيثُ اتَّخَذْنَا الرَّوضَ جَارًا تَزُورُنَا ... هَـدَايَاهُ فِي أَيـدِي الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ

١٧- تُبَلِّغُنَـا أَنفَاسَـهُ فَنَـرُدُّهَـا ... بِأَعطَرِ أَنفَاسٍ ، وَأَذكَـى مَنَـاسِـمِ

١٨- تَسِيرُ إِلَينَا ، ثُـمَّ عَـنَّا كَـأَنَّـهَا ... حَـوَاسِـدُ تَمشِي بَينَنَا بِالنَّمَـائِـمِ

١٩- سَقَتنَا بِهِ الشَّمسُ النُّجُومَ، وَمَنْ بَدَتْ ... لَهُ الشَّمسُ فِي جُنحٍ مِنَ اللَّيلِ فَـاحِمِ

٢٠- وَبِتنَـا وَلا وَاشٍ يُـحَـسُّ ، كَأَنَّمَا ... حَلَلنَا مَكَانَ السِّـرِّ مِن صَدرِ كَـاتِمِ

لقد تغيرت حياة الشاعر من الأنس والبهجة إلى الوحشة ؛ إنـه يـسترجع ذكريات ، في تدفق وتوتُّر، ثم ينتهي إلى الحسرة والألم ، فهو يتذكر ليلـة هانئـة قضاها بالسُّدِّ في صحبة المعتمد ، فيقول : كان الروضُ جَارًا كريمًا يبعث هـداياه مع النسيم الرقيق ، الذي يُنعِشُ النُّفُوسَ ويُمتِعُهَا ؛ وتَصِلُ إلينـا أَنفَاسُـهُ العَلِيلَـة ؛ فَنَرُدُّها بأنفاسٍ عاطرة ، فكأن هذه النسائم حواسد تنقل الرائحة الطيبة بيننا ، وقـد بَلَغَنَا أقصى المُنَى ، وكأننا حللنا مكانًا لا يستطيع أحدٌ أن يَصِلَ إليه ، وكانت ليلتنا كلّها صفوًا بلا كدر .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

والواقع أن الذاكرة العاطفية « لا يمكن أن يتركها صاحبها وراءه إذا ترك الأماكن التي عاش فيها ، فالذكرى اللذيذة أو المؤلمة التي تَعْرِضُ له في حياته الجديدة ، تَجُرُّ معها ذكريات كثيرة مما عَرَضَ له في حياته القديمة » (١٣٥)

وقد أثرت فترة النفي تأثيرًا قويًا في نفسه ؛ لذا لجأ إلى المقابلة بين ما كان عليه بالأمس من نعيم وما أصبح فيه اليوم من بؤس ؛ ليتضح مدى المفارقة بينهما ، فقد طال ليله في سَرَقُسْطَة ، ولم يجد لنفسه أملاً ولا مطمعًا فيها ، يقول هاجيا أهلها (١٣٦) : [من الطويل]

٢١- هُوَ العَيشُ ، لا مَا أشْتَكِيهِ مِنَ السُّرَى ... إِلَى كُلِّ ثَغْرٍ آهِلٍ مِثْلَ طَاسِمِ

٢٢- وَصُحْبَةِ قَوْمٍ لَمْ يُهَذَّبْ طِبَاعَهُمْ ... لِقَاءُ أَدِيبٍ ، أَو نَوَادِرُ عَالِمِ

٢٣- صَعَالِيكُ هَامُوا بِالفَلا فَتَدَرَّعُوا ... جُلُودَ الأَفَاعِي تَحْتَ بِيضِ النَّعَائِمِ

٢٤- نَدَامَى، وَلا غَيرُ السُّيُوفِ أَزَاهِرِي ... لَدَيهِمْ ، وَمَا غَيرُ الغُمُودِ كَمَائِمِي

٢٥- وَمَا حَالُ مَنْ رَبَّتْهُ أَرْضُ أَعَارِبٍ ... وَأَلْقَتْ بِهِ الأَقْدَارُ بَينَ الأَعَاجِمِ

٢٦- يُقَبِّحُ لِي قَومٌ مَقَامِيَ بَينَهُمْ ... وَقَدْ رَسَفَتْ رِجْلُ السُّرَى فِي الأَدَاهِمِ

٢٧- يَقُولُونَ لِي : دَعْ أَيدِيَ العِيسِ ؛ إِنَّهَا ... تُؤَدِّي إِلَى أَيدِي المُلُوكِ الخَضَارِمِ

٢٨- فَدَيتُهُمُ ، لَمْ يَبْعَثُوا حِرْصَ عَاجِزٍ ... وَلا نَبَّهُوا - إِذْ نَبَّهُوا - طَرْفَ نَائِمِ

إنَّ صُوَرَ الماضي والحاضر تتوارد على مخيلته ، وتقوم موازنة بينهما ، لقد كانت أيامُ النعيم التي قضاها في كنف المعتمد نُصْبَ عينيه يتحسر عليها ، ويصفها بأنها هي العيشُ الرغدُ الهَنِيءُ ، ويقابل بينها وما يقاسيه في غربته من صنوف العذاب ، فهو يشكو طول السُّرَى في سرقسطة ، التي يتساوى فيها المكان الآهل مع المكان الطاسم تمامًا ؛ ففي الغربة لا يوجد مذاق لأي شيء . وقد خالط في هذه المدينة قومًا لم تُهَذِّبْ مخالطة العلماء ومجالسة الأدباء طباعهم ، التي تتسم بالغلظة والجفاء والقسوة والعنف ؛ لأنهم صعاليك اعتادوا الركض في الصحاري ، ومطاردة الوحوش ، ومصاحبة السيوف . وهؤلاء هم النُّدَماء الذين صاحبوه ورافقوه على الرغم منه ، فكان كالفتى العربي الغريب الذي ألقت به الأقدارُ بين أعاجم لا يمكنه التواصلُ معهم .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

أين حياته هذه البائسة اليائسة ، من حياته تلك التي لم تكن تخلو من نعيم ومرح ؛ حيث كان يعيش في رحاب العِزّ ، وتَرَف الحضارة . وتعكس هذه المقابلة تمزقه النفسي ، ويهدف منها إلى توليد الدهشة في القارئ ، وإحداث الغرابة ، وهي الغاية من الشعر الجيد ، وبذلك يؤثر في القارئ ، ويجعله يتعاطف معه .

ويشكو الزمان وأهله ؛ فيقول :

[من الطويل]

٢٩- ولكنَّهَا الأيَّامُ غَيرُ حَوَافِلٍ ... بِأرْبِ أرِيبٍ ، أو حَزَامَةِ حَازِمِ

٣٠- وَإنِّي لأشْكُو - لَو شَكَوتُ - لِرَاحِمٍ ... وَإنِّي لأدْعُو - لَو دَعَوتُ - لِسَامِعِ

٣١- أُرِيدُ حَيَاةَ البَينِ ، والبَينُ قَاتِلِي ... وَأرْجُو انْتِصَارَ الدَّهرِ ، وَالدَّهرُ ظَالِمِي

يَذُمُّ الدنيا لِمَا يُصيبُ فيها ذوي الهمم العالية من شقاء وعذاب ؛ فهي لا تهتم بذكاء الأريب ، ولا بحزم الحازم ، ويشكو أنه لم يَنَلْ المنزلة التي تسمو إليها نفسه ؛ آملاً أن يجدَ قلبًا رحيمًا يسمع شكوته ، إنه لا يتحمل البُعْد ، ولكن الدهر أجبره علي ذلك البعاد .

وشكوى الدهر عنده وسيلة لتخفيف التوتر النفسي ، إنه يشكو شكوى من يعتز بنفسه ، ولم يُنصِفه الزمان ؛ فهو يُنَفِّسُ عن نفسه ما يعانيه من اضطراب وقلق ، ويكشف عن حزنه الشديد لضياع آماله ، إنه يعيش في صراع نفسي بين الرغبة في العودة للوطن ، وما تُوَلِّدُهُ في نفسه من شوق ولهفة ، وعجزه عن تحقيق تلك الرغبة ، وما ينجم عن ذلك من حزن دفين وأسى عميق .

وقد آثر استخدام صيغة اسم الفاعل في قوله : (قاتلي - ظالمي) ؛ للدلالة على الثبات والتعمُّد ؛ فالبين يتعمد قتله ، ولأنه يشعر - دومًا- بالاضطهاد ؛ رأى أن الدهر قَصَدَهُ - دون غيرِهِ - ليَخُصَّهُ بهذا الظلم .

إنها أبيات مؤثرة توضح ما يعانيه الشاعر من آلام الفراق ، فهو يبكي على وطنٍ بعيد ، لقد خَيَّمَ الحزن على قلبه ، واستغرق حاله .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

ثُمَّ يَدَّعِي أنه ذو خُلُقٍ كريم ؛ فيقول في وصف إخوان الصفاء الذين تغيّروا عن سابقِ ودهم ، وانقلبوا عليه ، وجعلوا رضاهم عنه ذمًّا :

[من الطويل]

٣٢- وَتُبْتُ إخْـوَانَ الصَّـفَـاءِ تَغَـيَّـرُوا ... وَذَمُّـوا الـرِّضَا مِـنْ عَهْدِ كُلِّ لَئِيمِ

٣٣- لَقَدْ سَخِطُوا ظُلْمًا عَلَيَّ غَيْـرَ سَاخِـطٍ ... عَلَيْهِمْ ، وَلَامُوا - ضَلَّةً - غَيْرَ لَائِمِ

يقول : لقد تغيَّرَ إخوان الصفاء ، وعَدِمْتُ الخلان الذين يدفعون عني عادية الزمان ، ويقابل بين حاله وحالهم ؛ فيقول : لقد سخطوا ظُلْمًا عليَّ ، وأنا غيرُ ساخط عليهم ، ولأموا – ضلالاً – وأنا غيرُ لائمٍ عليهم ؛ حتى إنهم أرغموني على مغادرة بلادهم .

وقوله : (سخطوا – ظلمًا – لاموا – ضلة) يدل على التوتر الذي يعانيه ؛ فهو شديد الانفعال ، عميق الحزن ؛ لفراق إشبيلية ، وقد استطاع أن ينقل إلينا الخلجات النفسية التي يحسها الغريب بحسٍّ مرهف وعواطف متدفقة ؛ وبذلك خرجت تجربته الشخصية « من حيز الخاصّ وهو حيز ضيق محدود ، إلى الساحة الكلية العامّة ، وهي ساحة موضوعية يشترك فيها بنو البشر جميعًا . فالفنان الفنان من استطاع تحويل الذات إلى موضوع »(١٣٧) .

ثم يستعطف المعتضد ليعفو عنه ، يقول :

[من الطويل]

٣٤- وَلَو أنَّ عَفْـوًا مِـنْ هُنَـالِكَ زَارَنِـي ... لَزُرْتُ ، وَمَـا عَدْوُ الزَّمَانِ بِـدَائِمِ

٣٥- أَجُـرُّ ذُيُـولَ اللَّيْـلِ سَابِغَةَ الـدُّجَـى ... وَأَرْكَـبُ ظَهْرَ العَزْمِ صَعْبَ الشَّكَـائِمِ

٣٦- فَأُورِدُ وُدِّي صَـافِـيًا كُـلَّ شَـارِبٍ ... وَأُلْبِسُ حَمْـدِي ضَـافِيًا كُـلَّ شَـائِمِ

٣٧- وَأُغْضِي لِمَـنْ يَلْقَى بِوَجْـهٍ مُكَـارِهٍ ... حَيَـاءً ؛ فَأَلْقَـاهُ بِـوَجْهٍ مُكَـارِمِ

يقول : ولو تحققت أمنيتي ونِلْتُ عفو المعتضد ، وهو ليس بمستبعد ؛ لأن عدوان الزمان لا يدوم ؛ لأسرعتُ لزيارة إشبيلية أجُرُّ ذُيُولَ الليلِ في الظلام ، ممتطيًا العزمَ ، وحينئذٍ سأعطي وُدِّي الخالص لكل صاحب ، وأمنحُ شكري الواسع لكُلِّ من يُقابِلُني ، وأُغْضِي وَجْهِي – حياءً – لمن أكرهه ، وألقاهُ بوجهٍ باشٍ .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

ثم ينتقل إلى مدح المعتمد ، يقول :

[من الطويل]

٣٨- وما هو إلا لثم كفّ محمّدٍ ... وتمكين كفّي من نواصي

المظالم

٣٩- إن اتفقت لي فالعدوّ موافقي ... على كلّ حال ، والزمان

مسالمي

٤٠- عليّ للنفسي من مناها اليمة ... تهزّ رخال النعمات

الرؤاسم

٤١- إلى الحاجب الأعلى ، إلى العضد الذي ... تطول بيمناه قصار الصوارم

٤٢- فتى ثقف ، بين الحمائل مقدم ... إذا كرّ ، كرّ الموت ضربة لازم

٤٣- يضيء سرير الملك منه إذا استوى ... عليه ببدر محتب بعمائم

٤٤- ويهفو الهواء الورد منه إذا غزا ... على أسد دامي البراثن حاطم

٤٥- صقيل رداء العرض من غدر خلّة ... وطاهر ماء الوجه من ردّ عادم

٤٦- له هزّة في الجود مغتضديّة ... تهزّ إلى تشتيت شمل الدراهم

٤٧- وأيّ حياء طيّه أيّ سورة ... كما كمنت في الروض دهم الأراقم

٤٨- سما بأبيه ذروة الشرف الذي ... أباطحه سهل الندى والمكارم

إنه صاحب رأي سديد ، ينتصر على الأعداء ، ويُنير بوجهه الوضّاء سَرير الملك إذا استوى عليه ، وهو بعيدٌ عن الغدر بالأصدقاء ، مداومٌ على عطاء العافينَ ، له هَزّةٌ في الكَرَم منسوبة للمعتضد ، ترتاح وتفرح لتشتيت شمل الدراهم وإعطاء المحتاج ، ويُخفي البطش داخل نفسه ، ويُظْهِرُ الحياء ، كما تختفي في الروضِ الأراقمُ السود ، وقد ارتفع بوالده ذِروة الشرف الذي أباطحه الندى والمكارم .

ويعود إلى مدح المعتضد بالكرم والشجاعة ، يقول :

[من الطويل]

٤٩- بمعتضدٍ بالله يُمنًى مرتّع ... مريع لآمال النفوس السوائم

٥٠- إذا نشرت لخم بذكراه فخرها ... طوت طيّ غجلة لفخر حاتم

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

٥١- ملوكٌ سعدا الحالتين مُتيَّمٌ ... ببيض الأيادي ، أو بحمر المعامع
٥٢- أبى أن يراه الله غير مُسلَّطٍ ... عمالة سيف ، أو عمالة واسع
٥٣- يُصِرُّ على حمد الغُفاة فينثني ... بِراحة مظلوم ، وألسنة قالع
٥٤- ويثني بهدم المال شامخة العُلا ... لذا ساس ما يالي العلا فوق مهيع

يصفه بالكرم الذي يفيض على كل سائل ، ويقول إن قبيلة لهم كلها مع بكره افتخارًا بجعل قبيلة ملء تطوي رأسها خجلاً عند ذكر حاتم الطائي السخي يُضْرَبُ به المثل في الكرم ؛ فهو ملوك متيَّم بحالتين : الأيادي البيضاء ، والمعامع الحمراء ، وقد قضت مشيئة الله (ﷻ) وحكمته ، ألا نرى هذا الملك الكريم الخُلُق إلا وهو يحمل سيفًا ليجاهد في سبيل الله ، أو يحمل دية الغارمين بماله ؛ لوجه الله ؛ مما جعل العُفَاة يلهجون بحمده والثناء عليه ؛ فهو يشعر بسعادة كبيرة عندما يُعطي للغارمين ؛ لذا يبني بهدم المال العُلا الشامخ ، وهذه سياسة حكيمة .

ثم يصفه بالمهابة ، يقول :

[من الطويل]

٥٥- مَهيبُ النَّفاتِ الطَّرْفِ ، سامٍ مُوَقَّرٌ ... عظيمٌ إذا لاحتْ وُجُوهُ العظائم
٥٦- يُذيبُ بعينيه العِدَى غيرَ ناظرٍ ... ويَسْبي بكفَّيه السُّهَا غيرَ نائم
٥٧- إذا نظرتْ فيه المُلُوكُ تَساقَطَتْ ... لهُ نُكَسُ الأبصارِ مثلَ العمائم
٥٨- يُغادِرُ مِنْ لُثْمِ المَباسِمِ في ثَرى ... مَواكِبِهِ أمثالَ ثُلْمِ المَناسِمِ
٥٩- لهُ الخيرُ ما أعطى إلى كُلِّ صارمٍ ... يَمِينًا ، وما أسطى بكُلِّ ضَبارِمِ
٦٠- إذا جرَّ أذيالَ الجُيُوشِ إلى العِدَى ... أطاعَتْهُ ، أو جرَّتْ ذُيُولَ الهزائم

وهو مَهيبُ النَّفاتِ الطَّرْفِ ، سامٍ مُوَقَّرٌ ، يُذيبُ بعينيه الأعداء - خوفًا ورُعْبًا - وهو مُغْضي بصره ، فكيف الحال لو نظر إليهم ، ويَفْحَصُهُمْ بعينيه ، ويَسْبي بكفَّيه نجم السها وهو جالس في مكانه بدون قيام ، فكيف الحال لو وقف . ثم شبَّه الملوك وانكسارهم وضعفهم أمام هيبته بالعمائم التي تتساقط عند الانحناء للملك . وتُقَدِّمُ كلتا يديه الخير ، فهو يعطي لكل طائع يمينًا ، ويسطو بكل معتـ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

ظالم ، ولا يوجد أمام عدوه إلا خياران لا ثالث لهما ، إما الاستسلام لـه وطاعـة
أوامره ، أو الهزيمة الساحقة .
ويستطرد إلى مدح بني عباد ، يقول :

[من الطويل]

٦١- وَمَنْ مِثْلُ عَبَّادٍ ، وَمَنْ مِثْلُ قَومِهِ ... لُيُوثُ حُرُوبٍ ، أَوْ بُدُورُ مَوَاسِمِ
٦٢- مُلُوكٌ مَنَاخُ العِزِّ فِي عَرَصَاتِهِمْ ... وَمَثْوَى المَعَالِي بَيْنَ تِلْكَ المَعَالِمِ
٦٣- هُمُ البَيْتُ مَا غَيْرُ الهُدَى لِبِنَائِهِ ... بَأْسٌ ، وَمَا غَيْرُ القَنَا بِدَعَائِمِ

ولا يوجد أحد يُضَاهِي عباد أو يماثل قومه الأشراف ؛ فهم ليوثٌ في الحرب ، وبدور في كل موسم ، ويشيد بمآثرهم ، وكرمهم ، وشجاعتهم .

ويُعَرِّجُ على وصف جنودهم ، يقول :

[من الطويل]

٦٤- إِذَا قَصَّرَ الرَّوْعُ الخُطَى نَهَضَتْ بِهِمْ ... طِوَالُ العَوَالِي فِي طِوَالِ المَعَاصِمِ
٦٥- وَأَيدٍ أَبَتْ مِنْ أَنْ تَثُوبَ ، وَلَمْ تَفُزْ ... بِجَزِّ النَّوَاصِي ، أَو بِحَزِّ الغَلاصِمِ
٦٦- نَدَامَى الوَغَى يُجْرُونَ بِالمَوتِ كَأْسَهَا ... إِذَا رَجَعَتْ أَسيَافُهُمْ فِي الجَمَاجِمِ
٦٧- هُنَاكَ القَنَا مَجْرُورَةٌ مِنْ حَقَائِظٍ ... وَثَمَّ الظُّبَى مَهْزُوزَةٌ مِنْ عَزَائِمِ

إذا قَصَّرَ الخوفُ الخُطَى نَهَضَ جنوده أصحابُ الهمم العالية للجهاد ، وهُمْ نَدَامَى ، يشربون الدماء عندما تَدْخُل أسيافُهُمْ في جَمَاجِم العَدُوّ .

ويعود – من جديد – إلى مدح المعتمد ، يقول :

[من الطويل]

٦٨- أَلَكْنِي مِنْهُمْ بِالسَّلامِ إِلَى فَتًى ... تَهَادَى بِهِ جُرْدُ العِتَاقِ الصَّلادِمِ
٦٩- إِلَى الحَاجِبِ السَّامِي إِلَى المَجْدِ نَاشِئًا ... وَإِنْ لَمْ تُثَبِّتْ فَاعْتَبِرْ بِالمَيَاسِمِ
٧٠- إِذَا رَكِبُوا فَانْظُرْهُ أَوَّلَ طَاعِنٍ ... وَإِنْ تَرَكُوا فَارْصُدْهُ آخِرَ طَاعِمِ
٧١- أَغَرُّ ، مَكِينٌ فِي القُلُوبِ ، مُحَبَّبٌ ... إِلَيهَا ، عَظِيمٌ فِي نُفُوسِ الأَعَاظِمِ
٧٢- تَبَوَّأَ مِنْ لَخْمٍ ، وَنَاهِيكَ مَقْعَدًا ... مَكَانَ رَسُولِ اللهِ مِنْ آلِ هَاشِمِ
٧٣- رَقِيقَ حَوَاشِي الطَّبْعِ ، يَجْلُو بَيَانُهُ ... وُجُوهَ المَعَانِي وَاضِحَاتِ المَبَاسِمِ
٧٤- وَبَارِعُ حُسْنِ الخَطِّ حَتَّى كَأَنَّمَا ... يُصَرِّفُ فِي القِرْطَاسِ رَاحَةَ رَاسِمِ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

٧٥- يَهْـزُ مِـنَ الأَقْـلامِ أَمْثِلَةَ القَنَـا ... لَهَا مِنْ لُطُوعِ المِسْكِ مِثْلُ القَشَاعِمِ

٧٦- إِذَا نُثِـرَتْ جَـاءَتْ بِبِـدْعَةِ نَاثِـرٍ ... وَإِنْ نُظِمَتْ جَـاءَتْ بِحِكْمَةِ نَاظِـمِ

يقول : إذا هجموا في المعركة فهو أولُ طاعن ، وعند الانتصار آخرُ طاعم ، ولا سبيل للمقارنة بينه وغيره من الملوك ، وقد نزل منزلةَ كريمةٍ في قبيلة لخم العريقة ، وكفى به مقعدٌ كريمٌ تَبَوَّأَهُ ، وقد حباه الله طبعًا رقيقًا هيَّا له أن يصول بيانه واضح المعاني كوضوح الثغور في الوجوه ، كما تميز ببراعته الفائقة في حُسْنِ الخطِّ ؛ حتى بدت يده في الصحيفة يدَ رسام ، وهو يُحرِّك الأقلام كالرماح ، علاوة على أنه فصيحٌ في شعره ونثره .

ثم يُهْدِي قصيدته للمعتمد ويرجوه أن يقبلها ، يقول :

[من الطويل]

٧٧- أَبَا القَاسِـمِ ، اقْبَلْـهَا إِلَيكَ فَـإِنَّـمَا ... ثَنَاؤُكَ مِسْكِي ، وَالقَوَافِي لَطَائِمِي

٧٨- مُحَمَّلَةً عُـذْرًا ؛ فَـإِنَّـكَ جُـمْلَـةٌ ... مِـنَ الفَضْـلِ لَـمْ أَسْتَوفِهَا بِتَرَاجِمِي

وقد ذاعت هذه المدائح ، ووصلت الآفـاق البعيـدة ، وأصـبح النـاس يستمتعون بها وكأنها مسكٌ فواح ، رائحته بعيدة المسار واسعة الانتشار ، وقد اعترف بتقصيره في مدحه ، وبعجزه عن إيفائه ما يستحقه من ثناء ، وطلب منه أن يَعْذُرَهُ ؛ لأنه جملة مِن الصفات لم يستطع أن يستوفيها بعبارة .

ثُمَّ يُمْعِنُ في التذلل مستعطفًا ؛ كي يعود من منفاه ، يقول :

[من الطويل]

٧٩- فَدَيتُك ، مَا حَبلُ الرَّجَاءِ عَلَى النَّـوَى ... بِـوَاهٍ ، وَلا رَبْـعُ الوَفَـاءِ بِقَـاتِـمِ

٨٠- أَنَا العَبْدُ فِي ثَوبِ الخُضُوعِ لَو انَّنِـي ... أَرَى البَـدْرَ تَـاجِي ، وَالنُّجُـومَ خَوَاتِمِي

٨١- وَمَـا عَـزَّ فِي الدُّنْيَا طِلابٌ لِمَاجِدٍ ... وَلا اعْتَاصَ فِـي الأَيَّـامِ وِرْدٌ لِحَائِمِ

٨٢- وَلَكِنَّ ذَاكَ الظِّـلَّ أَنْـدَى غَضَارَةً ... لِضَاحٍ ، وَذَاكَ البَرْقُ أَوْفَى لِشَائِمِ

٨٣- وَإِنِّي- إِذَا أَنْصَفْتَ - بَعْدَكَ خَـادِمٌ ... لِدَهْرِي ، وَكَانَ الدَّهْرُ عِنْدَكَ خَادِمِي

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

٨٤- تُرَاكَ تَنَسَّمْتَ الَّذِي قَدْ أَذَعْتُهُ ... فَأَرْضَاكَ ، أَمْ غَابَتْ عَلَيْكَ مَقَادِمِي

٨٥- لَعَمْرِي لَقَدْ أَفْعَمْتَ كُلَّ مُقَاصِرِ ... بِمَا فِيكَ مِنْ تِلْكَ السَّجَايَا الكَرَائِمِ

٨٦- أُنَازِعُهُ فِيكَ الثَّنَاءَ فَيَنْثَنِي ... كَأَنِّيَ نَازَعْتُ الكُؤُوسَ مُتَادِمِي

٨٧- وَلا غَرْوَ أَنْ حَيَّتْكَ بِالطِّيبِ رَوْضَةٌ ... سَمَحْتَ لَهَا بِالعَارِضِ المُتَرَاكِمِ

٨٨- وَثِقْتَ بِحَظِّي مِنْكَ ، لَمْ أَخْشَ نَبْوَةً ... عَلَيْهِ ، وَأَزْمِ بِالظُّنُونِ الرَّوَاجِمِ

٨٩- وَلَوْ نَهَضَتْ بِي قُدْرَةٌ كُلَّ سَاعَةٍ ... لأَدَّيْتُ مِنْ تَقْبِيلِ كَفِّكَ لازِمِي

٩٠- لَعَلَّ الَّذِي أَقْذَى بِتَرْحَةِ رَاحِلٍ ... عُيُونًا سَتَجْلُوهَا بِفَرْحَةِ قَادِمِ

٩١- فَتَرْجِعُ أَيَّامٌ مَضَتْ ، وَكَأَنَّهَا ... - إِذَا امْتَثَلَتْهَا النَّفْسُ - لَذَّةُ حَالِمِ

٩٢- وَإِنْ غَالَنِي مِنْ دُونِهِنَّ مَتِيَّتِي ... فَأَقْدَارُ رَبٍّ بِالمَنِيَّةِ حَاكِمِ

يؤكد أن الأواصر العميقة التي جمعت بينهما لم يقطعها البُعْد ، ويخاطبه مخاطبة الخاضع الذليل ، ويصف نفسه بأنه عبدٌ له ، يرتدي ثوب الخُضُوع ؛ حتى إنْ أصبح البدر تاجًا له والنجم خاتمًا يلبسه ، ولا يستعصي مطلبٌ لمَنْ يَلْزَم الجِدّ والاجتهاد ، وكذلك لا يستعصي وِردٌ لمن يسعى بدأبٍ لتحقيق هدفه ، ولا يُقصَدُ بهذا البيت مُخَاطَب مُعَيَّن ؛ ومِمَّا يُعَضِّدُ ذلك أن البيت مَسُوق على هيئة حكمة ، وهي تتناسب مع تعميم الخطاب . ويُقَرِّرُ أن الحزن لا يفارقه ، ويقارن بين حاله عندما كان يعيش في كنف المعتمد ؛ حيث كان الدهر خادمًا له ، وبعد النفي - في الوقت الحاضر - أصبح خادمًا للدهر . ويُنَوِّهُ بما جُبِلَ عليه من سجايا كريمة أفحم بها كل من يحاول أن يُبَارِيه في مدحه ، ويتمنى أن يعود - بأقصى سرعة ممكنة - إلى وطنه ؛ فعندئذٍ ينالُ المُنَى .

وهو يجد لذة في استرجاع الذكريات الماضية ، وكأنه يعيش بتلك الذِكْرى هذه الحياة مرة ثانية يلهو ويمرح ، كما يتألم لفقدها ؛ لأن « تَذَكُّر تجارب الماضي السارّ يكون من دواعي سرورنا إذا كان هناك أمل - على الأقل - في تكرار تلك التجارب ... أما إذا انقطع الأمل في عودة التجارب السارّة ... فإن النتيجة تكون عكسية »(١٢٨) .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

ويختتم القصيدة بالدعاء له بأن يتوالى عليه السعد ، ويكون ألزم صاحب ، ويكـــون الله (ﷻ) لـــه أكبـــر عاصـــم وحـــافظ ، يقـــول :

[من الطويل]

٩٣- تَوَالَى عَلَيكَ السُّعْدُ أَلْزَمَ صَاحِـبٍ وكَانَ لَكَ الرَّحْمَنُ أَكْـلأَ عَـاصِـمِ

وقد كره النقاد أن تُختتم القصيدة بالدعاء ، إلا للملوك الذين يشتهون ذلك ، لأن الدعاء - كما يَرَون - من عمل أهل الـضعف (١٣٩) ، ويجـب أن يكـون « الاختتام في كل غرض بما يناسبه »(١٤٠) ، ويَحْسُنُ أن تُخْـتَمَ قـصيدة المـدح « بالتَّيَمُّنِ للممدوح ، والدعاء له بالسعادة ، ودوام النعمة ، والظهور علـى الأعـداء »(١٤١).

وقد طالت القصيدة ؛ حتى بلغت ثلاثة وتسعين بيتًا - وهي أطول قـصائد الديوان - للتعبيرَ عن مشقة الحالة التي يعانيها في المنفى ، فهو يريـد أن يُـوحي بقسوة البعاد وشدته ، وعجزه عن تحمُّله ، وشعوره بالضعف والضيق . ولا يخفى أن طول القصيدة يُظْهِر تفوق الشاعر ، واتساع أُفُقه ، وثـراء أفكـاره ، وإكبـار الممدوح ؛ وتعظيم شأنه .

وهي تصوِّر نفسية ابن عَمَّار قلقة حائرة ، تتأرجح بين الخوف والرجاء ، ويشعر قارئ القصيدة بتوتر الشاعر وافتعاله وتصنُّعه ، كما يلاحـظ اضـطراب الكلام ؛ مما يجعل القصيدة مفككة غير مترابطة ، إن صراعه مع الحيـاة وقلقـه النفسي وحيرته أدَّى إلى الخلط بين الأغراض .

وما من قصيدة ذات طول تستطيع أن تنحصر في موضـوع واحـد ، أو خاطرة واحدة ؛ فتعدُّد الأغراض أمرٌ لازم ، ولكن بشرط أن تقوم فيما بينها علـى النمو المُطَّرِد ، بحيث ينشأ اللاحق من السابق نشوءًا مُقْنِعًا ، ويمتد كذلك إلى لاحقه بنفس الطريقة ؛ بحيث تتكامل أجزاء القصيدة في إبراز فكرتها العامة ، وتُوَضِّح المغزى الذي بُنِيتْ عليه (١٤٢).

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

وأرى أنّ كل أغراض القصيدة – على اختلافها – مرتبطة في نفس الشاعر ؛ ويربط بينها جميعًا وحدة التفكير والشعور، وحالة الشاعر النفسية ، حيث توجد وحدة عاطفية واحدة تصبغ عناصر القصيدة جميعًا بلون واحد ؛ فهو يُعَبِّرُ عما يختلج في قلبه من مشاعر متصارعة وأحاسيس متباينة ، لقد جعل من موضوعات القصيدة خيوطًا متداخلة حسب اللحظة النفسية التي يمر بها .

ومن ملامح نفسيته شعوره بالحاجة إلى الأمن والاستقرار، وفزعه من الغربة والتشرد ؛ فهو في حالة نفسية قلقة ، وأنّى للنفس القلقة الحزينة التفكير في منهج القصيدة وتسلسل أحداثها ؛ لذا نجده ينتقل في القصيدة من غرض إلى آخر بدون سبب ظاهر .

واشتد شوق المعتمد لابن عَمّار، وما أثار هذا الشوق إلا ألفاظ ابن عَمّار ومعانيه ؛ فبكى لبكائه ، لكن هناك فرق بين البكاءين ، كان بكاءُ ابن عَمّار مزيفًا يبغي به الزُّلْفَى عند المعتمد ؛ لتحقيق منافع شخصية له ، وعلى النقيض كان بكاءُ المعتمد صادقًا ، فقد أحَبَّ ابن عَمّار وكان وفيًّا لصداقته .

ونستشف من هذه القصيدة ما يتصف به ابن عَمّار من دُرْبَة في سياسة الأمور ، وصولاً إلى ما يبتغيه من نوايا بعيدة مستورة .

ويعرف المعتضد أن هذه المدائح من باب النفاق والتزلُّف ليس إلا ؛ لأنها تخلو من العاطفة الصادقة التي تَهُزُّ الوجدان ، وإنما قوامها الخوف الذي سيطر على ابن عَمّار من بطشه .

وهناك قصيدة أخرى أرسلها ابن عَمّار للمعتضد من منفاه ، بدأها بالغزل في المذكر ، ثم أعْرَبَ عن شوقه الشديد لإشبيلية ، يقول (١٤٣) :

[من الكامل]

١- جَاهُ الهَوَى – فَاستَشْعَرُوهُ – عَارُهُ ... وَتَعِيمُهُ – فَاستَغْذَبُوهُ – أُوَارُهُ !

٢- لا تَطْلُبُوا فِي الحُبِّ عِزًّا ؛ إِنَّمَا ... عُبْدَانُهُ فِي حُكْمِهِ أَحْرَارُهُ

٣- قَالُوا : أَضَرَّ بِكَ الهَوَى ؛ فَأَجَبْتُهُمْ : ... يَا حَبَّذَاهُ ، وَحَبَّذَا إِضْرَارُهُ

٤- قَلْبِي هُوَ اخْتَارَ السُّقَامَ لِجِسْمِهِ ... زِيًّا ؛ فَخَلُّوهُ وَمَا يَخْتَارُهُ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

٥- عَيَّرْتُمُونِي بِالنُّحُولِ ، وَإِنَّمَا ... شَرَكُ المُهَنَّدِ أَنْ تَسِيلَ نُفُوسَ

٦- وَشَمَتُّمُ لِفِرَاقِ مَنْ آلَفْتُهُ ... وَلَرُبَّمَا حَجَبَ الهِلَالَ عُبُوسَ

٧- أَحَسِبْتُمُ السُّلْوَانَ هَبَّ نَسِيمُهُ ... أَوْ أَنَّ ذَاكَ النُّومَ عَادَ غُمُوسَ

٨- إِنْ كَانَ أَعْيَا القَلْبُ مِنْ حَرِّ الجَوَى ... خُذْلَانُهُ مِنْ دَمْعِيَ الإِنْسَانُ

٩- مَنْ قَدَّ قَلْبِي إِذْ تَثَنَّى قَدُّهُ ... وَأَقَامَ عُذْرِي إِذْ أَطَالَ مَلَامِي

١٠- أَمْ مَنْ طَوَى الصُّبْحَ المُنِيرَ نِقَابُهُ ... وَأَحَاطَ بِاللَّيْلِ البَهِيمِ لِثَامُ

١١- غُصْنٌ ، وَلَكِنَّ النُّفُوسَ رِيَاضُهُ ... رَشَأٌ ، وَلَكِنَّ القُلُوبَ ظِبَاءُ

١٢- سَخِرَتْ بِبَدْرِ التَّمِّ غُرَّتُهُ كَمَا ... أَزْرَتْ عَلَى آلِ الهِلَالِ أَزَارُ

١٣- مَا زَالَ لَيْلُ الوَصْلِ مِنْ فَتَكَاتِهِ ... تَسْرِي إِلَيَّ بِغَرْقِهِ أَنْهَارُ

١٤- وَيَجُودُ رَوْضُ الحُسْنِ مِنْ وَجَنَاتِهِ ... دَمْعِي ؛ فَيَنْدَى رَنْدُهُ وَيَهَارُ

يتضرع الشاعر إلى محبوبه ، ويَستَلِذُّ بالعذاب ويستعذبه ، ويجد في ر
العذاب لذته ومتعته ، ويَصُمُّ أذنه عن أقوال العُذَّال ، ويستغرق في ح
ويَرْضَى بما يُرْضِي المحبوب به ؛ ويشير إلى شماتة الحُسَّاد وملاحظة الرقا
ويلتمس لنفسه العذر في توقد أُوَار الجوى في قلبه ، وانسكاب الدموع الغزار
عينه ؛ وذلك لأن مشية المحبوب تُحَرِّكُ قَلْبَهُ ، ويطول عذره عندما ينظر لجما
وجهه .

ويشتد انفعال الشاعر ويزداد حزنه ؛ فتبكي عيناه ؛ علَّهُ يُنَفِّسُ عمَّا يج
من معاناة في حبه ؛ ذلك أنه لا يتحمل بُعد المحبوب ؛ لذا يصف سوء حاله بعد
هجره ، يقول : [من الكامل]

١٥- حَتَّى سَقَانِي الدَّهْرُ كَأْسَ فِرَاقِهِ ... فَسَكِرْتُ سُكْرًا لا يَقِيقُ خُمَارُ

١٦- وَوَقَفْتُ فِي مِثْلِ المُحَصَّبِ مَوْقِفًا ... لِلْبَيْنِ مِنْ حَبِّ القُلُوبِ جِمَارُ

١٧- حَيْرَانُ ، أَعْمَى الطَّرْفِ ، وَهْوَ سَمَاؤُهُ ... وَأَذَابَ فِيهِ القَلْبَ ، وَهْوَ قَرَارُ

١٨- وَلَئِنْ يُذِيبُهُ ، وَهْوَ مَثْوَاهُ فَكَمْ ... قَدْ أَحْرَقَتْ عُودَ العَقَارَةِ نَارُ

١٩- إِنْ يَهْنِهِ أَنِّي أَضَعْتُ لِحُبِّهِ ... قَلْبِي ، وَذَاعَتْ عِنْدَهُ أَسْرَارُ

٢٠- فَلْيُهْنِ قَلْبِي أَنَّ شَكَاتَهُ وَشَاحُهُ ... لِسِوَارِهِ ؛ فَاقْتَصَّ مِنْهُ سِوَارُ!

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

عندما ذاق فراقه سكرَ سكرًا شديدًا ، ووقف موقفًا جليلاً وكأنه في موضع رمي الحمار بمنى ، وجعل حبات القلوب هي جمارُهُ ؛ فقد كان حيران مُشتّت الفكر ، وكأنه لا يرى ، ولئن أذاب المحبوب قلبه وهو قاطنٌ فيه ، فكثيرًا ما أحرقت عودَ العفارة نارُه .

ويُعلِنُ – في نهاية القصيدة – شوقه لإشبيلية ، وتعلُّقِه بها ؛ حتى إنه لا يرى الأنس إلا في ربعها العامر ، يقول :

[من الكامل]

٢١- فوَخَسْتَه لَقَد انتَدَبْتُ لِوَصْفِه ... بالبُخْلِ لَولا أنّ حِصْنَا دَارُهُ

٢٢- بَلَدٌ رَمَتْنِي بِالمُنَى أغْصَانُهُ ... وتَفَجَّرَتْ لِي بالنَّدَى أنْهَارُهُ

٢٣- بَلَدٌ مَتَى أذْكُرْهُ هَيَّجَ لَوعَتِي ... وإذَا قَدَحتَ الزَّنْدَ طَارَ شَرَارُهُ

وقد وردت الهاء في ألفاظ القافية ضميرًا يعود على غائب ، ويُوحي تكرارها بهذه الكثافة بالإجهاد وتهدُّج النَّفَس ؛ إذ « يتخذ الفم عند النطق بالهاء وضعًا يُشبه الوضع الذي يتخذه عند النطق بأصوات اللين »[١٤٤] ، التي ترتبط بنَفَس عميق يُوحي بالتأوُّه .

وقد التزم المعتضد بدفع إتاوة سنوية لفردناند الأول منذ سنة ٤٥٥هـ (١٠٦٣م)[١٤٥] ، وظلت مملكة إشبيلية ملتزمة بها حتى في فترات قوتها ، كما حاصر مَالقة (Malaga)[١٤٦] بقيادة ابنه المُعتَمِد وأخيه جابر سنة ٤٥٨هـ[١٤٧] ؛ حتى كادت تخضع لهما ، لولا تهاون المُعتَمِد وغفلته ، وقد تَجلَّى ضعفه عسكريًا حين نصحه أهل مالقة – عندما فتحها في بداية الأمر وكان النصر حليفه – بأن يُثبِّت جواسيسه ، وألاَّ يغفل عن مطاردة الممتنعين بالحصون ، غير أنه « عدل عن انتهاز فرصتهم ، وإبراء غُصَّتهم ، إلى الاستراحة من تعبه ، والإناخة على لهوه ولعبه ، وتفرّق أصحابُهُ في ارتياد القينات ، وطراد اللَّذّات »[١٤٨] ، وكاد المعتضد يفتك بهما ، لولا ضراعة المعتمد إليه بقصيدة تبلغ أربعين بيتًا ، وهي أطول قصيدة في ديوانه[١٤٩] ، ومطلعها :

[من البسيط]

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

١- سكّنْ فُؤادَكَ لا تَذْهَبْ بِكَ الفِكَـرُ ... مَـاذَا يُعِيـدُ عَلَيكَ الهَـمُّ والحَذَرُ

ومنها :

٢٥- مَولايَ ! دَعوَةَ مَملُوكٍ بِهِ ظَمَأٌ ... نَزْحٌ ، وَفِي رَاحَتَيكَ السَّلسَلُ الخَصِرُ

٢٦- أَجِبْ نِـدَاءَ أَخِـي قَلْبٍ تَمَلَّكَهُ ... أَسَى ، وَذِي مُقْلَةٍ أَودَى بِهَا السَّهَرُ

٣٣- وَإِنَّمَا أَنَا سَاعٍ فِي رِضَاكَ فَإِنْ ... أَخْفَقْتَ فِيهِ ، فَـلا يُفسِحْ لِيَ العُمُـرُ

وفي عام ٤٦٠هـ استدعى المعتضد أبا حفص عمر بن الحَسَن الهوزني إلى قصره ، وباشر قتله بيده (١٥٠) ؛ لأنه تجرأ وخاطبه برقعةٍ يَحُضُّهُ فيها على الجهاد .

وظل ابن عَمّار منفيًّا قُرَابة عشر سنوات (من سنة ٤٥١هـ إلى سنة ٤٦١هـ) ، وكان هَمُّهُ الأول طوال هذه الفترة أن يحظى بعفو المعتضد ، وتَوَسَّلَ لتحقيق هذه الغاية بكل السُّبُل ، حتى إنه أرسل قصيدتين لابن زيدون وزير المعتضد يطلب منه فيهما أن يشفع له عند المعتضد (١٥١) .

وتُوُفِّي المُعْتَضِدُ عام ٤٦١هـ (١٠٦٩م) ، وتولّى المعتمد مملكة إشبيلية ، وسُرْعَان ما استدعى صديقه ابن عَمّار من منفاه ، وجعله ملازمًا له ، « وقَرَّبَهُ أشدَّ تقريب ؛ حتى كان يشاركه فيما لا يشارك فيه الرجل أخاه ولا أباه »(١٥٢) .

وقد سأله ابن عَمّار أن يتولّى مدينةَ شِلْب التي نشأ فيها ؛ ولَبّى المعتمد رغبته ، وفَوَّضَ إليه كلَّ أمورها (١٥٣) .

وعندما هَمَّ بالخروج إليها « ثار للمعتمد هُيَامُهُ القديم وكَلَفُهُ ، وتجدّد له معلَقُهُ ومألَفُهُ ، فإنه عَمَّرَها في ظل صِبَاه ، وفَرَّعَ بها هِضَابَ السُّرُور ورُبَاهُ ، وبُرْدُ عُمْرِه قشيبٌ ، وشَبَابُهُ لَمْ يَرُعْه مَشِيبٌ » (١٥٤) ، ووَدَّعَهُ بقصيدة مطلعها (١٥٥) :

[من الطويل]

١- ألا حَيِّ أوطـانِـي بِشِلْبَ ، أبَا بَكْـرِ ... وَسَلْهُنَّ : هَلْ عَهْدُ الوِصَالِ كَمَا أَدْرِي ؟

وقد زَهَا ابن عَمّار بنفسه حين دخل شلب واليًا عليها ، وكأنه - بقصد أو بدون قصد - في حاجة إلى لفت الأنظار إليه ؛ لذا « دخلها في موكبٍ ضخم ،

سوحة صويا بـ CamScanner

CamScanner سوحة صويا بـ

Scanned with CamScanner

وحملة عنيد وحشم ، وأظهر نخوة لم يظهرها المعتمد على الله حين ولدها أيام أبيه (١٥٦) .

وقد سعى إلى كسب الصيت بين الناس مثلما السيطرة ؛ فهو مُحِبٌّ للظهور ، مزهوٌّ بما يُحْدِثُ من أثر ، ولعله شَعَرَ بالكبرياء - حين وجد نفسه يعود إلى شلب غنيًا بعد أن خرج منها فقيرًا - لأنه يجتهد أن يُخْفِي ماضيه الحقير تحت رِدَاء العظمة ، وقد يكون لهذا الاتجاه ما يُبَرِّرُهُ في دخيلة نفسه ؛ فإن شخصية الإنسان تظهر في أيّ سلوك يَسلُكُهُ ، ويَشِفُّ التصرُّف أو السلوك الخارجي عن الدوافع والبواعث النفسية التي أدّتْ إليه .

والتظاهر بالكمال والتفرُّد ليس إلا انعكاسًا للشعور بالنقص ؛ فإن المصور المتطرفة في السلوك هي عادة من قَبِيل تكوين ردّ الفعل (reaction formation) ، كالذي يخاف ولا يُريد أن يُطلع الناس على خوفه ؛ فيتظاهر بالشجاعة ويُغالي فيها ، أو كالذي يُضمر الكراهية وتستبد به ميوله العدوانية ؛ فينجح في كبتها بأن يُظهرَ الحب ، ويجد في ذلك سرورًا ، وهذه اللذة تُعِينُهُ على إطلاق غريزة مكبوتة (١٥٧) .

ولَمَّا وَجَدَ المعتمدُ نفسه غير قادرٍ على فراقه ؛ أقَالَهُ من ولاية شلب بعدما « اشتد شوقه إليه ، وضَعُفَ عن احتمال الصبر عنه ، فاستدعاه وعزله عنها واستوزره » (١٥٨) .

والواقع أن عودة ابن عَمّار لإشبيلية كانت بدوافع سياسية أكثر منها عاطفية ؛ فلم يكن من مصلحته أن يظل بعيدًا عن المعتمد في تلك الفترة ، وكان المعتمد نفسه في أشد الحاجة إليه كي يساعده في إدارة شئون إشبيلية (١٥٩) .

وكان المعتمد « لا يستوزر وزيرًا إلا أن يكون أديبًا شاعرًا حسن الأدوات » (١٦٠) ،

ولم يكن الشعر وحده كافيًا لكي يصل الشاعر إلى مرتبة الوزارة ، بل يجب أن يجمع الشاعر بين موهبتي النظم والنثر معًا ليبلغ تلك المنزلة (١٦١) ، والوزير

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

الذي ينوب عن الملك « يُعرَف بذي الوزارتين ، وأكثر ما يكون فاضلاً في علم الأدب ... بل عالمًا بأمور الملك خاصة » (١٦٢).

ومَنْ يُنَاطُ به مثل هذا المنصب لا بُدَّ أن يكون من أصحاب العقل ، ممن لا يتورط في مواقف تُحسَبُ عليه ، وقد وَصلَ ابن عمّار إلى هذه المرتبة ، التي تتقطع دونها أعناق الشعراء ، وكان يُبَاشِر الأمور بلباقة ، وحنكة ، ودهاء ، وحُسْن تدبير ، وأصبح الوزير الأول لدولة بني عباد في إشبيلية ، وصار عند المعتمد كجعفر بن يحيى البرمكي عند هارون الرشيد (ت ١٩٣هـ) (١٦٣).

وأول عمل عسكري قام به المعتمد بعد وفاة أبيه هو ضمّ قرطبة إلى مملكة إشبيلية سنة سنة ٤٦٢هـ (١٠٧٠م) (١٦٤) ، بعد أن استعمل الحيلة والمكر في القضاء على بني جَهْوَر ؛ فقد جاءت جيوشه إليها لتدعيم مُلْك عبد الملك بن جهور ، وصَدّ غارات ابن ذي النون عنها ، ثم لم تلبث هذه الجيوش أن بسطت نفوذها على حاضرة الأمويين ، وولّى عليها ابنه سراج الدولة أبو عمرو عبّاد (١٦٥) ، على أن يساعده قائده أبو بكر محمد بن مرتين (١٦٦) ، وانصرف إلى إشبيلية .

وكان المعتمدُ مُحِبًّا للهو ؛ حتى إنه قد يهمل واجباته إذا « دعته دواعي نفسه إلى قينته وكأسه » (١٦٧) .

وقد حَظِيَ ابن عَمّار عند المعتمد بالمنزلة الرفيعة ، وأشركه في أموره كلها ، « فقد كان مِنْ قُلْبِهِ بمكان ، ومِنْ إيثارِ قُرْبِهِ في شان » (١٦٨) ، كما استأثر بثقته ، واستحوذَ على حُبّه ؛ ولهذا كان « يؤثره على خاصته ، ويستريح إليه بسِرِّهِ » (١٦٩) ، وكان كلاهما « نقي العِذَار من ثَوبِ الوقَار ؛ فلما صار الأمر إلى المعتمد ، حَافَظَ عليه ، وامتزج به امتزاج الماء بالعُقَار» (١٧٠) .

ومَرَّ المعتمد ليلة مع ابن عَمّار « بباب شيخ كثير التهكّم والتنديز، يَمْزُج ذلك بانحراف يُضْحِكُ الثُّكْلَى ، فقال لابن عَمّار : تعالَ نضربْ على هذا الشيخ الساقطَ بابَه ؛ حتى نضحك معه ، فضَربا عليه الباب ، فقال : مَنْ هذا ؟ فقال ابن عَبّاد : إنسان يرغب أن تَقِدَ له هذه الفَتِيلة ، فقال : والله لو ضَرَبَ ابنُ عبّاد بَابِي

سوحة صويا بـ CamScanner
CamScanner سوحه صويا بـ
Scanned with CamScanner

في هذا الوقت ما فتحته ، قال : فإني ابنُ عبّاد ، قال : مصفوعٌ ألف صَفْعَة ، فضحك ابن عبّاد حتى سقط إلى الأرض ، وقال لوزيره : امضِ بنا قبل أن يَتَعدّى الصفع من القولَ إلى الفعل ، فهذا شيخ ركيك . ولمّا كان من غدٍ تلك الليلة وَجّه له ألف درهم، وقال لمُوَصّلها : قل له هذه حَقّ الألف صفعة التي كانت البارحة »(١٧١) .

وفي جولة لهما في حيّ الجبّاسين والجيّارين في إشبيلية ، لَقِيَا امرأة ذات جمالٍ مفرط « فَكَشَفَتْ وَجْهَهَا ، وتَكَلّمَتْ بكلامٍ لا يقتضيه الحياء ... فالتفت المعتمد إلى موضع الجيّارين ، وقال : يا ابن عَمّار الجيارين ؛ ففهم مراده ، وقال في الحال : يا مولاي والجبّاسين ... وتفسيرها أن ابن عبّاد صَحّفَ (الحَيا زَين) بقوله الجيّارين ، إشارة إلى أن تلك المرأة لو كان لها حياء لازدانت ، فقال له والجبّاسين وتصحيفه (والخَنَا شَين) أيّ : هي وإن كانت جميلة بديعة الحسن لكن الخنا شانها »(١٧٢) .

وقال يمدح المعتمد حين نزل ببعض الحصون(١٧٣) :

[من المتقارب]

١- عَلَى اليُمْنِ وَالطّائِرِ السّانِحِ ... نَزَلْتَ ، وَغَيْرُكَ لِلبَارِحِ
٢- وَمَا اهتَجْتَ إلاّ وَقَدْ هَيّجَتْكَ ... دَوَاعٍ إلَى البَلَدِ النّازِحِ
٣- وَإلاّ فكَمْ خَفَّ مَنْ خَفَّ جَهْلاً ... فَمَا هَزّ مِنْ حِلْمِكَ الرّاجِحِ
٤- تَطَلّبْ حُقُوقَكَ لا لائِمٌ ... فَقَدْ بَيّنَ الصُّبْحُ لِلامِحِ
٥- وَمَنْ يَعْتَرِضْكَ بِأوْدَاجِهِ ... فَكُلْهُ إلَى سَعْدِكَ الذّابِحِ
٦- وَكَمْ يَزْجُرُونَ ، وَكَمْ يَنْصَحُونَ ... فَمَا يَقْبَلُونَ مِنَ النّاصِحِ
٧- وَمَا كَانَ أنْصَفَهُمْ لَو رَمَوا ... زِنَادَ الوَغَى لِيَدِ القَادِحِ
٨- وَلا عَجَبٌ لِثُبُوتِ القِلاعِ ... عَلَى بَأسِكَ الهَادِمِ النّاطِحِ
٩- فلولا امْتِنَاعُ الفَتَاةِ الكَعَابِ ... لَمَا كَمُلَتْ لَذّةُ النّاكِحِ
١٠- خَلَقْتَ الكَرَى فِي طِلابِ العُلا ... عَلَى نَائِمٍ دُونَهَا طَافِحِ
١١- هَنِيئاً فَأنْتَ مَلِيكُ المُلُوكِ ... فَقَدْ صَرّحَ الجِدُّ لِلْمَازِحِ
١٢- وَمَا أخّرَتْنِيَ عَنْكَ النُّجُو ... مُ ، يَا غُرّةَ القَمَرِ اللاّئِحِ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

١٣- ولا النَّهرُ لم يثْنِني عنْ وُرُود

نـدى يحرك الزاهر الطامع

خلتْ القصيدة من المقدمة ؛ لما يقتضيه الموقف من الحماسة والفخر، وفيها يُهَنِّئُ المعتمدُ باستيلائه على هذا الحصن المنيع ، واتَّسمتْ هذه القصيدة بالقصر. وقد قال جرير (ت١١٤هـ) : « يا بَنِيَّ ، إذا مدحتم فلا تُطيلُوا المدائح ؛ فإنه يُنسَى أولها ، ولا يُحفَظُ آخرها »[١٧٤] ، ويَرْضَى النقاد بهذا المنهج لما فيه من مُرَاعاة مقتضى الحال .

ولم يكن المعتمد يبخل على ابن عَمَّار بأغلى الهدايا وأثمنها ؛ مما جعله يُثْنِي عليه قائلاً :

[من الطويل]

١- أفِـي كُـلِّ يَـومٍ تُحْفَـةٌ وتَفَقُّـدُ ... بِفَضْلِ نَـوَالٍ واهْـتِبَـالٍ يُسَوِّدُ

٢- لَقَدْ فَازَ قِدْحِي فِي هَوَاكَ ، وَقَابَلَتْ ... مَطَالِعُ خَـالِي فِـي سَمَائِكَ أسْعُدُ

٣- تَبَرَّعْتَ بِـالمَعْرُوفِ قَبْـلَ سُؤَالِهِ ... وَعُدْتَ بِمَا أوْلَيتَ ، والعَوْدُ أحْمَدُ

٧- فَإِنْ أنَا لَـمْ أشْكُرْكَ صَادِقَ نِيَّـةٍ ... تَقُومُ عَلَيهَا آيَـةُ النُّصْـحِ تَشْهَدُ

٨- فَلا صَحَّ لِي دِينٌ ، وَلا بَرَّ مَذْهَبٌ ... وَلا كَرُمَتْ نَفْسِي ، وَلا طَابَ مَوْلِدُ[١٧٥]

ويدل الإهداء على عمق الصلة والصداقة القوية بينهما ، وقد أهدى ابنُ عَمَّار في عيد النَّيرُوز إلى المعتمد ملابس من الحرير البحري الأصفر ، وهو قماش له بريق ذهبي ، يُصنَعُ من صوف البحر ، أو بالدقة من نبات بحري يُلتقط من شواطئ الإطلنطي ، وتُنْتِجُهُ مصانع أندلسية [١٧٦] . وكتب معه :

[من الكامل]

١- لَمَّا رَأيتُ النَّاسَ يَحْتَشِدُونَ فِي ... إتْحَافِ يَومِكَ جِئْتُهُ مِـنْ بَـابِهِ

٢- فَبَعَثْتُ نحْوَ الشَّمْسِ شِبْهَ إهَابِهَا ... وَكَسَوتُ متْنَ البَحْرِ بَعْضَ ثِيَابِهِ[١٧٧]

وأثَّرَتْ هذه الهدية في نفس المعتمد ، فوَجَّهَ إليه بمكبة فضة فيها خمسة دينار ، وكتب معها

[من الكامل]

١- هِبَةٌ أتَتْكَ مِـنَ النُّضَارِ أُلُوفُهَا ... فَاغْنَمْ جَزِيلَ المَالِ مِنْ وَهَّابِهِ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

٢- فلوْ انَّ بيتَ المالِ يحوِي قفلَهُ ... أضعافَها لكسرتُهُ عنْ بابِهِ
٣- وملأتُ منهُ يديكَ لا مُستأثِرًا ... فيهِ عليكَ لكي تُرَى أولَى بهِ
٤- فالبحرُ يطفحُ جودُهُ لكَ زاخِرًا ... لمَّا كسوتَ البحرَ بعضَ ثيابِهِ (١٧٨)

واصطلح المُعتمِد يوم غيم مع زوجته اعتماد الرميكية ، واحتجب عن ندمائه ؛ فكتب إليه ابن عمّار :

[من الطويل]

١- تجهَّمَ وجهُ الأفقِ ، واعتلَّتِ النَّفسُ ... لأنْ لَمْ تلُحْ للعينِ أنتَ ولا الشمْسُ
٢- فإنْ كانَ هذا منكُمَا عنْ تـوافُـقٍ ... وضَمَّكُمَا أُنسٌ ؛ فبهْنِيكُمَا الأُنـسُ (١٧٩)

لقد تجهَّمَ أفق السماء وأظلمت ، وشعرتْ نفسي بالإعياء والتعب ؛ لأن عيني لم تسعد برؤيتك أو رؤية اعتماد ، فإن كان اجتماعكما للأنس ؛ فإني أدعو لكما بالسعادة .

ولم تكن مجالس اللهو تصفو بدون ابن عمّار ؛ فهو الأنسُ كله ، لذا أجابه المعتمد بقوله :

[من الطويل]

١- خليليَّ قُـولا ، هَلْ عَلَيَّ مَلامَةٌ ... إذَا لَمْ أغِبْ إلاَّ لتحضُـرَنِي الشَّمْسُ
٢- وأُهدَى بأكْوَاسِ المُـدَامِ كَوَاكِبًا ... إذَا أبصرَتْهَا العينُ هَشَّتْ لَهَا النَّفْسُ
٣- سلامٌ ، سلامٌ ، أنتُمَا الأُنسُ كُلُّهُ ... وإنْ غِبْتُمَا ، أمْ الرَّبِيعِ هِيَ الأُنـسُ (١٨٠)

وعندما أُدخِلَتْ عليه باكورة نرجس ، كتب إلى ابن عمّار يستدعيه لمجلس أنس :

[من مُخلَّع البسيط]

١- قَدْ زَارَنَا النَّرْجِسُ الذَّكِيُّ ... وَحَـانَ مِنْ يَـومِنَا العَشِيُّ
٢- ونَحْنُ فِـي مَجْلِسٍ أنِيقٍ ... وَقَـدْ ظَـمِئْنَا ، وثَـمَّ رِيُّ
٣- ولِي خَـلِيلٌ غَـدَا سَمِيِّي ... يَـا لَيْتَهُ سَـاعَدَ السَّـمِيُّ (١٨١)

فأجابه مُلَبِّيًا نداءه :

[من مُخلَّع البسيط]

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

١- لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ مِنْ مُلْـــاد ... لَهُ النَّدَى الرَّحْبُ والذُّرَى الشُّمُّ
٢- ها أنا بالبَاب عِنْدَ قِنَّ ... فَلْتَكُنْ وَجْهَـكَ السَّكِـنَّ
٣- شَرَّفَهُ وَالِداهُ باسْـــمِ ... شَرَّفْتَهُ أَنْتَ والنَّبِـــيُّ(٨٥)

وسافر المعتمد في صحبة ابن عمّار ، فكتب إلى اعتماد أبياتًا لطيفة يتضمن الحرف الأول في كل بيت منها حرفًا من حروف اسمها [من المتقارب]

١- أُعَانِيَةَ الشَّخْصِ عَنْ نَاظِـرِي ... وَحَـاضِرَةً فِي مَغِيبِ السُّرُورِ
٢- عَلَيْكِ سَـلامٌ بِقَـدْرِ الشُّجُـو ... نِ، وَدَمْعِ الشُّئُونِ ، وَالذِّكْرِ الحَمِيمِ
٣- تَمَلَّكْتِ مِـنِّيَ صَعْـبَ المَـرَا ... مِ ، وَصَادَفْتِ وَدِّي سَهْلَ الخَلِيقَةِ
٤- مُرَادِيَ لُقْيَاكِ فِي كُـلِّ حِيـنٍ ... فَـيَا لَـيْتَ أَنِّـي أُعْطَى مُرَادِي
٥- أَقِيمِي عَلَى العَهْـدِ مَـا بَـيْنَنَا ... وَلا تَسْتَحِيلِـي لِطُـولِ البِعَادِ
٦- دَسَسْتُ اسْمَـكِ الحُلْوَ فِي طَيِّهِ ... وَأَلَّفْتُ فِيـهِ حُـرُوفَ اعْتِمَادِ(٨٦)

ثُمَّ ختم كتابه إليها بقوله : « إن شاء الله ربي أو شاء ابن عمّار »(٨٧)

فلمّا علم ابن عمّار بهذه العبارة نظم الأبيات التالية :

[من البسيط]

١- مَوْلايَ ، عِنْدِي لِمَا تَهْـوَى مُسَـاعَدَةٌ ... كَمَا يُتَابِعُ خَطْـفَ البَـارِقِ السَّارِي
٢- إِنْ شِئْتَ فِي البَحْرِ فَارْكَبْ ظَهْرَ سَابِحَةٍ ... أَوْ شِئْتَ فِي البَرِّ فَارْكَبْ ظَهْرَ طَيَّارِ
٣- حَتَّى تَحُـلَّ - وَحِفْظُ اللهِ يَـكْلَـؤُنَـا - ... سَاحَاتِ قَصْرِكَ، وَاتْرُكْنِي إِلَى دَارِي
٤- وَقَبْلَ خَلْعِ نِجَـادِ السَّيْـفِ فَـاسْمَعْ إِلَى ... ذَاتِ الوِشَـاحِ ، وَخُـذْ لِلْحُبِّ بِالثَّارِ
٥- ضَمَّا وَلَثْمًا ، يُغَنِّـي الحَـلْيُ بَيْنَكُمَـا ... كَمَـا تَجَـاوَبَ أَطْيَـارٌ بِـأَسْحَارِ(٨٨)

أراد : يا مالكًا أمري ، عندي لما تُحِبُّهُ معاونة ، كمـا يُسَاعِدُ البَارِقُ الخاطفُ الساري ليلاً في الصحراء ، إن شئت التَّنَعُّمَ في البحر فاركب سفينة ، وإن شئت التنعّم في البر فاركب جواد سابح ؛ حتى تصل إلى قصرك ، وعندئذٍ تلقاه بلقاء اعتماد .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

وغاب عنه ابن عَمّار حينًا من الزمان ؛ ليقوم بمهمة أسند إليه تنفيذها (١٨٦)، فلما عاد كتب المعتمد إليه :

[من الكامل]

١- لمّا نأيتَ ، نأى الكرَى عن ناظري ... وَرَدَدْتَهُ ، لَمّا انصَرفْتَ عَلَيهِ

٢- طَلَبَ البَشيرُ بِشَارَةً يُجزَى بِهَا ... فَوَهَبْتُ قَلْبِي ، وَاعتَذَرْتُ إِلَيهِ (١٨٧)

يقول : إن بُعْدَكَ سَلَبَ لي الأرق ؛ فلم تَذُقْ عينيَّ النوم ، ونأى الكرى ، وعندما جاء البشير مُعْلِنًا بقدومك ، أعطيته قلبي هدية ، واعتذرتُ إليه لضآلته .

وكتب إلى المعتمد يطلب منه الخروج للتنزُّه سَوِيًّا (١٨٨) :

[من مُخَلَّع البسيط]

١- يَا عَضُدَ الدَّولَةِ المُصَفَّى ... مِنْ جَوهَرِ النُّبْلِ وَالذَّكَاءِ

٢- مَاذَا تَرَى فِي اصطِبَاحِ يَومٍ ... مُذَهَّبِ الصُّبْحِ وَالمَسَاءِ

٣- نَسرِقُهُ مِنْ يَدَيْ زَمَانٍ ... لَمْ يَقْسِمِ الرِّزْقَ بِالسَّوَاءِ

٤- وَقَدْ ظَمِئْنَا- وَنَحْنُ أَرْضٌ - ... إِلَيكَ يَا رَحْمَةَ السَّمَاءِ

يمدحه بالشرف والذكاء ، ويعرض عليه أن يَخْرُجَا في يوم بهيج مُشْرِق للاستمتاع بسائر الملذات من الطعام والشراب ؛ فمثل هذا اليوم لا بُدَّ أن يغتنماه من الزمان ، ذلك الزمان الظالم الذي يَجُور في تقسيم الرزق . وهنا نلمح المرارة التي يشعر بها ابن عَمّار في قرارة نفسه ؛ فهو لا يصل – أبدًا – إلى الاستمتاع الكامل بالملذات والمتع ؛ لأنه حانقٌ على الدهر ، ساخطٌ عليه ، ويرى أنه لم يُقَسِّمْ الرزق بالسَّوَاء ؛ فأعطى قَومًا خَامِلِينَ لا يَستَحِقُّونَ ورفع مرتبتهم ، وحَطَّ من قدر قَومٍ نَابِهِين ؛ ولهذا يشعر بالظلم من قسوة الحياة ، فضلاً عن شعوره الاضطهاد ، ولا يخفى أثر نشأته الفقيرة في هذا الإحساس بالقلق والظلم .

وفي ختام هذه المقطوعة الشعرية يطلب القرب من المعتمد ، والوصال ، ويقول إنه ظمآن وجائع ، ثم يُشَبِّهُ نفس بالأرض ، ويطلب منه – وهو رحمة السماء- المطر الغزير الذي يَرْوِي ظمأه .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

وركب المعتمد يومًا قاصدًا الجامع وابن عمّار بسايره ، فسمع أذان المؤذن (١٨٩) :

[من الكامل]

فقال المعتمد : هَـذَا المُـؤَذِّنُ قَدْ بَدَا بِأَذَانِهِ

فقال ابن عمّار: يَرْجُو بِذَاكَ العَفْوَ مِنْ رَحْمَانِهِ

فقال المعتمد : طُوبَى لَهُ مِـنْ شَاهِدٍ بِـحَقِيقَةٍ

فقال ابن عمّار : إِنْ كَانَ عَقْدُ ضَمِيـرِهِ كَلِسَانِهِ

ويَشِفُّ قوله : (إن كان عقد لسانه كضميره) عن الدافع النفسي الـذي أدى إليه ؛ وذلك لأن شخصيته المضطربة كانت تدفعه ، أبدًا ، إلى الشك وسوء الظـن بالناس ، ويرتبط بموقفه من الحياة ورؤيته لها ؛ فإنّ النفس المطوية علـى خُبْث وخداع لا ترى من أعمال الناس إلا ما يتفق مع ميولها ونزعاتها في الحيـاة ، لو يصلح تفسيرًا لرغبات مكبوتة في ضمائرها .

ونستطيع أن نُطْلِقَ على قوله هذا (فَلْتَة لسان) ، « وأعني تلك الكلمـات التي يقولها الشخص عفوًا ضمن حديثه ، دون أن يقصد بها غرضًـا معينًـا فـي الظاهر ، وهي في الوقت نفسه تكون مليئة بالدلالة من الوجهة النفسية »(١٩٠) .

وتُعَبِّر سخريته من المؤذن عَمَّا يجيش في نفسه من مرارة خفيـة ، كمـا تكشف عن عاطفة لا يبدو معها صاحبها راضيًا سعيدًا ؛ لأن التهكُّم وسيلة للتنفيس عن النفس أمام صعاب الحياة ، وهو صدى لما مَرَّ به من أحداث جعلته يفقد الثقة بالناس ؛ ويعيش في توتُّر دائم ، وينصرف عن الاهتمام بغيـره ، ويقـصر جُلّ اهتمامه على نفسه فحسب .

ولَعَلَّنا نستطيع أن نلتمس تعليل ذلك في سوء فعله ، فإن سوء الظن سببه - حسب رأي المتنبي- سوء الفعل ، يقول :

[من الطويل]

٨- إِذَا سَاءَ فِعْلُ المَـرْءِ سَـاءَتْ ظُنُـونُهُ وَصَدَّقَ مَـا يَـعْـتَادُهُ مِـنْ تَـوَهُّـمِ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
CamScanner ممسوحة ضوئيا بـ
Scanned with CamScanner

وهذا مضمونه يشغل هذانه واصبح في ليل من الفتك مظلم (١٩١)
وليس يخفى أن المرء إذا أساء الفعل ، ساءت ظنونه ، وتوقع أنه لا بد أن
يلقى جزاء مماثلاً على سوء فعله ، فتوهم الشر ، واعتقد أنه حقيقة واقعة لا محالة
، ولا ينحصر الأمر على ذلك بل إنه يعجز عن التفريق بين العدوّ والحبيب ،
ويعادي أحبابه بوشاية أعدائه ، ويعيش متخبطًا في ظلمات الجهل ، ولا يستطيع
رؤية الأشياء على حقيقتها .

والواقع أن طبيعة الأندلس جميلة ساحرة ، تثير المشاعر وتهزّ العواطف ، وقد ساعدت على صفاء قريحة الشعراء ، ورقة عواطفهم ، ولذلك كان الغزل يسكب على ألسنة الشعراء ، ويدعو إليه كل ما فيها من طبيعة مشرقة ، وأزهار يانعة ، ومياه عذبة ، وأنهار جارية ، وأشجار باسقة ، وثمار شهية ، وفواكه طيبة ، ورياض خضراء ، وهواء معتدل ، وسماء صافية ، وظلال وارفة ، وسهول خصبة ؛ لذا جاء ممتزجًا بالطبيعة ، كما كانت مجالس الغناء والطرب سيمًا في رقي الغزل الأندلسي ..

وقد أثرت الطبيعة الأندلسية الجميلة في نفوس الأندلسيين ، حتى إنهم لم يذكروا المرأة في شعرهم إلا وذكروا معها الطبيعة . وقد اتخذ ابن عمّار الطبيعة وسيلة إلى الغزل ، واستجلاء محاسن الحبيبة ، يقول متغزلاً في حسناء (١٩٢) :

[من الطويل]

١- وَمَا لِحَمَامِ الأَيْكِ تَبْكِيكَ كُلَّمَا ... تَبَسَّمَ ثَغْرٌ لِلصَّبَاحِ شَنِيبُ

٢- تُغَنِّي فَمَا تَنْفَكُّ تَشْرَبُ نُغْبَةً ... مِنَ الدَّمْعِ يُهْدِيهَا إِلَيْكَ وَجِيبُ

يشكو من جفاء الحبيبة وبُعْدَها ، ويتوسل إليها ؛ حتى تجيب نداء قلبه ، إنه يشكو الهجر ، ويتشبث بالوصال ، لقد أورثه حُبُّها الماَ مُمِضًّا ، وحُرْقَةً لا تنطفئ ، وهمًّا لا يُفارقُهُ ، يقول :

[من الطويل]

٣- نَعَمْ هَجْرُ لَيْلَى كَلَّفَ القَلْبَ حُرْقَةً ... وَعَلَّمَ دَمْعَ العَيْنِ كَيْفَ يَصُوبُ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

وهذا ليس من الجمع المادي الخالص ، ويفيد ذلك أنه لم يكن له وجود معروفة كما نراه على غيره من الشعراء ؛ لأنه لم يكن قد شاع المثال الأعلى شعوره ، فلم يرد في شعوره إلا اسم ليلى ، وإذا الغزل عنده لم يمس الإعجاب بالجمال ، وعلاوة على ذلك فإن الملامح التي رسمها لمحبوبته من قبيل المعنى العام للجمال عند العربي ، فهي :

[من الطويل]

١- فتاةٌ عداها الحُسْنُ حتّى كأنّها ... هي الحُسْنُ ، أو ألفّ عليه حبيبُ

٥- لعينٌ كما عينُ المها ، ومُغَلَّدٌ ... كما ارتاحَ ظلّيٌّ بالفلاة غريبُ

٦- ورِدْفٌ كما انهالَ القضيبُ وضمّةٌ ... وشاحٌ كما لمّى الحمامُ طروبُ

٧- وثغرٌ كمثل الأقحوان بشونةٍ ... لمى حسناتُ الصّنْبِرِ عنّهُ لذوبُ

٨- شققتُ جيوبَ الصّنْبرِ عنها لطفلةٍ ... وليس عليها للجمال جيوبُ

٩- لفاتكة الألحاظ ، وهي عليلةٌ ... وناعمة الأعطاف ، وهي قضيبُ

١٠- كسا الخجلُ المُغتادُ صفحةَ خدّها ... رداءَ طرازٍ لذّ وهو مُهيبُ

١١- ودبّتْ من الأصداغ فيه عقاربٌ ... لها في فؤاد المستهام نسيبُ

يقول : إنها حسناء ناعمة رقيقة ، فاتكة الألحاظ ، طويلة الرقبة ، ضخمة الأرداف ، معتدلة القد ، فاتنة الثغر ، بيضاء الأسنان ، عذبة الريق ، خجلى .

وقد أفسح للغزل مكاناً في شعره ، ولكن غزله تقليدي ، يجري على لسانه دون أن يعتمد فيه على عاطفة صادقة ؛ لأنه لم يكن مُحبًّا صادق الحُبّ ، فهو يحاكي قُدامى الشعراء ؛ ليثبت مقدرته على نظم الشعر في كل الأغراض ، ومما يؤيد ذلك أنه لم يأتِ فيه بجديد ؛ فهو يُكرّر ويُقلّدُ معاني من سبقوه [١٩٣] ، وغزله شائق ، مُحبّب إلى النفوس ، يتسم بالرقة والعذوبة ؛ لأنه استطاع أن يصوغ معانيه ببراعة ؛ لذا نال إعجاب القارئ ؛ فهو ماهرٌ في غزله ، يكسو المعنى القديم ثوبا جديداً جذابا .

وقد اهتم شعراء الأندلس بوصف الخمر ؛ لأن جمال طبيعة الأندلس - وما فيها من متنزهات وأنهار ، واعتدال مناخ ، فضلاً عن الترف والرخاء والفراغ ،

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

ومنهم أهل اللهو والطرب ، يجعلهم « يكلفون بالشراب الذي ساعدت عليه وفرة وجوده في بلادهم ، كما كانوا يهيمون بالموسيقى والغناء والرقص ، وهي فنون ربما كانت أحب شيء إلى طروفهم النفسية المطالبة بنوع من التنفيس »(١٩٤).

وقد التمس ابن عمار اللذات في غير حياء ولا تعفف ؛ فكان يُعاقِرُ الراح ، ويطرب للهو وتستخفه فنون الموسيقى والغناء ، ورأى أن لذة الحياة جلسات تُدار فيها الراح ، وقيان تشدو ، وغلمان تدور بالصهباء ، وكان يستجيب لشهواته ، ويندفع إلى لذاته .

وقد وصف الخمر ، وسقاتها ، ولونها ، وطيب رائحتها ، ومذاقها ، وعتقها ، ومزجها بالماء ، وما إلى ذلك من أوصاف تداولها شعراء الخمر ، وذكر من أسماء الخمر : شَمُول ، صَهْبَاء ، راح ، مُدام ، معتقة .

وله في وصف الخمر :

[من المجتث]

١- الكأسُ جَامِدُ مَاءٍ ... وَالخَمْرُ ذَائِبُ نَارِ

٢- وَاعْجَبْ لِمَاءٍ وَنَارِ ... تَلاقَيَا فِي قَرَارِ (١٩٥)

يقول : كأن كأس الخمر ماءٌ جامد لصفاء لونها ، والخمر نيرانٌ ذائبة ، وإني لأتعجب من اجتماع الضدين : الماء والنار في مكانٍ واحد حين تمتزج الخمر بالماء .

واستهدَى منه بعض إخوانه خمرًا ، فبعث بها مع تفاحتين ورمانتين وكتب مع ذلك (١٩٦):

[من الوافر]

١- خُذُوهَا مِثْلَمَا استَهْدَيْتُمُوهَا ... عَرُوسًا ، لا تُزَفُّ إِلَى اللِّثَامِ (١٩٧)

٢- وَلَوْنَكُمُ بِهَا ثَنْيَي فَتَاةٍ ... أَضَفْتُ إِلَيْهِمَا خَدْيْ غُلامِ

خذوا هذه الهدية كما طلبتم ، إنها خمر تشبه العروس ، ولكن لا يشربها إلا الكِرَام ؛ فهي لا تُزَفُّ إلى اللئام ، وأرسلتُ معها رُمَّانتين وتُفَّاحتين .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

وقد تَوَجَّهَ أكثر غزل ابن عَمّار إلى الغلمان (١٩٨) ، مما يدل على أنه كان مشغوفًا بالكاس ، والاستلقاء من غير نُعاس »(١٩٩) ، وقد اشتهر بتغزله في غلامٍ روميّ ، وغيرُ خافٍ أن هذا اللون من الذوق والنزعة ذو دلالة عميقة على طبيعته ونفسيته .

وقد يكون من المفيد أن نشير هنا إلى أن « هذه الآلة تكون أحيانًا من علامات مركب النقص في الضعاف القاصرين من أهل الإباحة المستهترين »(٢٠٠)

ولَعلَّ ابن عَمّار شَعَرَ بالنقص ؛ فحاول أن يُنَفِّسَ عن مشاعر مكبوتة في نفسه عن طريق هذه العادة الغريبة ، أو يكون القهر الذي كابده في مرحلة الطفولة والصبا دفعه للانحراف ، أو أنَّ الأمر لا يتعدى عبث شاعر يقول ما لا يفعل .

وقد تَغَزَّلَ في سقاة الخمر؛ لأن هؤلاء الغِلْمَان اتصفوا بالجمال والخلاعة معًا ؛ مما أغراه وجعله يُقْبِلُ على العبث معهم ، ولا يتعدى الغزل بالمذكر عنده الحديث عن سحر العين ، وجمال المُحَيَّا ، واعتدال القد ، وملاحة الدل .

وكان له غلامٌ وسيم يميل إليه ، فعَتَبَ في بعض الأمور عليه ، وزال عنه إلى دار الوزير أبي المطرِّف بن الدبّاغ (ت ٤٨٠هـ) (٢٠١) ؛ فشفع له برقة وَصَلَهَا ذلك الغلام ، فكتب ابن عَمّار إلى الوزير المذكور:

[من المتقارب]

١- قَرَأْتُ كِتَابَكَ مُسْتَشْفِعًا ... لِوَجْهِ أَبَى الحُسْنُ مِنْ رَدِّهِ

٢- وَمِنْ قَبْلِ فَضِّيَ خَتْمَ الكِتَابِ ... قَرَأْتُ الشَّفَاعَةَ فِي خَدِّهِ (٢٠٢)

يقول : قَرَأْتُ كِتَابَكَ الذي تطلب فيه الشفاعة لوجهٍ رفض الحُسنُ ردَّه ، وقد شَفَعَ له جمال وجهه قبل أن أقرأ ما كتبته .

وساير في بعض الأسفارِ غُلامين وَسيمين من بني جَهْوَر ، أحدهما أشقر والآخرُ بعِذَارٍ أخْضَرَ ، وكان يميلُ إلى مُخْضَرِّ العذار؛ فقال ارتجالاً (٢٠٣):

[من المتقارب]

١- تعَلَّقْتُهُ جَهْوَرِيَّ النِّجَارِ ... حُلْوَ اللَّمَى ، جَوْهَرِيَّ الثَّنَايَا

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

رفاق الحواشي ، كرام السّجايا

من النفر البيض جرّوا الزّمان

يقول : لقد عشقتُهُ وتعلّقتُ به ، وهو جميل الشّفة ، صاحب أسنان لامعة ، وجه الوجه ، من الكرام الذين استطاعوا أن يتحكموا في الزمان ، ونصيّرُوهُ وفق رغباتهم ، وهم أصحاب طبع كريم ، وسجايا نبيلة .

ثم يقول :

[من المتقارب]

وتَبقى مَحاسِنُها بالعَشايا

٣- ولا عرْوَ أنْ تغرُبَ الشارِقاتُ

(٢٠٤)

ولا عجب أن تَغرُبَ الخمر ، التي تُشبِه الشمس ، في فم الشارب ، ويبقى ذكرها في حمرة خدود السُّقاة أصحاب الوجوه الفاتنة .

ثم يقول :

[من المتقارب]

نُساقِطُهُ مِنْ ظُهُورِ المَطايَا

٤- ولا وَصْلَ إلاّ جُمانُ الحَديثِ

وَمِلْتُ إلى خُضْرَةٍ في التَّفايَا

٥- مُثَلَّثُ المُثَلَّثَ لِلزَّعفَرانِ

وقد انقطعت سُبُل الوصال بيننا إلا ما كان من حديثٍ عذبٍ كالجُمان نتبادله فوق ظهور المطايا . وقد بدا خطُّ عِذاره في صحيفة خدّه ، ويُوصَفُ الغلام الوسيم « باخضرار الأصداغ ومنابت اللحية ؛ إما لأنهم كانوا يرَون أن ذلك يزيد جماله ؛ أو لأن تلك الشعرات النابتة كانت تُعَدُّ من مُكَمِّلات الجمال » (٢٠٥) .

والمعنى أنه « أبغض المُثَلَّث ؛ لدخول الزعفران فيه ؛ لشبهه بعذار الأشقر منهما ، وأحبَّ خضرة التفايا ، وهي لون من طعام يُعمل بالكزبرة ؛ لشبهها بعذار الأخضر منهما » (٢٠٦) .

وكان ابن عمّار يوما مع ندمائه في مجلس المؤتمن بن هود (٢٠٧) ، فجاء فتى رومي من فتيان المؤتمن يرتدي درعًا ليستشير المؤتمن في الخروج لموضع بعثه إليه ؛ فثبّت ابن عمّار نظره عليه ملِيًّا ، وأخذ ينظر إليه في لهفة ، وجد أن يخلع عنه ذلك الغدير ، وأن يكون هو الساقي المُدير ، ولَبّى المؤتمن طلبه ؛ فلمّا

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
CamScanner ممسوحة ضوئيا بـ
Scanned with CamScanner

دبت فيه الحميّا ، واستزلته سورة العُقار عن مرقب الوقار (٢٠٠٨) قال معلقا

[من الكامل]

١- وهو بِتُهْ يَسقي المُدامَ كأنّهُ قمرٌ يدورُ بكوكبٍ في معصمِ

٢- مُتأرّجُ الحركاتِ ، تندى ريحُهُ ، كالغُصنِ هزّتهُ الصَّبا بتبسّمِ

٣- يَسْعَى بِكأسٍ في أنَاملِ سَوسَنٍ ويُديرُ أُخرى من محاجرِ نرجسِ

لقد عَشِقْتُ ساقي خمرٍ وسيم ، كأنه قمرٌ مُنير، يسْرُ من يراه بجماله

يأخذ بالألباب ويُبْهِرُهَا ، وهو يدور بخمر – كأنها كوكب – والشاربين من هو

ويمشي ويَتَثَنَّى في دلالٍ.وتبختر بقَدٍّ مياس ، وكأنه غصن هزّتْهُ ريح الصبا برفق

اللينة ببطء . ويطوف هذا الساقي الجميل بكأس الخمر التي يحملها بأنامل كأنها

، ويُدِيرُ كأسًا أخرى من عينه الشبيهة بزهرة النرجس ؛ فهو يُسكِرُ بالخمر التي

عينيه وخمر العنب .

ثم يخاطب الفرسان الأنجاد في المعركة ، يقول :

[من الكامل]

٤- يَا حَامِلَ السَّيفِ الطَّوِيلِ نِجَادُهُ وَمُصَرِّفَ الفَرَسِ القَصِيرِ المَحْبِسِ

٥- إيَّاكَ بَـادِرَةَ الوَغَى مِنْ فَـارِسٍ خَشِنِ القِنَـاعِ عَلَى عِذَارٍ أَمْلَسِ

٦- جَهْـمٍ ، وَإِنْ حَسَرَ اللِّثَامَ فَإِنَّـمَا . كَشَفَ الظَّلامَ عَنِ النَّهَارِ المُشْمِسِ

٧- يَطْغَى وَيَلْعَـبُ فِي دَلالِ عِـذَارِهِ كَالمُهْرِ يَمْرَحُ فِي اللِّجَامِ المُخْرِسِ

٨- سَلِّمْ؛ فَقَدْ قَصَفَ القَنَا غُصْنُ النَّقَا وَسَطَا بِلَيثِ الغَـابِ ظَبْيُ المَكْنِسِ

يُحَذِّرُهُمْ من هجوم هذا الفارس ، صاحب العِذَار الأملس ، والقناع الخشن

؛ لأنه منتصرٌ عليهم لا محالة ، إنه مُتَجَهِّمُ الوجه ، ويضع قناعًا على وجهه لتخبئ

، وإن كَشَفَ هذا القناع ؛ يظهر وجه مُضِيء كالشمس . وهو يلعب مُعتمِدًا على

دلال عذاره ، مثل المُهْر الصغير الذي يمرح في جرسه المُعلَّق في اللجام مُخْرِسًا

صوتًا جميلاً . وينصحهم بأن يستسلموا له تمامًا ؛ فقد بطش ظبي المكنس الوثب

الهـادئ بليث الغاب صاحب السطوة القاهرة .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

CamScanner ممسوحة ضوئيا بـ
Scanned with CamScanner

وفي ختام القصيدة يطلب من هذا الساقي ، الذي يسقي خمرين من كأسه وخطه ، أن يبتعد عنهم بكأس الخمر ؛ لأنه سلّط عليهم سحر عينيه الناعستين ؛ فأمن – وحدها – بسُكْرِ المجلس ؛ فشَرِبُوا خمرًا من صنفٍ جديد ، ربما كان أقوى وألذّ نشوة من الخمر المعروفة ، يقول :

[من الكامل]

١- عَنَّا بِكَأْسِكَ ؛ قَدْ كَفَتْنَا مُقْلَةٌ حَوْرَاءُ ، قَائِمَةٌ بِسُكْرِ المَجْلِسِ (٢١٠)

وقال فيه أيضًا (٢١١) :

[من الوافر]

١- وأُغْيِدَ مِنْ ظِبَاءِ الرُّومِ عَاطٍ بِسَالِفَتَيهِ مِنْ دَمْعِي فَرِيدُ

٢- نَبِيلُ الخَلْقِ ، جَافِي الخُلْقِ ، عَبْدٌ هُوَ المَولَى ، وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُ

٣- قَسَا قَلْبًا ، وَسَنَّ عَلَيهِ دِرْعًا فَبَاطِنُهُ وَظَاهِرُهُ حَدِيدُ

لقد خَلَبَ لُبِّي غلامٌ من فتيان الرُّوم يعملُ عند المؤتمن ، جميل الخَلْق ، ولكنه جافي الطِبَاع ، لا يتأثر بحُبِّي له ، هو عبدٌ للمؤتمن ، وعلى الرغم من كونه عبدًا إلا أنه هو السيد ، ونحن جميعًا – عُشَّاقُهُ – له عبيد . إنه صاحب قلب قاسٍ ، وقد ارتدى درعًا ؛ فباطنه حديد ، أي لا يتأثر بعواطف الآخرين ، وظاهره حديد ؛ لأنه يرتدي درعًا صلبًا .

ثم يقول :

[من الوافر]

٤- بَكَيتُ ، وَقَدْ دَنَا ، وَنَأَى رِضَاهُ وَقَدْ يَبْكِي مِنَ الطَّرَبِ الجَلِيدُ "(٢١٢)

لقد أبكاني بدموعٍ غزيرة ، وقد يبكي الرجل القوي ؛ لأنه لا يطيق صَبْرًا على محبوبه ، ويتضرع ليستميل قلبه ، وينال رضاه .

وختم المقطوعة بقوله :

[من الوافر]

٥- وَإِنَّ فَتًى تَمَلَّكَهُ بِنَقْدٍ وَأَحْرَزَ رِقَّهُ لَفَتًى سَعِيدُ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

لفتى سعود .

يؤكد أن المؤتمَن الذي حالفه الحظّ ؛ فصار يمتلك مثل هذا الغلام العضل .

ورُوِيَ أن ابن عمّار لَمّا رأى شيخًا من أهل إشبيلية كان جميلاً في صباه ، نظر إليه وبهت يتأمله ، ثم دفعه بمخصرة كانت في يده وأنشد(٢١٣) :

[من مجزوء الرمل]

١- كُفَّ هَذَا النَّهْدَ عَنِّي فَبِقَلْبِي مِنْهُ جُرْحُ

٢- هُوَ فِي صَدْرِكَ نَهْدٌ وَهُوَ فِي صَدْرِيَ رُمْحُ

يقول له : اصرِفْ هذا النهد – الذي أصابه الكِبَر والذُبول – عنّي ؛ لأن بقلبي منه جُرْح ؛ إنه في صدرك نهدٌ ، ولكنه في صدري رُمْحٌ يؤذيني ويُذكّرني بما مضى من ذكرياتٍ جميلة لن تعود .

وقد ظهر فن الغناء في الأندلس استجابةً لدواعي الترف في هذه البيئة الحضارية ، وأقبل الشعب – باختلاف طبقاته – على سماعه ؛ لذا كَثُرَ المغنون والمغنيات ، كما انتشرت مجالس الغناء وشاعت بين الأندلسيين .

وقد كانت سوق اللهو والمتعة رائجة في إشبيلية ؛ فهي « من أحسن مدن الدنيا ، وبأهلها يُضرب المثل في الخلاعة ، وانتهاز فرصة الزمان الساعة بعد الساعة ، ويُعِينُهُمْ على ذلك واديها الفَرج ، وناديها البَهِج »(٢١٤) ؛ ولذا إذا « مات مُطْرِبٌ بقُرْطُبَة فأُرِيد بيع تركته حُمِلَتْ إلى إشبيلية »(٢١٥) . ولا يخلو الوادي الكبير من مسَرَّة ، وفيه جميع أدوات الطرب مباحة ، وشربُ الخمرِ غير مُنْكَر، ما لم يؤدِّ السكرُ إلى شرٍّ وعَرْبَدَة(٢١٦) ، وأهل إشبيلية « أكثرُ العالَم طَنْزًا وتَهكُّمًا ، قد طُبِعُوا على ذلك »(٢١٧) ؛ فهم « أخف الناس أرواحًا ، وأطبعهم نوادر، وأحملهم لمزاج بأقبح ما يكون من السبِّ ، قد مَرَنُوا على ذلك ؛ فصار لهم دَيْدَنًا حتى صار عندهم مَنْ لا يبتذل فيه ولا يتلاعن ممقوتًا ثقيلاً »(٢١٨) .

وتُعقَدُ مجالس اللهو من أجل السمر ، والترفيه بالغناء وشرب الخمر، وهي تزخر بوسائل المتعة واللذة ، ولكي تكتمل اللذة لا بُدَّ من مزج الشُرْب بسماع

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

الموصلي والغناء .
(ت ٢٥٣هـ) (٢١٩) وأبي بكر الإشبيلي مجلس أنس ؛ فلمّا تمكّنَ السرور من النفوس
عى أبو بكر الإشبيلي صوتًا ؛ فطرب ابن عمّار وقال مرتجلاً :
[من البسيط]

١- ما ضرّهُ أنْ قيلَ إسحَاقُ وَمَوْصِلُهُ ... هَا أنتَ أنتَ ، وَذِي حِمْصٌ
والعراق

٢- أنتَ الرَّشِيدُ ؛ وَدَعْ مَنْ قَدْ سَمِعْتَ بِهِ ... وَإِنْ تَشَابَهَ أَخْلاقٌ
والعراق

٣- للّهِ دَرُّكَ دَارِكْهَا مُشَعْشَعَةً ... وَاحْفِزْ بِسَاقِيكَ مَا قَامَتْ بِنَا
ساق (٢٢٠)

لا يوجد ضرر في قولهم هذا إسحاق بن إبراهيم الموصلي (ت٢٣٥هـ) مُغنّي هارون الرشيد ، وهذه بلده المَوصِل ؛ فإنه سيقال أيضًا هذا أبو بكر الإشبيلي مُغنّي الرشيد بن المعتمد ، وهذه إشبيلية . وينصحه بأن يترك من قد سمع به - وفي هذا تعريض بهارون الرشيد - وإن تشابه الخُلُق والعِرْقُ ، فلا مجال للمقارنة بينهما . ثُمّ يدعوه إلى شُرْبِ الخمر الممزوجة بالماء ، ويرجوه أن يأمر ساقي الخمر بأن يدور بالكئوس على الشرْب .

وقد أُولِعَ ابن عَمّار بالغناء ومجالسه ، وسُرّ الناسُ بحضوره ؛ لأنه كان خُلْو النادرة ، خفيف الظلّ ، فقد كَتَبَ إليه ابنُ رَزِين يدعوه إلى مجلس أُنس :

[من الطويل]

١- ضَمَانٌ عَلَى الأيّامِ أنْ أَبْلُغَ المُنَى ... إِذَا كُنْتَ فِي وُدِّي مُسِرًّا وَمُعْلِنَا
٢- فَلَو تَسْأَلِ الأيّامُ : مَنْ هُوَ مُفْرَدٌ ... بِوُدِّ ابْنِ عَمّار؟ لَقُلْتُ لَهَا : أَنَا
٣- فَإِنْ حَالَتِ الأيّامُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... فَكَيفَ يَطِيبُ العَيشُ، أو يَحْصُلُ المُنَى
(٢٢١)

وقد لَبّى ابن عَمّار الدعوة ، وردّ عليه بأبيات شعرية (٢٢٢) .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

وفي مجلس أنس يضم ابن عمّار وابن رزين ومسلم المُلَّثي (٢٢٣) ، قال ابن رَزِين لمُسلِم : أنا واللهِ أغنى منك ، وأشعر من ابن عمّار ، فقال له ابن عمّار – بذَرَبِ جَنانه ، وسلاطة لسانه – : وأرقصُ ممن ؟ فلم يجد جوابًا ، وعاد لشاطُ إطراقًا واكتئابًا (٢٢٤) .

ومِمَّا يدل على سرعة بديهة ابن عمّار وخفة روحه أن أبا بكر الدالي (ت٥٠٧هـ) (٢٢٥) دخل عليه في مجلس ؛ « فقال له : اجلس يا دالي ، بغير ألف ، فقال له : نعم يا ابن عمّار ، بغير ميم ، وهذا هو الغاية في سرعة الجواب والأخذ بالثأر في المزاح » (٢٢٦) .

وقد وَصَفَ قصر الدمشق ، وهو أحد القصور التي بناها بنو أمية في قرطبة ، بعد ليلة أنس وشراب قضاها مع رفاقه ؛ فقال مرتجلاً : [من الخفيف]

١- كُلُّ قَصْرٍ بَعْدَ الدِّمَشْقِ يُذَمُّ ... فِيهِ طَابَ الجَنَى ، وَفَاحَ المَشَمّ

٢- مَنْظَرٌ رَائِقٌ ، وَمَاءٌ نَمِيرٌ ... وَثَرًى عَاطِرٌ ، وَقَصْرٌ أَشَمّ

٣- بِتُّ فِيهِ ، وَاللَّيلُ وَالفَجْرُ عِنْدِي ... عَنْبَرٌ أَشْهَبٌ ، وَمِسْكٌ أَحَمّ (٢٢٧)

يَفوق قصر الدمشق كل القصور ، فيه طاب الجنى ، وفاحت الرائحة العطرة ؛ إنه منظرٌ جميل ، وماءٌ رابٍ عذبٌ صافٍ رقراق ، وتُرابٍ عاطر ، وقصرٌ عالٍ ، قضيتُ فيه ليلةً هانئة .

كان ابن عمّار مُعْجَبًا بنفسه ، شديد الثقة بمواهبه ومناقبه ، يقول : [من البسيط]

١- أَنَا ابْنُ عَمّار لا أُخْفَى عَلَى بَشَرٍ ... إِلاَّ عَلَى جَاهِلٍ بِالشَّمْسِ وَالقَمَرِ

٢- وَبَينَ طَبْعِي وَذِهْنِي كُلُّ سَابِقَةٍ ... كَالسَّهْمِ يُبْعِدُ بَينَ القَوسِ وَالوَتَرِ

٣- إِنْ كَانَ أُخِّرَ فِي دَهْرِي فَلا عَجَبٌ ... فَوَائِدُ الكُتْبِ يُستَلْحَقْنَ فِي الصُّوَرِ (٢٢٨)

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

تعبّر ذات الشاعر عن وجودها بضمير المتكلم (أنا) في استغراب واستنكار
ـه إنجازاتها ، إنه يفتخر بنفسه ، ويقول : إن مكانه عاليًا في السماء ، لا يخفى
ـه إلا على جاهل لا يعرف الشمس والقمر . ويفتخر بذكائه فيقول : عندما
ـه طبعي وذهني أصلُ إلى حلّ كُلّ المعضلات . وهو ينطلق في فخره من
ـه متطلعة إلى العلا والمجد ، يقول – وقد مزج فخره بنفسه بالشكوى من
ـه : إنْ كَانَ أَخَّرَ فِي ذِكْرِي فَلا عَجَبٌ في ذلك ؛ فإن فَوَائِدُ الكُتُب
ـه في نهاية الكتاب .

ويختم طه حسين رأيه في ظاهرة الاعتداد بالنفس قائلاً : « ففي كل شاعر
ـب من الغرور ، وتجويد الكلام نفسه يُغْرِي الشعراء بإظهار هذا الاعتداد ؛ لا
ـه من حقائق نفوسهم دائمًا ، بل لأن الكلام يُوَاتِيهم فلا يقدرون على دفعه » (٢٢٩)

ويُعَدُّ الهجاء في شعر ابن عَمّار صدًى لتلك النفس المتعالية المتمردة ،
ـي تَحُسُّ بالنقص في أعماقها ، وقد دلّ بأفعاله على خُبْث أصله ؛ ومما يُعَضِّدُ
ـك أنه هجا كثيرٌ مِمَّن مدحهم ، وأحسنوا إليه ؛ بتأثير لؤمه وطلبًا للمنفعة .

ويستخدم الطابع الفكاهي الساخر في هجائه ؛ ليجذب السامع ، ويُؤْلِم عدوه
. وينال منه ، ويُضْحِكُ الآخرين عليه ، كما نرى في هجاء المُغَنِّي أبي الفضل ،
يقول : [من السريع]

١- غَنَّى أَبُو الفَضْلِ فَقُلْنَا لَهُ سُبْحَانَ مُخْلِيكَ مِنَ الفَضْلِ
٢- غِنَاؤُهُ حَدٌّ عَلَى شُرْبِهَا فَاشْرَبْ ؛ فَأَنْتَ اليَومَ فِي حِلِّ (٢٣٠)

يقول : غنّانا أبو الفضل بصوته الشجي ، ولكنه لم يُمْتِعْنَا ، بل – على
العكس – جعلنا نشعر بالأسى ؛ حتى قلنا على سبيل السخرية ، تعليقًا على غنائه :
سُبْحَانَ مُخْلِيك مِن الفَضْلِ ! ولقبح صوته صار غناؤه عقابًا على شُرْب الخمر

وقد هجاه في مقطوعة قصيرة من بيتين لتنتشر بين الناس ، وتلصق
بالأذهان ؛ فيسهل حفظها . وليس من المستبعد لمثله أن ينبغ في الهجاء ؛ فهو

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

بجوده ، ونتقن أسلوبه ، لأن هذا العرض الشعري يتوافق - تمامًا - مع نفسيته فيتدفق من مقوله الهجاء اللاذع الذي تظهر شخطة على الناس ، وميله إلى الاستهزاء والفكاهة والسخرية ، ولا ننسى أن من صفاته التي عُرف بها سرعة الخواطر والتعريض بالآخرين .

ونرى عنده الإفحاش في الهجاء والإقذاع فيه إلى درجة تشمئز منه النفوس ، وتنكرها الأخلاق الفاضلة والتعاليم الدينية ، وتستحي الألسنة أن تنطق بمصوصها [٢٣١] .

واستطاع المعتمد أن يضم مدينة جيّان (Jean) [٢٣٢] إلى مملكته وينتزعها من صاحبها ابن بُلُقّين (ت٤٨٣هـ) [٢٣٣] عام ٤٦٦هـ (١٠٧٤م) [٢٣٤] .

ثُمَّ ولّى نظره نحو غرناطة (Grenade) [٢٣٥] ، إلا أن وزيرها سماعة الصنهاجي حَصَّنَ المدينة ؛ مما جعله ييأس ويرفع حصاره عنها [٢٣٦] ، وفي ذلك الوقت أرسل ألفونسو السادس (أذفونش بن فرذلند) (Sagrajas) [٢٣٧] ملك قشتالة (Castilla) [٢٣٨] سفيره إلى ملك غرناطة ابن بلقين يطلب منه إتاوة سنوية قدرها عشرون ألف دينار ، أسوةً بملوك الطوائف ، فرفض وردّ سفيره ، ووجد السفير ابنَ عمّار ينتظره في باغة [٢٣٩] في طريق عودته ؛ ليعرض عليه أن يعطي لأذفونش خمسين ألف مثقال من الذهب وجميع ذخائر غرناطة ؛ ليساعد الجيش الإشبيلي على احتلال غرناطة وضمّها إلى مملكة بني عباد ، فوافق ، وأخذ ابن عمّار يَعُدُّ العُدَّة ؛ فبنى بمعاونة أذفونش حصنًا قويًّا أمام غرناطة يمنع عنها المؤن ، وهو حصن بَلِيُلْش [٢٤٠] .

وفي عام ٤٦٧هـ (١٠٧٥م) تآمر ابن عُكَاشة مع المأمون بن ذي النون ملك طُلَيطُلَة (Toledo) [٢٤١] ، واستطاع أن يفاجئ قصر الإمارة في قرطبة ويقتل عبّاد بن المعتمد وابن مرتين ، ويُعْلِنُ انضمام المدينة إلى مملكة ابن ذي النون ، الذي سُرْعَان ما قصد قرطبة بجيشه وتهيأ للدفاع عنها ضد المعتمد ، ولكنه

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

توفي بعد مقدمه بستة شهور ؛ فعاد المعتمد إلى قرطبة ، وضمّها إلى مملكته (٢٤٢)

وبعد دخول المأمون بن ذي النون قرطبة اضطر ابن عمّار إلى ان ينصرف عن غرناطة ، ويسحب جنوده ليستعين بهم في استرداد قرطبة ؛ فساخلى حصن بَلِيُّش .

وبعد استرداد قرطبة عاود ابن عمّار الكَرّة مرةً ثانية على غرناطة ، وحَرَّض أذفونش ، ومَنّاهُ بسرعة فتحها ، وضعف جندها . يقول ابن بُلُقّين : وكان « لا يقرُّ عن إدخال ضَرَرٍ على المسلمين ، ومتى ما كان المُعتَمِدُ يسعى في تهدين الأمر ، ونرومُ معه الصُّلْحَ ، أو تنشأ مُهَادَنَةٌ ، لا يَنَامُ في نَقْضِها وإشْعالِ نار الفتنة »(٢٤٣) .

ثُمّ مَشَت الرُّسُل بين ابن بُلُقّين وأذفونش ، وتَمّ الاتفاق على أن يأخذ الأخير ثلاثين ألف مثقال من الذهب إتاوةً ؛ ورجع إلى ابن عمّار يقول له : « كَذَبْتَ لي في قولك إنّ غرناطة في ضَعْفٍ ، وَإِنّ صاحبها من صُغْرِ سِنّه لا يعقل ! ورأيتُ من رتبتها وأحوالها ما خَالَفَ قولَكَ ! »(٢٤٤) ، وقال لابن بلقين : « طمع ابن عمّار أن نغدر بك ، ومَعاذ الله من ذلك »(٢٤٥) ، ثُمّ تعهد ابنُ بُلُقّين بأداء جزية سنوية قدرها عشرة آلاف مِثْقال من الذهب ، وأن يُسَلِّمَ بعض الحصون الواقعة جنوب غربي جَيّان ، وقد باعها الملك النصراني للمعتمد ، وتمت المصالحة بين المعتمد وابن بلقين على يد أذفونش (٢٤٦) .

وقد سَعَى ابن عمّار بدأب لإفساد علاقة المعتمد مع ملوك الطوائف ، وعلى رأسهم ابن بُلُقّين الذي سماه « وسيط السوء» (٢٤٧) ، ولم يَتَمَكَّن من تنفيذ خطته التي وضعها لضمّ غرناطة إلى مملكة بني عباد ، ولكنه نجح في ضمّ بعض الحصون إلى مملكة إشبيلية .

واستطاع ، بفضل مباراة شِطْرَنج انتصر فيها على أذفونش ، أن يجعله يجلو عن الأراضي التي احتلها في مملكة إشبيلية ، بعد أن ضاعف له الجزية السنوية المقررة ، بألطف حيلة وأيسر تدبير ، على حَدّ تعبير عبد الواحد المراكشي

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

(٢٤٨) . وأصبح ابن عَمّار يُستَقبَلُ من المعتمد بمزيد من الحفاوة والإكرام ، ويُكثر
يستمتع بشعره ، ويأنس بمسامرته ومنادمته .

وذكر ابن بُلُقّين نجاح ابن عَمّار في ردّ عدوان النصارى عن البلاد ، وأرجع ذلك النجاح إلى أموال المعتمد ونفوذه ، ولكن ابن عَمّار لحماسه وغيرته يعتقد أنه صاحب الفضل في ذلك ، يقول : « ولأنّه كان قد استمال النصارى ، واندخل معهم بحيلةٍ ؛ فمتى ما دَهَمَ أمرٌ من قِبَلهم ، وحمّله إليهم ، فيتخلى من أمرهم ما يضيقُ الصدرُ به ، وكلُّ ذلك بأموال رَئِيسِه وسعادةِ أيامِه ، وهو بجهله يعتقد أن ذلك لا يتهيأ إلا بسببه » (٢٤٩) .

لقد كان ابن عَمّار سياسيًا مُحَنّكًا يجمع بين اللباقة والكياسة ، وسفيرًا مُفَوّهًا للباقته وقدرته على الإقناع ، « فعندما نتحدث عن سياسة إشبيلية أو سياسة المُعتَمِد ، بين ٤٦١هـ (١٠٦٩م) و٤٧٤هـ (١٠٨٢م) ، فإنما نتحدث - في الواقع - عن سياسة ابن عَمّار نفسه »(٢٥٠) ، وكان في مفاوضاته مع النصارى لا يُفَرّطُ إطلاقًا في الأراضي ، وإنما كان يُضَحّي - لتفادي ذلك - بأموال جسيمة (٢٥١)

ومدح حَسّانُ بن المَصّيصيّ (٢٥٢) ابن عَمّار في ثنايا مدحه للمعتمد ، وأشار إلى جهوده في دفع النصارى عن المملكة ، فقال :

[من الطويل]

١١- لِذَاكَ ابْنُ عَمّار ثَنَى أَذْفُونَشَ طَائِعًا بِسَعْدِكَ حَتَّى لَو أَمَرْتَ لأَسْلَمَا (٢٥٣)

كما مدحه عبد الجليل بن وهبون (ت ٤٨٣هـ) (٢٥٤) ، وأشاد بجهوده في منصبه ، وسياسته الرشيدة في إدارة شئون البلاد ؛ فلولاه لأصبح ربع المجد خرابًا ، ولَمّا أحرقت أرض العدو صواعق ؛ فهو نِعْمَ الوزير ، يقول :

[من الطويل]

١- قَتَلْتُ بَنِي الأَيّامِ خُبْرًا فَبَاطِنِي مَشِيبٌ ، وَمَا يَبْدُو عَلَيّ شَبَابُ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

تَخَيَّلَ لي أنّ الشّـبـاب خـضـابُ
لَمـا كـانَ مُلْـكٌ في الأنـام لُبابُ
لأصبَحَ رَبْعُ المَجْدِ وهْـوَ خَـرابُ
ولا كـانَ يُـدْرَى لِـلـحَوادِثِ بَابُ
ولا مَطَـرَتْ أرْضَ العُفـاةِ

٢- ولمّا رأيتُ الزُّور في النّاسِ فاشيًـا
٣- ولَولا المُلكُ لَم يُغْنِ مُـعْـتَـدّ
٤- ولَولا ابنُ عمّار وفـاضِلُ سَـعْيِهِ
٥- ولَما كانَ يُؤتى المَجْدُ من حَيثُ يُبْتَغى
٦- ولا أخرقَتْ أرضَ العَدُوّ صَـواعِـقٌ
سَحابُ (٢٥٥)

وأرسل إليه أبو الفضل بن حسداي (٢٥٦) رسالة نثريـة يمدحـه فيهـا ، ويوصيه بالاعتناء بأمر أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحداد القيسي الوادي آشي (ت٤٨٠هـ) (٢٥٧) ، ومنها قوله : « وما زلتَ – أدام الله عـزّك – تجلـو علـى المتوسلين إليك صَفَحَاتِ البِشْر ، وتُنْزِلُهُمْ في ذَراك عرصاتِ الإجمالِ والبِرّ، فتجني ثمَرَاتِ المجد ، وتتنشقُ نفحاتِ الشكرِ والحمد » (٢٥٨) .

وقد سعى ابن عَمّار – بكل الوسائل – إلى توثيق علاقته مع ألفونش ، فقـد كان يتملق مِنْ الناس مَنْ يستطيع أن ينفعه بالجاه أو المال ؛ وهو « الوحيد القـادر على فرض وجهه نظره في النزاع المرير القائم بين الأمـراء المـسلمين »(٢٥٩) ؛ حتى يجد مأمنًا وطريقًا يلجأ إليه عندما تتقلب به الأحـوال ؛ ولإخافـة الممالـك الإسلامية ؛ وكي يضمن مناصرته وتأييده ، وتَمّ له ما أراد . ولم يكن يَخْفَى علـى ألفونش أن ابن عَمّار ما قصده حُبًّا فيه ، بل ليستعين به على كبت خصومه ؛ فهو طَوع من يُحَقّقُ مطامعه ، ويُبَلّغُهُ مَآرِبَهُ .

لذا وصفه ابن خاقان (ت٥٣٥هـ) بأنه تابعٌ لألفونش ، مخيـفٌ لملـوك زمانه لخُبْثِه ومكره وفُحْش لسانه ، يقول : « واصطَفَاهُ العَدُوّ ، فَاتَّفَقَ لَهُ الـسُّكُونُ والهُدُوّ ، وتَهَالَكَ فيه كَلَفًا وَهُيَامًا ، أمْطَرَهُ مِنْ الحُظْوَةِ غَمَامًـا ... اسـتَدَرّ بهمـا لملوكِ أوَانِهِ أخْلافًا ، فَارتَاعَتْ مِنْهُ الأقْطَارُ ، وطَاعَتْ لَهُ اللُّبَانَاتُ والأوطارُ »(٢٦٠)

ووصفه عبد الواحد المراكشي (ت٦٦٩هـ) بأنه شديد الخبـث ، يعـرف كيف يصل إلى المراكز العُلْيَا بالدهاء وسعة الحيلة ، ولو لَمْ يملك من المواهب ما

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

يؤهله لاحتلال تلك المراكز، يقول : « ولم يزل المعتمد يعده لكل أمر جليل، ويؤهله لكل رتبة عالية ، وكان ابن عمّار - مع هذا - لا يُناط به أمرٌ إلا اضطلع به ، وكان فيه كالسكّة المُعَمّاة »[٢٦١] .

فقد « مُكّنَ في دهره من تدبير الإقليم ، أو انبسطت يداه في الناخر والتقديم »[٢٦٢] ، وفضلاً عن ذلك كان ذائع الصيت في بلاد الأندلس وممالك إسبانيا النصرانية المجاورة فقد شرّقَ ذكره وغرّبَ ؛ حتى حظيَ بإعجاب ألفونش ، الذي كان إذا ذُكِرَ عنده ابن عمّار قال : « هو رجل الجزيرة ! »[٢٦٣] ، وذكر أن « رجال الأندلس ثلاثة : أبو بكر بن عبد العزيز[٢٦٤] ، وأبو بكر بن عمّار ، وششنند (Sisnando) »[٢٦٥] .

وازدادت ثقة ابن عمّار بنفسه ، وتطلّعَ إلى توسيع رقعة مملكة إشبيلية ، وأقنع المعتمد بضرورة الاستيلاء على مرسية ، فجهّزَ المعتمد جيشًا لفتحها ، وكانت مُرْسِيَة يومَئِذٍ تحت حكم ابن طاهر ، وفيها كثير من الناقمين على حكمه .

وعهد المُعْتَمِد إلى ابن عمّار بوضع الخطة اللازمة لافتتاح مُرْسِيَة ؛ فعقد مع الكونت رايموندو بيرنجير الثاني (Raimumdo Berenguer) أمير برشلونة اتفاقًا يتعهد فيه بأن يعاونه بفرسانه على فتح مُرْسِيَة مقابل عشرة آلاف مثقال من الذهب تُؤَدَّى إليه ؛ وللتأكد من صدق النوايا اتفقا على أن يرهنَ كلُّ واحد من الطرفين المتعاقدين رهينة ؛ فرهن الكونت ابن عمّه ، ورهن ابن عمّار الرشيد بن المعتمد لدى الأمير البرشلوني ، وكان المعتمد يجهل هذا الشرط .

وحاصرت القوات المتحالفة مدينة مُرْسِيَة ، ولكن المعتمد تأخّر في أداء المال ، فقبض الكونت على الرشيد وابن عمّار ، وبلغ الخبر المعتمد فأزعجه جدًا ، وبادر بإرسال المال المتفق عليه ، ولكن الأمير المسيحي لم يَعُدْ يقبل بغير ثلاثين ألفًا ؛ فاضطر إلى سكّ نقود مزيفة ، وبعث بها إليه[٢٦٦] .

ولم تنجح هذه الحملة ، وعاد ابن عمّار خجلاً كئيبًا ، وأراد أن يستدرك أمره ؛ فأرسل إلى المعتمد معتذرًا عمّا بدر منه بعد فشله في حملته على مرسية ،

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

هو في حالة قلق وخوف ؛ لذا بعث بهذه القصيدة بين الحيرة والندم والأسف ، يقول (٢٦٧) : [من الطويل]

١- أصدّقُ ظنّي ، أمْ أصيخُ إلى صَحْبي وأُفضيَ عزمي ، أم أعوجُ مع الركْبِ

٢- إذا انقدتُ في رأيي مشيتُ مع الهوى وإنْ أتعقّبْهُ نكصتُ على عقبي

٣- وإني لتثنيني إليك مودّةٌ يُغيّرُها ما قد تعرّضَ من ذنبي

ثم يتعجب من الأيام وحكمها ؛ فقد قضت حُكمًا غريبًا لم يَدُرْ بخلَدِه يومًا ، فقد جعلت البُعْدَ عن المعتمد أكثرُ أُنسًا من القرب منه ، يقول :

[من الطويل]

٤- فَمَا أغْرَبَ الأيّامَ فِيمَا قَضَتْ بِهِ تُرِينِيَ بُعْدِي عَنْكَ آنَسَ مِنْ قُرْبي

يقول إن نفسه متأرجحة بين عاطفتين متناقضتين : إحداهما عاطفة الخوف ، وسببها ما ارتكبه من ذنب ، والعاطفة الأخرى عاطفة الحب الذي يحمله قلبه له ، ذلك الحب الذي سَيُمكّنه من الحصول على العفو الذي ينشده ، والصفح الذي يبتغيه :

[من الطويل]

٥- أُخافُكَ لِلحَقِّ الذِي لَكَ فِي دمِي وَأَرْجُوكَ لِلحُبِّ الذِي لَكَ فِي قلبي (٢٦٨)

وهذا البيت من حسن الاعتذار بمكان ، وقد أثنى عليه ابن الأبار فقال : « إنه - على سهولة مبناه - من أحسن ما قِيلَ في معناه ، وبمثله فلْتَخْدُع الألبابُ ، وتستعطف الأعداءُ للأحباب ، إلا أنّ المصراع الأوّل كأنه شيء تكهّنَهُ من شانه ، وطيرةٌ ألقاها الله على لسانه ، وصدَقَ : كان له في عنقِهِ ربْقٌ ، وفي دمه حقٌ حتى احتال له فناله » (٢٦٩)

ثم يقول :

[من الطويل]

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

٦- وكَمْ قَدْ فَرَتْ يُمْنَاكَ بي مِنْ ضَرِيبَةٍ ... وَلا بُدَّ- يوماً - أن تُلاقي مِنَ الظُّبا

غَرْبي

٧- وأعْلَمُ أنَّ العَفْوَ مِنْكَ سَجِيَّةٌ ... فَلَمْ تَنْوِ إلاَّ أن تُحَقِّقَ مَا عُتْبي

٨- ولِي حَسَنَاتٌ لَمْ أمُتْ بِبَعْضِهَا ... إلى الدَّهْرِ لَمْ تَرْتَفِعْ لِلسَّالِبِ سِرْبي

٩- وَلا بُدَّ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ نَشًا ... يُطَبِّقُهَا مَا بَيْنَ شَرْقٍ إلى غَرْبِ

يقول : لقد حالفني الفوز مراتٍ عديدة ؛ ولا بُدَّ أن يأتي يومٌ تتجلى فيه هذه الشدة ؛ لأن العفو طبعٌ أصيل فيك ، ثم يؤكد وفاءه له ، والتفاني في خدمته ، ويُذَكِّرُهُ بأنه قَدَّمَ له خدماتٍ جليلة ، يَذْكُرُها له الدهر ، وهذا يمثل إعجابه بنفسه ، وفخره بمآثره .

لقد حاول أن يُرَقِّقَ قلب المعتمد بكل وسيلة ممكنة ، ويجب أن يكون الشاعر لبقًا ذكيًا « يعرف كيف يأخذ بقلب المعتذَر إليه ، وكيف يمسح أعطافه ، ويستجلب رضاه »[٢٧٠] ، ولا يخفى أن الألفاظ تستطيع أن تُحَرِّكَ كوامن النفس ، وتَهُزَّ المشاعر إذا حَسُنَ استخدامها .

وكان شعرُهُ مُؤَثِّرًا ، لطيف المدخل إلى النفس ؛ لقد أخذ يُبَرْهِنُ على أنه يستحق الصفح ، وكان مُوَفَّقًا في الدفاع عن نفسه ، وأظهر عُذْرَه ، ونجح في تصوير نفسيته ، وقَبِلَ المعتمدُ عُذْرَه واستعطافه ، وعفا عنه ، وفي نفسه ما فيها من حزن عميق بسبب هذا الحادث ، وعرف أنه لا يُؤْمَن جانب رجل طموح مثله ، وأجابه بقوله[٢٧١] : [من الطويل]

١- تَقَدَّمْ إلَى مَا اعْتَدْتَ عِنْدِي مِنَ الرِّحْبِ ... وَرِدْ تَلْقَكَ العُتْبَى حِجَابًا مِنَ العَتْبِ

٢- مَتَى تَلْقَنِي تَلْقَ الَّذِي قَدْ بَلَوْتَهُ ... صَفُوحًا عنِ الجاني، رءُوفًا على الصَّحْبِ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

٣- سأولِيكَ مِنِّي مَا عَهِدتَ مِنَ الرِّضَا ... وَأُغرِضُ عَمَّا كَانَ - إِنْ كَانَ -
مِن ذَنبِ

٤- فَمَا أَشعَرَ الرَّحمَنُ قَلبِيَ قَسوَةً ... وَلا صَارَ نِسيَانُ الأَذِمَّةِ مِن
شَغبِي

٥- تَكَلَّفتُهُ ؛ أَبغِي بِهِ لَكَ سَلوَةً ... فَلَيسَ يُجِيدُ الشِّعرَ مُشتَرِكُ
اللُّبِّ

ذَكَرَ لابن عَمَّار أنه كتب له هذه الأبيات الشعرية متكلفًا ؛ لأن قلبَهُ مشغولٌ بالتفكير في ابنه الأسير .

وقال ابن عَمَّار أيضًا معتذرًا للمعتمد في نفس المناسبة (٢٧٢) ، واستهل قصيدته بوصف حيرته وتردُّده أيُقبِلُ على المعتمد صاغرًا نادمًا ، أم يهيم على وجهه في ربوع الأرض :

[من الطويل]

١- أَأَركَبُ قَصدِي ، أَمْ أَعُوجُ مَعَ الرَّكبِ ... فَقَدْ صِرْتُ مِنْ أَمرِي عَلَى مَرْكَبِ
صَعْبِ

٢- وَأَصبَحتُ لا أَدرِي أَفِي البُعدِ رَاحَتِي ... فَأَجْعَلُهُ حَظِّي ، أَمِ الخَيرُ فِي
القُرْبِ

ويؤكد أنه يعلم أنَّ المعتمدَ مُؤثِرٌ - في كل حالٍ - ما يُخَفِّفُ من حُزْنِهِ وجَزَعِهِ وخَوفِهِ ؛ ومن ثَمَّ فهو يميل إلى العفو عنه ، يقول :

[من الطويل]

٣- عَلَى أَنَّنِي أَدرِي بِأَنَّكَ مُؤثِرٌ ، ... عَلَى كُلِّ حَالٍ ، مَا يُزَحزِحُ مِنْ
كَرْبِي

وتُظْلِمُ الدنيا في عينيه ؛ من جَرَّاء ما يَشْعُرُ به من وحشة ، ويُمْعِنُ في وصف سوء حاله ، ويتعجب كيف تنبو عنه مآثر المعتمد ، يقول :

[من الطويل]

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

٤- أيُظْلَمُ في عَيْنِي كَذَا قَمَرُ الدُّجَى ... وتَنْثُو بِكَفِّي شَفْرَةُ العَضْبِ ؟

ويُذَكِّرُهُ بالصداقة التي جمعت بينهما ، ويطلب منه أن يحزن عليه ويرثي لحاله ، لأنه ليس له مُؤَيِّدٌ وسَنَدٌ غيره ، يقول: [من الطويل]

٥- حَنَانَيْكَ فِيمَنْ أَنْتَ شَاهِدُ جِدِّهِ ... وَلَيْسَ لَهُ- حاشا لِسَتْصَاحِكَ- صَاحِبِ

لم يرضَ بالهزيمة ؛ لذا حاول أن يجد لنفسه مخرجًا ؛ فأخذ يُعَلِّلُ سلوى ويُبَرِّرُ مَوقِفَهُ بلباقة ، ويدافع عن نفسه ، ويطلب التثبُّت من التهمة ، وتحري حقيقة الأمر ، ويَتَبَرَّأ من الذنب الذي التصق به ، ومن الإساءة إلى المعتمد وابنه ، ويقول إنه ما قَصَدَ ظُلْمَ أحد ، ولم يَخُنْ المعتمد ، وما كان يبغي سوى الخير ، ولم يَقُلْ إلا بما رآه صوابًا .

ويُقِرُّ – مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ – بأنه لم يُذْنِبْ في شيء ؛ فقد نَبَّهَ المعتمد إلى ضرورة الإتيان بالمال في الموعِد المُتَّفَق عليه ، ولكنه لم يلتزم بالموعد وتأخر فحدث ما حدث ، ويُعَاتِبُهُ عتابًا لطيفًا يحمل في داخله لومًا خفيفًا ، يقول: [من الطويل]

٦- وَمَا جِئْتُ شَيْئًا فِيهِ بَغْيٌ لِطَالِبٍ ... يُضَافُ بِهِ رَأْيٌ إِلَى العَجْزِ وَالعُجْبِ

٧- سِوَى أَنَّنِي أَسْلَمْتَنِي لِمُلِمَّةٍ ... فَلَلْتَ بِهَا حَدِّي ، وَكَسَّرْتَ مِنْ غَرْبِي

نرى عتابًا رقيقًا ، واحتجاجًا هادئًا حاول به الشاعر تسويغ ما حدث ، ثم يعود ويتلطف في القول ، ويمدح المعتمد بالفضل والإحسان ؛ بُغْيَةَ التأثير في نفسه ، وترقيق قلبه ، واستدرار عطفه ، ويؤكد أنه لولا أفضاله ومكارمه ؛ لَمَا حَمَّلَ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

نفسه ما احتملته من الأذى والحزن ، ولمّا تحسّن الذنب للفسه ، يقول :

[من الطويل]

٨- أما إنّه لولا عوارفُك التي جرَتْ فيّ مجرى الماءِ في الغُصُنِ

الرطب

٩- لما سئمتْ نفسي ما أشومُ من الأذى ولا قلتُ : إنّ الذنبَ فيما جرى

بني

ويختم قصيدته باستعطاف المعتمد راجيًا عفوه ، يقول :

[من الطويل]

١٠- سأستمنحُ الرُحمَى لَدَيكَ ضَراعَةً وأسألُ سُقيًا من تجاوزك

العذب

١١- وإنْ لفحتني منْ سمائِكَ حَرْجَفٌ سأهتفُ : يا بَرْدَ النسيمِ على

قلبي !

يطلب الرحمة والصفح ، ويتضرّع لتحقيق ذلك الهدف ، ويسأله عفوًا كريمًا ، ويُدلّلُ على شدة حُبّهِ بأنه يرى الرياح الباردة من قِبَلِهِ نسيمًا عليلاً يُنعِشُ النفس ويُسعِدُ الروح .

ويعرف ابن عمّار جيدًا كيف يصوغ الأسلوب الذي يهيئ المخاطب للقدوم على أمرٍ ما ، كما اتضح في هذه القصيدة ، التي حققت هدفها ؛ فنال عفو المعتمد ، وقد كان لهذه القصيدة أثرها في نفس المعتمد فأجابه بأبيات شعرية [٢٧٣]

وقد كتب أبو بكر بن القصيرة (ت ٥٠٨هـ) [٢٧٤] رسالة على لسان المعتمد إلى صديق له ، يَذْكُر فيها أسباب فشل حملته الأولى على مرسية ، ويُعلن عزمه على فتحها ، ومعاودة المحاولة مع إسناد الأمر لابن عمّار مرة أخرى [٢٧٥].

وبعد أن مضى على تلك الأحداث ثلاث سنوات عنّ لابن عمّار أن يُعاود الهجوم على مرسية ؛ فلَبِسَ قِنَاع الناصح المُخلِص ، وطلب من المعتمد أن يذهب لفتح مرسية ، وادعى أن أهلها ناقمون على حاكمِهَا ، وأظهر للمعتمد كُتُبًا كثيرة

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

زعم أنها من أهل مرسية يستدعون فيها المعتمد كي يفتحها ، ويسخنها لملكها إشبيلية ، ورَحُبَ المعتمد بما اقترحه ابن عمّار ، الذي كان يُدبّرُ أمره للاستئثار بمرسية لنفسه ، وكان هذا التدبير يتم ببطء ، ومن وراء ستار .

وذهب إليها والطمع ملء جوانحه ، والآمال تُخَيَّلُ له المستقبل كما يهوى ويحب ، على أن الأمر لم يكن - فيما يظهر- من اليُسر بحيث ظَنَّ ابن عمّار ، الذي أبان بهذا الفعل عن صغر نفسه ، ولُؤم قدره ، وكان « يُسري سلطانه لا السَّعْيَ له ، وهو في الباطن يجدُّ لنفسه ؛ لكي يتخذها معقلاً يراسُ فيه »[٢٧٦].

وسار بعد استعداداته لفتح مرسية إلى قرطبة ؛ وألحق بجيشه جزءًا من حاميتها ، وقضى ليلة بصحبة أميرها الفتح بن المعتمد (ت٤٨٤هـ) [٢٧٧] ، الذي أعجب ببراعة أحاديثه وحدة ذكائه ؛ لأنه لَمَّا جاء الفجر ، وقت السفر ، قَدَّمَ إليه أحد أتباعه يُنَبِّهُهُ ، فأجابه مرتجلاً :

[من البسيط]

١- إليكَ عَنِّي ؛ فَلَيلِي كُلُّهُ صُبْحُ وكَيفَ لا ، وَسَمِيرِي الحَاجِبُ الفَتْحُ[٢٧٨]

واجتاز من قرطبة إلى حصن بَلج (Vélez Rubio) ، وكان يحكمه عبد الرحمن بن رشيق [٢٧٩] ، الذي رحُبَ به ، واحتفى بقدومه احتفاءً كبيرًا ، وتوجه الاثنان نحو أراضي مملكة مرسية ، واستوليا في طريقهما على حصن مُولَة [٢٨٠] ، وقبل الوصول إلى مرسية توجه ابن عَمّار إلى إشبيلية ، وترك قيادة الجيش لابن رشيق ، الذي ضرب عليها الحصار ، وأخذ يتابع الأنباء السارّة التي تَرِدُ إليه من ابن رشيق ، ويقول: « كأنكم بفتح مرسية من غد إلى بعد غد »[٢٨١] ، وغيرُ خافٍ ما في هذا القول من نبرة الغرور والثقة الزائدة بالنفس .

وصدقت مقولة ابن عَمّار ، وفتحت المدينة أبوابها بطريق الخيانة ، ودخلها جند المعتمد ، وقُبِضَ على ابن طاهر ، واُعتُقِلَ ، وكان افتتاح مُرْسِيَة على هذا النحو سنة ٤٧٤هـ (١٠٨١م) [٢٨٢] .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

استيلاء ابن عمار على مُرْسِية :

وعندما ورد كتاب ابن رشيق المتضمن دخوله مرسية على ابن عَمّار فسي بسيلية ، سُرَّ مسرورًا عظيمًا ، وأشار على المعتمد بأن يلحق به ؛ فوافَقَ ، ولم يترك « بإشبيلية في ملك سلطانه ، ولا مِلْكِ أحد من معارفه ، فرسًا عتيقًا ولا مطية ولا زاملة ، إلا استخرج ذلك من أيديهم رغبةً ورهبةً ؛ حتى لاجتمع له مائةُ جنيبة ومائة زاملة ، وأحضر له التجار ما بأيديهم على اختلاف بضائعهم » (٢٨٣) .

وكان يهدف من ذلك إلى توزيع الهدايا النفيسة على أعيان مرسية ، وكُلِّ من يتوقع منه فائدةً تُرْجَى في المستقبل ؛ حتى يستميلهم إلى جانبه .

وقد بدأت الشكوك تساور المعتمد نحو ابن عَمّار ، ولم يَعُدْ يثق به ثقةً كاملة ؛ فلما سَلَّمَ عليه مودعًا قال له : « سِرْ إلى خيرة الله ولا تظن أني مخدوع » (٢٨٤) ، فقال : « لستَ بمخدوع ولكنك مضطر » (٢٨٥) . وقول ابن عَمّار (ولكنك مضطر) : فيه سخرية من المعتمد ، ويَدُلُّ على فرط ثقته بنفسه وغروره ، وعلمه بحاجة المعتمد الشديدة إليه .

وقد سلك في مرسية مسلك الأمراء الفاتحين ، وزَادَ في تعاليه وغروره ؛ فجلس يتلقى التهنئة ، وتبارى الشعراء في مدحه ، ولبس الطويلة على رأسه مُقَلِّدًا للمعتمد ، وحَكَاهُ في التوقيع على الأوامر ، وكتب : (يُنَفَّذُ هذا إن شاء الله) ، وأنزل ذكر المعتمد من على المنابر (٢٨٦) ، وتختَّم في كلتا يديه (٢٨٧) .

وأشار ابن بُلُقِّين إلى انتهاء الدسائس والمؤامات بعد انشغال ابن عَمّار في مرسية (٢٨٨) ؛ والدليل على ذلك « ارتباط المُعْتَمِد إلى الخير ، وإيثاره للصلح بزوال هذا الفاسق ابن عَمّار عن دولته »(٢٨٩) .

وقد أتاح له المعتمد من الغِنَى والثروة ما يكفل له لين الحياة وخفض العيش ، ومع ذلك غدر به ، وطمع في الحكم ، وأخذ يُخَطِّطُ للاستيلاء على مرسية ، وتَصيب نفسه حاكمًا عليها ، وقد جاء سلوكه هذا متفقًا مع طموحه وأمانيه في السلطان والسيطرة ، ومع الجرأة التي أَخَذَ بها نفسه منذ الصغر ؛ فأعمل الحيلة حتى بلغ ما أراد ، ولم يجد حرجًا في أن يفعل ذلك بالمعتمد ؛ فقد كانت طبيعته

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

ومشاعره تدفعه إلى ذلك دفعًا ، والطبع يغلب التطبُّع كما يقولون ، ولا استغلال لل
المعتمد وصدق وُدِّه في تحقيق أطماعه الشخصية .

وهو طموحٌ جدًّا ؛ لذا طمح إلى أبعد ما يطمح إليه الشاعر عادةً ، فإ
نفسَهُ لا تَسْكُن أبدًا ؛ لذا عندما عَيَّنَهُ المعتمد والِيًا على مرسية ، استقل بأمره ، ولا
، وصَوَّرَ له غروره أنه يستطيع أن يقف من المعتمد موقف النِّد للنِّد ؛ ولهذا
استولى عليها يُحَرِّكُهُ الحقد على المعتمد ، لقد تجاوز - بطمعه في الرئاسة - طمع
أشعب [٢٩٠] ، على حد تعبير ابن بَسَّام [٢٩١] .

وأستطيع أن أقول إنه شخصية من نمطٍ غيرَ سويٍّ ؛ فإن سلوكه مردّهُ إلى
اختلالٍ ما في الطبع والخُلُق ، أو يرجع إلى اختلال التوازن في شخصيته ، إنه بعد
أن سقطت عنه وطأة الظُّلْم والاضطهاد ، وبعدما بلغ ما كان يبتغيه من مؤيد ومعـ
في بلاط المعتمد ، لم يكتفِ بذلك .

وقد استبدت الأنانية به ؛ فهو يطلب الحُظْوة كيف تَيَسَّرَتْ ، ولا يحفـ
جميلاً لأحد ؛ فقد كانت كُلّ طاقته موجهة لإبراز ذاته ؛ حتى يُعَوِّضَ ما يشعر به
من نقصٍ ، وقد زادت فيه صفة جُبّ النفس عن حدِّها ، وأدّتْ إلى التعدّي على
حقوق غيره ؛ فصار بغيضًا لدى الناس ، لا يفكر إلا في نفسه ، ويقيس الأمور
بمقياس المصلحة الذاتية ؛ فاتجاه تفكيره ومحور سياسته اقتناص الفرص لتوطيـ
مكانته وإعلاء شأنه ، فالدنيا وُجِدَتْ لتحقيق غاياته ، وإشباع شهواته ، والناس
خُلِقُوا ليستغلهم ، ويُسَخِّرُهُمْ في سبيل مطامعه ، وفوق هذا فإنه يستخف بقوانين
الدين والخُلُق .

وفي عصر ملوك الطوائف كَثُرَ المغامرون وأصحاب المطامع ، وقَوِيَتْ
الأَثَرَة ، وتَحَكَّمَتْ في سلوك الأفراد ، ولم يكن غريبًا أن تتغير الآراء وتتبدل بين
ليلةٍ وضُحَاها بتغير المصلحة الشخصية الفردية ، التي أصبحت الهدف الذي يسعى
إليه الجميع [٢٩٢] .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

وقد عاش ابن عمّار في مجتمع متصارع ، يخضع للمصالح الشخصية والأهواء الذاتية ؛ برزت فيه « شخصية الرجل القلق المغامر الذي يتحول من بلد إلى بلد ، عارضًا مهارته على من يقدرها حقّ قدرها »(٢٩٣) ، وهو ابن عصره ، واسع المطامع ، يجيد انتهاز الفرص السانحة ؛ لذا « يركب إلى غايته كل واسطة ، مؤمنًا بالصداقة بمقدار ما تُبَلِّغُهُ أهدافه » (٢٩٤) ، فهو لا يرى حرجًا أن يتنقل ويتلون بين الأمراء (المسلمين والنصارى) ؛ لتحقيق مآربه .

ونستطيع أن نقول إن طموحه كان ثمرة لعصره المُثْقَل بالاضطرابات والدسائس ؛ فشهوة المجد لم تكن سمة انفرد بها ابن عَمّار وَحْدَه ، إنما هي تعبيرٌ جليٌّ عن سمة عصر بأكمله ، فَسَدَتْ فيه الأخلاق ، وكَثُرَتْ الصراعات والفِتَن .

وفي مرسية انصرف ابن عَمّار إلى مباهجه ولذاته ، والكب على سائر الشهوات ، وكأنه غير مُصَدِّق لما حدث ، يريد أن يستمتع قبلَ فوات النعمة ، أو كأنه غير آمن ، يخشى غدر الأيام ، وتقلب الدهر به ، وأخذت نزعة التعالي والاعتداد بالنفس ، وإصغار الناس والاستهانة بهم ، تقوى وتملأ جوانب صدره ؛ حتى صارت أظهر سمات شخصيته ، وقَوِيَ في نفسه الطمع ، وحُبّ النفس ، وأصبح مشغولاً بما يُفْسِدُ حياته من اللهو والعبث ؛ فهو منغمسٌ في لَذّاته ، مقيمٌ فيها مُصْطَبِحًا ومُغْتَبِقًا .

وكان له مِزَاجٌ حادّ ، كَرِهَ الناس ؛ فأصبح إليهم بغيضًا ، وانقطعت بينهما صلة المودة والعطف ، فقد كان فَظًّا ، غليظ القلب ، شديد الجشع ، مستبدًا ، ظالمًا ، استخفّ بالناس ، وأدمن الخَمْر (٢٩٥) .

ومن مظاهر حُبّ الرياسة والسيطرة حُبّ الثناء ، وقد أقبل الشعراء المادحون عليه يهنئونه بإمارة مرسية ، بعد خلع بني طاهر عنها ، ومن هؤلاء : أبو محمد بن الطلاء المهدوي ؛ حيث يقول في مطلع قصيدته (٢٩٦) : [من الكامل]

١- إنّ ابْنَ عمّار حكى عَمْرَو القَنَا لِلْمُسْتَجِيرِ ، وَحَاتِمًا لِلْمُعْدِمِ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

ووقف المعتمد مبهوتًا – من أثر المفاجأة – إزاء ما فعله ابن عمّار ، وكان حزينًا متألمًا من جَرَّاء غدره به ، وهذا يكشف مدى الارتباط النفسي بين المعتمد وشاعره الأثير .

وكان ابن عمّار حريصًا على إخفاء ما بنفسه ، يكيد لمن يُسْبِغ عليه الجود والعطاء ، وهذه الحادثة دليلٌ قاطعٌ على أنه لم يكن يُضْمِرُ للمعتمد حُبًّا البتة ، بل كان يُخْفِي بين جنبيه الحقد عليه ؛ فإن حرصه على أن يتولى إمارة مرسية متوسلًا عن طمعه ، وطمعه متولدٌ عن حسده ، ولكن الحسد لا يَضُرُّ إلا الحاسد ! وهو داء لا يُبْرَأُ منه :

إن الحسد خُلُقٌ دنيء ، يجعل الحاسد لا يطيق النعمة عند غيره ، ولو كانت عنده ، ولا يستريح إلى شعور الناس بالسعادة ؛ لانقطاع صلة العطف والمشاركة بينهما في الأفراح والآلام ، يُحْزِنُهُ أن يَنْعَمَ الناس ؛ لأنه يَرَى النعمة وَقْفًا عليه ، ويرى أن كل ما سَرَّ غَيرَهُ مسلوبٌ منه ، وكيف يَرْضَى الحَاسِدُ ! (٢٩٧)

« وفي مدة إقباله على سفاهته ، كان ابن عَبَّاد يستلطفه بأعيان الأصحاب ، فيذكِّرونه بالأذِمَّة »(٢٩٨) ، وعندما ساءت الأحوال بينهما عاتبه المعتمد متمثلًا بهذين البيتين(٢٩٩) :

[من الطويل]

١- تَغَيَّرَ لِي فِيمَنْ تَغَيَّرَ حَارِثُ ... وَكَمْ مِنْ أَخٍ قد غَيَّرَتْهُ الحَوَادِثُ

٢- أَحَارِثُ إِنْ شُورِكْتُ فِيكَ فَطَالَمَا ... غَنِينَا ، وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ثَالِثُ

ولا يخفى ما يحمله قوله : (وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ثَالِثُ) من إشارة للأيام التي نَعِمَا فيها سَوِيًّا في شلب ، حيث كانا متلاصقين أشدّ ما يكون الالتصاق ، وتنكيرها بما كان يدور بينهما منفردين .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

فأجابه ابن عمار (٣٠٠) :

[من الطويل]

١- لكِ المثلُ الأعلى ، وما أنا حارثٌ ، وَلا أنا ممَّنْ غيَّرتْهُ الحوَادثُ

٢- ولا شاركتْكِ الشمسُ فيَّ ، وإنَّهُ ليَنْأى بِحَظِّي منْكِ ثانٍ وثَالثُ

٣- فدِينُكِ ، ما للبِشْرِ لَمْ يَسْرِ تَرْكُهُ ، وَلا نَفَحَتْ تِلْكَ السَّجَايَا الدَّمَائِثُ

٤- أظُنُّ الذي بيني وبينكِ أذْهَبَتْ حَلاوَتَهُ عَنِّي الرِّجَالُ الأَخَابِثُ

٥- تنكَّرْتِ ، لا أني لِفَضْلِكِ نَاكِرٌ لَدَيَّ ، وَلا أنِّي لِعَهْدِكِ نَاكِثُ

٦- ولَكِنْ ظُنُونٌ سَاعَدَتْهَا نَمَائِمٌ كَمَا سَاعَدَتْ مَثْنَى المَثَانِي المَثَالِثُ

٧- أبَعْدَ مَضَتْ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ حِجَّةً تَحَافَتْ بِنَا تِلْكَ الخُطُوبُ الكَوَارِثُ

٨- مَضَتْ ، لَمْ تَرِبْ مِنِّي أُمُورٌ شَوَائِبٌ وَلا تُلِيَتْ عَنِّي مَسَاعٍ خَبَائِثُ

٩- حَلَلْتِ يَدًا بِي هَكَذَا، وَتَرَكْتَنِي نِهَابًا ، وَلِلأَيَّامِ أيْدٍ عَوَابِثُ

١٠- وَهَلْ أنَا إلاَّ عَبْدُ طَاعَتِكِ التِي إذَا مِتُّ عَنْهَا قَامَ بَعْدِيَ وَارِثُ ؟

١١- أعِدْ نَظَرًا ، لا تُوهِنِ الرَّأيَ ؛ إنَّهُ قَدِيمًا كَبَا هَافٍ ، وَأدْرَكَ رَائِثُ

١٢- سَتَذْكُرُنِي إنْ بَانَ حَبْلِي وَأصْبَحَتْ تَئِنُّ بِكَفَّيْكِ الحِبَالُ الرَّثَائِثُ

١٣- وَتَطْلُبُنِي إنْ غَابَ لِلرَّأيِ حَاضِرٌ وَقَدْ غَابَ مِنِّي لِلخَوَاطِرِ بَاعِثُ

١٤- أعُوذُ بِعَهْدٍ نُطْتُهُ بِكِ أنْ تُرَى تَحُلُّ عُرَاهُ العَاقِدَاتُ النَّوَافِثُ

يقول له : إني لستُ حارثُ الذي تَحَدَّثْتَ عنه ، ولست مِمَّن يتخلى عن أصدقائه ، ويميل مع الريح حيث تميل ، فيصفو عندما تكون صافية ، ويغدر عندما يَغدر ، ولا أنا مِمَّنْ تُغَيِّرُهُ حوادث الزمان ، فإني صادقُ الوُدِّ ، دائم الوفاء ، ثابت الإخلاص ، لا أتغيرُ ولا أتخلَّى عن الصديق . وغيرُ خافٍ أن هذا القول يُنافي شخصيته تمامًا .

ولم تستطع الشمسُ – ولعله يقصد زوجته الجميلة – أن تشاركك في قلبي ؛ فقلبي لا يوجد فيه إلا حُبُّكَ . ويؤكد أنه ينأى بحظه منه أن يشاركه فيه ثانٍ أو ثالث ؛ مما يدل على مدى الترابط الوثيق الذي يجمع بينهما .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

ويجعل نفسهُ فداءً له ، ويتنصل من الذنب ، ويقول : لقد ذهب الرجال الخبثاء ، الذين يسعون بالكذب المُزيّن ليخدعوا سامعيهم ، حلاوة ما بيني وبينك من مودة وحُبّ صادق ، لقد نَصَبَ هؤلاء الوُشاةُ شباكًا من الدسائس المحكمة ، والمكر الخبيث ، وبها استطاعوا التفريق بيننا .

وقد تَنَكَّرْتَ لي ، وأنا – في المقابل – لفضلك ذاكرٌ معترفٌ ، لا أفتأ عَهدَكَ الوثيق من المودة والوفاء والإخلاص ، ولكن الأمر ظلونٌ وشكوك لاكتهما أقاويل الوشاة ، ورَسْختَها وجعلتها – وهي زُورٌ من القول – حقائق مؤكدة ثابتة ، كما تساعد المثاني المثالثُ في الغناء .

ويتحسر على المدة الطويلة التي قضاها مُتَنَعِّمًا ، عزيز الجانب ، في صحبة المعتمد إلى أن دبَّتْ الخلافات بينهما ، ويعاتبه ، ويستذكر ما حدث قائلاً : أبعد أن مَضَتْ خمس وعشرون سنة في صداقة ومودة ، تنأى بنا تلك المصائب ، ولا نتمكن من السيطرة عليها ؛ أبعد مرور هذه الفترة الطويلة ، وفيها كنتُ نِعْمَ الصديق والمعين والنصير ؛ فلم تَرَ مني ما يريب ، ولم تسمع عني ما يُشين ، كيف تَخلَّيتَ عَنِّي ، وتَرَكْتَنِي فريسةً سهلةً لكل طامع ؛ وللأيام أيدٍ كثيرة هدفها التنكيل بي والانتقام مني ، وكل ذلك بسبب مساعي الزجال الأخابث ، الذين لا يألون جُهْدًا في إفساد ما بيننا ؛ لأن قلوبهم امتلأت بالحسد والكراهية .

ثم يُقِرُّ أنه عبد طاعته ؛ وسوف يظل خادمًا مخلصًا له حتى وفاته ، ويؤكد أنه إذا مَاتَ وفارق الحياة ، سوف يقوم مِنْ بعده مَنْ يَرِثُ طاعة المعتمد ويلبي أوامره .

ويُخَوِّفه من مغبة التسرع ، ويرجوه أن يتريث في قراره ؛ فقد يكبو الجواد ، وقد قارب القَصَب ، ويُدْرِكُ حاجتَهُ البطيءُ . ثم يُدَلِّلُ على ثقته الشديدة بنفسه ، ويَمُنُّ على المعتمد بما تَكَبَّدَهُ من صِعَاب في سبيل توسيع رقعة إشبيلية . ويُؤَكِّدُ اعتماد المعتمد عليه في المشورة ؛ فهو على يقينٍ تامّ أنه سيذكره وقت المحن ، ويطلبه حينما تشتد الخطوب ، ويستحضر خدماته السالفة وآراءه السديدة ؛ فقد كان

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

خير جليس وصاحب ، تحتلّ الأمان له ، والبقاء لحكمه ؛ فهو يفوق غيره من شعراء البلاط ؛ ولهذا دبّ الحسد في قلوبهم ؛ فأوقعوا بينهما .

ويختم القصيدة بأن تُوَجّهَ له لومًا خفيفًا ، كما يطلب منه أن يكون مدقّقًا في الحكم ثاقب النظر، ولا يأخذه بما جناه غيره ، ويقول : أعتصمُ بعهد الإخاء والمودة التي عقدته معك، من أن يحل المفسدين من الناس عُرَى هذا العهد الوثيق ؛ فينفصم .

وبعد أن ضبط ابن عمّار أمر مرسية ، طمع في أن يستأثر بلنسية (Valence) [٣٠١] ، وأخذ يُخَطِّطُ للاستيلاء عليها [٣٠٢].

وأمر باعتقال ابن طاهر في حصن مُنْت أقُوط (Monteagudo) [٣٠٣] ، وظلّ ابن طاهر ، المشهور بنوادره ، محافظًا على رباطة جأشه ، يسخر من ابن عمّار ؛ فقد أرسل إليه ثيابًا نفيسة ليختار منها ما يشاء ؛ تقرّبًا إليه ، وردّ ابن طاهر ردًّا عنيفًا قائلاً للرسول : « لا أختارُ من خِلَعه – أعزه الله – إلا فروة طويلة ، وعِفَارةً صقيلة » [٣٠٤] ، وفي ذلك الردّ تعريضٌ بابن عمّار وهيئته يوم جاءه مادحًا في مرسية أيام فقره .

وسعى صاحبه أبو بكر بن عبد العزيز (ت ٤٥٦هـ) أمير بلنسية سعيًا حثيثًا لتخليصه من سجنه ، وشَفَعَ له عند المعتمد ؛ فوَقَعَ الاتّفاقُ على إخلاءِ حِصْنِ جُمِلَّةَ (Jumilla) [٣٠٥] ، وكان أبو بكرِ بنُ موسى – أحد أقارب ابن طاهر – مُمْتَنِعًا فيها ، ووَعَدَ ابنُ طاهر بتسليم الحصن لابن عمّار بَعْدَ أنْ يُحَلَّ من عِقَالِهِ . وبعد خروجه من السجن ، نَكَثَ عهده ، بتحريض من ابن عبد العزيز ، وذهب إلى بلنسية ، وقد أحسن ابن عبد العزيز إستقباله ، وَأَنْزَلَهُ في قَصرٍ مُجَاوِرٍ لِقَصْرِهِ [٣٠٦] ، وقد اعترف ابن طاهر بفضله ؛ فمدحه في رسالة نثرية ، ومنها قوله : « مَنْ ذا يُضَاهِيكَ ، وإلى النَّجْمِ مَرَامِيكَ ؛ فَشَأْوُكَ لا يُدْرَكُ ، وشِعْبُكَ لا يُسْلَكُ . أُقْسِمُ باللهِ لأُعقِدَنَّ عَلَى عُلاكَ مِنَ الثَّنَاءِ إِكْلِيلاً ، يَذَرُ اللَّحْظَ مِنْ سَنَاهُ كَلِيلاً ، ولأُطَوِّقَنَّهُ شَرْقَ البِلادِ وغَرْبَهَا ، ولأُحَمِّلَنَّهُ عُجْمَ الرِّجَالِ وعُرْبَهَا ، وكَيفَ لا ؟ وقَدْ نَصَرْتَنِي نَصْرًا مُؤَزَّرًا » [٣٠٧].

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

وإثر ذلك نظم ابن عمّار قصيدة يهجو فيها ابن عبد العزيز ، ذاكرًا مخالفته للعهد ، وفي كلمات القصيدة نبرة اعتداد وثقة ، وفيها إيقاع قوي متصاعد يتلاءم مع عاطفة الغضب التي تملكته وتدافعت معه عبر الأبيات كلها ، هو (٢٠٨):

[من الكامل]

١- خَبِّرْ بِلَنْسِيَةٍ ، وَكَانَتْ جَنَّةً ... أَنْ قَدْ تَدَلَّتْ فِي سَوَاءِ النَّارِ

٢- غَدَرَتْ وَفِيًّا بِالعُهُودِ ، وَقَلَّمَا ... عَثَرَ الوَفِيُّ مُقَسَّمًا إِلَّا الفَارِ

٣- يَا أَهْلَهَا مِنْ غَائِبٍ أَو حَاضِرٍ ... وَقَطِينَهَا مِنْ رَاسِخٍ أَو طَارِ

٤- جَازُوا بَنِي عَبْدِ العَزِيزِ؛ فَإِنَّهُمْ ... جَرُّوا إِلَيْكُمْ أَسْوَأَ الأَقْدَارِ

يقول لابن عبد العزيز : عليك أنْ تُخبِرَ بلنسية أنها سوف تحترق بالنار بكل ما فيها ، وستتحول إلى صريم مُجْدِب بعد أن كانت جنة خضراء وارفة الظلال ؛ من جَرَّاء ما سيصيبها إذا جاءها ابن عمّار بعسكره وقوته ؛ لأنك غدرت ؛ ولم تفِ بالعهد الذي قطعته على نفسك .

ثم ينادي أهل بلنسية وساكنيها ، ويقول لهم : لطلب منك مطلبًا فيه مصلحة كبيرة لكم ، عليكم أن تعاقبوا ابن عبد العزيز وقومه ؛ لأنهم تَسَبَّبُوا في خسارتكم ، وأحضروا لكم أسوأ الأقدار الغاشمة .

ولديه ميل قوي للتدمير ، وهو يستجيب بشدة لمواقف الحياة العادية ؛ نظرًا للتوتر الشديد الذي يعانيه ، وتَجَلَّى ذلك في تحريض أهل بلنسية على الثورة ضد بني عبد العزيز ، يقول :

[من الكامل]

٥- ثُورُوا بِهِمْ مُتَأَوِّلِينَ ، وَقَلِّدُوا ... مَلِكًا يَقُومُ عَلَى العَدُوِّ بِثَارِ

٦- هَذَا مُحَمَّدٌ ، أَو فَهَذَا أَحْمَدٌ ... وَكِلاهُمَا أَهْلٌ لِتِلْكَ الدَّارِ

٧- جَاءَ الوَزِيرُ بِهَا يُكَشِّفُ ذَيْلَهَا ... عَنْ سَوْأَةٍ سَوْأَى ، وَعَارٍ عَارِ

٨- نَكَثَ اليَمِينَ،وَحَادَ عَنْ سُنَنِ التُّقَى ... وَقَضَى عَلَى الإِقْبَالِ بِالإِدْبَارِ

٩- آوَى لِيَنْصُرَ مَنْ نَبَا المَثْوَى بِهِ ... وَدَهَاهُ خِذْلانٌ مِنَ الأَنْصَارِ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

١٠- بَدْءُ اليَمِينِ ، ولَمْ يُعَرِّضْ نَفْسَهُ ... وَنُفُوسَكُمْ لِصَنَارِعِ الفُجَّارِ

١١- مَا كُنْتُمُ إلاَّ كَأُمَّةِ صَالِحٍ ... فَرَمَاكُمُ مِنْ طَاهِرٍ بِقُدَارِ

١٢- هَذَا ، وَخَصَّكُمُ بِأَشْأَمِ طَائِرٍ ... وَرَمَى دِيَارَكُمُ بِأَلأَمِ جَارِ

١٣- لا بُدَّ مِنْ مَسْحِ الجَبِينِ ؛ فَإِنَّمَا ... لَطَمَتْهُ غَدْرًا غَيْرُ ذَاتِ سِوَارِ

(٣٠٩)

١٤- هَيْهَاتَ يُطْمَعُ بِالنَّجَاةِ لِطَالِبٍ ... سَاعٍ إِذَا وَنَتِ الكَوَاكِبُ سَارِ

يدعوهم أن ينتصبوا عليهم قائدًا يقوم بثورة عنيفة تُبيد بني عبد العزيز عن آخرهم ، ويُعِدُّ ابن عمّار ذلك ، كما يَدَّعِي ، من قبيل الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والتواصي بالخير . ثم يهجو ابن عبد العزيز الذي نكث العهد ، وابتعد عن سنن التقى ، ويناجي مدينة بلنسية ، ويطلب منها أن تسانده في كفاحه ضد ابن عبد العزيز ، الذي سيوردها موارد الهلاك ، ويشبه أهل بلنسية بأمة صالح (عليه الصلاة والسلام) حينما حلّ بهم الهلاك من جراء قُدَار الذي عقر الناقة

وقد قاده طمعه الواسع ، وبناءة أصله إلى الاستعلاء في الفخر في قوله :

[من الكامل]

١٥- كَيفَ التَفَلْتُ بِالخَدِيعَةِ مِنْ يَدَي ... رَجُلِ الحَقِيقَةِ مِنْ بَنِي عَمَّار ؟

ولا تحتاج نبرة الإحساس بالذات هنا إلى مزيد بيان ؛ فهو يستنكر ما وقع ، ويقول : كيف يخدعني ابن عبد العزيز ، ألا يعلم من أنا ، أنا رجل الحقيقة من بني عَمَّار ، إنه يجهل قدري العالي ومنزلتي الرفيعة ، ولو علِمَ قدري ونفوذي لما تطاول عليّ ، ولأقدَمَ على خديعتي ، فأنا أَرُدُّ على الخديعة بأكبرَ منها . وهو هنا يشيد بمجده ومجد أسرته ، ولم يكن ابن عمّار من أسرة رفيعة القدْر .

ويعتمد الفخر على المباهاة بالذات ، ولا يُنتظَرُ ممّنْ يفتخر أن يكون صادقًا كل الصدق ؛ لأن الشاعر حين يفتخر يُبَالِغُ في فخره . وقد عبَّرَ عن فخره بنفسه تعبيرًا لا يخلو من التحدي في قوله : (رَجُلِ الحَقِيقَةِ مِنْ بَنِي عَمَّار ؟) ، ولا يخفى ما فيه من رغبة في تفخيم الذات ؛ فهو يعتز بنفسه ، ويشعر بالعزة والرفعة

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

المكانة ؛ فإن مَنْ يشعر بعقدة النقص يحاول أن يُخفيها ويسترها ، ويتمرّد عليها ، فيحتمي بالأصل المجيد والنسب الرفيع ، هروبًا من الواقع ، وحيلة نفسية دفاعية لمواجهة تحديات لا قِبَل له بمقاومتها .

والفخر على هذه الصورة يدلُّ على أنه – حقًّا – وليد الكبت ، واضطراب المشاعر ؛ فهو يحاول أن يستعيد من خلاله بعض ما يفتقد من الثقة ، ويُخفِّفُ عن نفسه بعض ما يعاني من هوان ، يقول :

[من الكامل]

١٦- رَجُلٌ تَطَعَّمَهُ الزَّمَانُ ؛ فَجَاءَهُ ... طَرَفَيْنِ : فِي الإِخْلاءِ وَالإِمْرَارِ

١٧- سَلِسُ القِيَادِ إِلَى الجَمِيلِ، فَإِنْ يُهَجْ ... فَدَعِ العِنَانَ لِهَبَّةِ التَّيَّارِ

١٨- طَبِنٌ بِأَغْرَاضِ الأُمُورِ ، مُجَرِّبٌ ، ... فَطِنٌ لأَسْرَارِ المَكَائِدِ ، دَارِ

١٩- مَاضٍ إِذَا بَرَزَتْ إِلَيهِ مُصَمِّمٌ ... هَوْنٌ إِذَا الْتَفَّتْ عَلَيهِ مَدَارِ

٢٠- مَا زَالَ مُذْ عَقَدَتْ يَدَاهُ إِزَارَهُ ... فَسَمَا فَأَدْرَكَ خَمْسَةَ الأَشْبَارِ

٢١- كَشَّافُ مُظْلِمَةٍ ، وَسَائِسُ أُمَّةٍ ... نَفَّاعُ أَهْلِ زَمَانِهِ الضَّرَّارِ

٢٢- عَجَبًا لأَشْمَطَ رَاضِعٍ ثَدْيَ الوَغَى ... مِنْهُ ، وَطَودٍ فِي القَنَا الخَطَّارِ

يفتخر بنفسه ، فهو رجلٌ أَلِفَ مرارة الزمان وتجاربه ، سَلِسٌ لقيادة الأمور إلى فعل الجميل ، ولِمَنْ يفعلون الجميل ، ولكن إذا أغضبه أحدٌ ، فعليه أن ينتظر منه جزاءً صارمًا وعقابًا حادًّا على ذلك الفعل . وهو خبيرٌ بأغراض الأمور ، مُجَرِّبٌ ، فَطِنٌ لأسرار الأعداء ومكائدهم ، ودارٍ بما يُدَبِّرُ في الخفاء ، وهو ذو سكينة ووقار ، يقود أمته بسياسته الحكيمة . كما وَصَفَ نفسه بالحكمة ، والذكاء ، وسعة الخبرة ، وتَعَدُّد التجارب ، وهو يتحلى بهذه الصفات النبيلة منذ صغره ، فهي طباع أصيلة مستحكمة فيه .

ويُعَبِّرُ قوله : (فَإِنْ يُهَجْ فَدَعِ العِنَانَ لِهَبَّةِ التَّيَّارِ) عن شخصيته ونفسيته وسلوكه تمام التعبير ؛ ذلك أن الشعر لا بُدَّ أن يحمل سمات شخصية صاحبه أو بعضها على الأقل .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

وفي آخر القصيدة يهدّد أهل بلنسية بالويل والثبور ، ويتوعدهم بالشر ستطير ، يقول :

[من الكامل]

٢٣- شرّابُ أكواسِ المُدام ، وتارة
٢٤- جزّارُ أبطالِ القنا ، ظفروا بهِ
٢٥- وكأنكم بنجومه ورجومه
٢٦- وأنا النصيحُ، فإنْ قبلتم فاتركوا
٢٧- قوموا إلى الدار الخبيثة فانهبوا
٢٨- وتعوّضوا من صفرة خبثيّة

شرّابُ أكواسِ الدّم المتوّارِ
قد زاركم في الحقلِ الجرّارِ
تهوي إليكم من سماءِ غمّارِ
آثارها خترًا من الأخبارِ
تلكَ الذخائرَ من خبائثها الدّارِ
بأغرّ وضّاحِ الجبينِ نضّارِ

يشير إلى أن النجوم ورجومها ستكون على أهل بلنسية وبالاً ، إن لم يساعدوه في القضاء على هذا الغادر، والبيت يدل على سيطرة ابن عمّار على جنوده ثم يغريهم بهدم قصور بني عبد العزيز ، ونهب ما فيها من ذخائر ، ويحضهم على تنصيب حاكمًا غيره .

ونجد في هذه القصيدة ألفاظًا تُعبّرُ عن غضب ابن عمّار ، منها : (النار ، غدرت ، الغدّار ، جازوا ، اسوأ ، ثوروا ، ثار ، سواة سواة ، عارٍ عار ، نكث ، حادَ ، خذلان ، مصارع الفجار ، اشأم ، ألأم ، لطمته ، الخبيثة ، خبثية) ، وقد أجاد في اختيار ألفاظه هذه ، ولاءم بينها وما يريد التعبير عنه ؛ لأنه كان حريصًا على إضفاء القوة التي تؤكّدُ الكلام ؛ وبذلك نجح في التأثير في القارئ .

وقد توافق شعره تمامًا مع ذاته ، ورغبته في الانتقام ؛ لأنه يرى أن من أساء فحقيقٌ أنْ يُساءَ إليه ، وهو يريد أن يُخفّفَ من ضغط عاطفة الغضب المكظومة ، ويَتشفّى لنفسه ، ويُسكّنُ ألمه ؛ لذلك سخر منهم ، وحطّ من قدرهم ؛ علّهُ يشفي غليله .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

ولا تُؤْمَن عواقب ابن عَمَّار، وهو حقود للئيم ، يسخط على اليد تمتد إليه بالإحسان ، ويأنف من النعمة يسوقها إليه كريم . ولَعَلَّه تَطَاوَلَ بهذا الفخر لعلمه بحلم المعتمد وسعة صدره من جهة ، وشدة حبه وتعلقه به من جهة أخرى ، وإلاَّ ما كان يَجْرُؤ على مثل هذا .

وهو ضيق الصدر ، سريع الغضب ، يذكر الإساءة على الدوام ، ولا يستطيع أن ينساها ، ولا يَعْرِفُ العفو سبيلاً إلى قلبه ، وقد أُولِعَ بذم ابن عبد العزيز ، « فكان لا يصدُرُ عنه مجتازٌ به إلا أبلغه قدْحَه ، ولا يَرِدُ عليه شاعر إلا ألزمه ثَلْبَهُ ، ولا يحضره ضيف إلا أسمعَه استراحتَه فيه »[٣١٠] .

ولقد ساعده على ذلك قوة شخصيته ، واعتداده بنفسه ؛ فهو يُعَبِّرُ عن نفسه بجرأة ، ويُرْضِي ذاته . ويتحدث ابن بلقين عن غروره وتعاليه وغطرسته حتى على أبناء المعتمد نفسه ؛ فيقول : « فإنَّهُ ، بِفُسُوقِهِ ، كان يتكَبَّر على أولاده (أولاد المعتمد) ، ويضيِّق عليهم ، ويُسِيءُ الصنيعةَ مع من يجب عليه إكْرَامُه من قرابة سلطانه ؛ والمُعْتَمِد ، في هذا كلِّه ، يصبر له »[٣١١] .

ولكن الحياة لا تدوم على حال ، فتغير الحال ، وتقلبت القلوب ، وتحول الوُدُّ إلى عداءٍ سافر . وعَلِمَ المعتمد بالأمر ، وبلغته قصيدة ابن عَمَّار فغضب ؛ لأن ابن عبد العزيز كان صديقًا له ، ولَمَّا قرأ فخر ابن عَمَّار بنسبه وأصله الرفيع بلغ به الغضب مبلغه ، فكتب قصيدة يسخر فيها من ابن عَمَّار ، ويُذَكِّرُهُ بأصله الوضيع ، ونشأته الفقيرة [٣١٢] : [من الكامل]

١- الأَكْثَرِينَ مُسَوَّدًا وَمُمَلَّكًا ... وَمُتَوَّجًا فِي سَالِفِ الأَعْصَارِ

٢- المُكْثِرِينَ مِنَ الكِبَاءِ لِنَارِهِمْ ... لا يُسْوقِدُونَ بِغَيْرِهِ لِلسُّارِي

٣- وَالمُؤْثِرِينَ عَلَى العِيَالِ بِزَادِهِمْ ... وَالحَتَّارِينَ لِهَلْعَةِ الجَتَّارِ

سوحة ضويا بـ CamScanner

CamScanner سوحة ضويا بـ

Scanned with CamScanner

الديار
١- تبكي على عهد الشبيبة من نهود إلى الثلا
وَالمُنْهَضِينَ الخَارَ نَهْضَةَ مَنْ كؤثروا كانوا الحضى ، أو فاخروا

الديار
٢- تبكي لها القصرُ المنيفُ تلألأتْ فَتَنِ الأَفَاعِزِ مِنْ تَسَلِّي إنهم مؤمثلهم يؤمثل سليلة

الديار
٣- ما ضاحكتهُ الشمسُ إلاَّ خِلْتَهُ وَتَبِيتُ جَارُهُمُ عَزِيزاً بنضحي عليهم شنئوس بعنزة

الديار
٤- تبكي القيانُ تجاوبتْ أوتارُها كَالِئُهَا الصُّدَافِعِ شُرُفَاتُهُ فِي خُضْرَةِ

الديار
٥- يا شمسَ ذاكَ القصرِ، كيفَ تخلَّصتْ نُضِحَتْ حَوَانِيهِ بِمَاءِ غُلْبَ الرِّجَالِ وَسَامِيَ

الأقدار؟
١٢- لمَّا تنلْكِ شعُوبُ ؛ حتَّى جاوزتْ لَكِ حَارِسٌ ، بِأَسِنَّةٍ

الأسوار
١٣- كمْ كانَ منْ أسَدٍ هُنَالِكَ خَادِرٍ كَسَتِ الوُجُوهَ الغُرَّ ثَوبَ

وشفار
١٤- منْ قومكَ الزُّهْرِ الوُجُوهِ ، إذَا الوَغَى فِي سَاحَتَيهِ تَجَاوُبَ

القار
١٥- منْ كُلِّ أشْوَسَ خَائِضٍ فِي لُجَّةٍ نَحْوَ الكُمَاةِ ، بِشُعْلَةٍ مِنْ

نار
١٦- لمَّا نَمَاهُمْ للعُلا عَمَّارُهُمْ فِيهِ إِلَيكِ طَوَارِقُ تَرَكُوا العُدَاةَ قَصِيرَةَ الأَعْمَارِ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

[من المتقارب]

١- ألا حيِّ بالعرْب حيًّا جلالا ... أتاحُوا جمالاً ، وحازُوا جمالا

٢- وعرِّجْ بنُومِين أمّ القُرى ... ونَمْ ، فعسى أن تَراها حِمالا

٣- لتَسْأل عنْ ساكنيها الرِّمَاد ... ولَمْ تَرَ للنّار فيها اشْتِعالا

٤- فيا عامِرَ الحَوْلِ يا زِيدَها ... منعْتَ القِرى ، وأبحْتَ العِيالا

٥-أراكَ تُؤَرِّي بِحُبِّ النِّسَاءِ ... وقِدْمًا عهِدْتُكَ تَهْوَى الرِّجالا

أراد أن يُرضي غروره ، وينتقم لنفسه شر انتقام ، وتناسى - في ثورة غضبه واندفاعه - عشرته الهانئة مع المعتمد ، وأياديه البيضاء عليه ، فراح يسخر من المعتمد ، ويتحدث عن قرية يومين (Toriomina) [٣٠٥] التي نشأ فيها ابن عباد ، ويُسمِّيها (أم القرى) على سبيل السخرية ، وينعتهم بالبخل ، ويدلّل على بأن « الكرم يستلزم كثرة تقديم الطعام للضيوف ، وذلك يستلزم كثرة الطبخ ، وهذا يستلزم كثرة إيقاد النار ، وذلك يستلزم كثرة تخلف الرماد »[٣٠٦] وهم لا يعرفون الرّماد .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

ثم يسميه بأسماء فرسان العرب المشهورين على سبيل السخرية ، ويقول
له منفق الكرم ، وأبحت عيالك لكل مُرْتَاد ، وتزعم أنك تحب النساء ،
وهم عهدتك تهوى الرِّجَال ، وتُمَارِسُ معهم الفَوَاحِش .
ثم يهجو اعتماد وأولاد المعتمد ، يقول :

[من المتقارب]

٦- خَيَّرتَهَا مِنْ بَنَاتِ الهِجَانِ رُمَيْكِيَّةً مَا تُسَاوِي عِقَالا
٧- فَجَاءَتْ بِكُلِّ قَصِيرِ العِذَارِ لَئِيمِ النِّجَارَينِ : عَمًّا وَخَالا
٨- بِصُفْرِ الوُجُوهِ ، كَأَنَّ اسْتَهَا رَمَاهُمْ فَجَاءُوا حَيَارَى كُسَالَى
٩- قِصَارُ القُدُودِ ، وَلَكِنَّهُمْ أَقَامُوا عَلَيهَا قُرُونًا طِوَالا

هذه الأبيات- لا شك- فيها سخرية مريرة وتهكُّم لاذع من اعتماد الرُّمَيكيَّة وأصلها الوضيع . ثُمَّ ينتقل إلى هجاء أولاد المعتمد ؛ فيصفهم بقبح الخِلْقَة ، وضِعَة النسب من جهة الأب والأم معًا ، وفضلاً عن ذلك فإنهم حَيَارى كُسَالى ، لِئَام الطباع ، قِصَار القامة . وهكذا أفرغ الشاعر شحنة السخط والغضب المترسبة في أعماق نفسه .

ثم ينتقل إلى تهديد المعتمد بأنه سوف يكشف ستره ، ويفضح ما كان بينهما في شلب ، يقول :

[من المتقارب]

١٠- أَتَذْكُرُ أَيَّامَنَا فِي الصِّبَا وَأَنْتَ إِذَا لُحْتَ كُنْتَ الهِلالا
١١- أُعَانِقُ مِنْكَ القَضِيبَ الرَّطِيبَ وَأَرْشُفُ مِنْ فِيكَ مَاءً زُلالا
١٢- وَأَقْنَعُ مِنْكَ بِدُونِ الحَرَامِ فَتُقْسِمُ جَهْدَكَ أَنْ لا حَلالا

إن لفظة (الصِّبَا) في هذه الأبيات تؤكد دلالة السن ودوره ، وهو يتوجه بالحديث إلى المعتمد ساخرًا منه ، يقول : هل تذكر أيامنا الجميلة التي سلفت في زمن الشباب ، وأنت في هذه الأيام كالهلال ينير السماء المظلمة . وكنتُ أقومُ بمعانقتك وأنت القضيبُ الرطيبُ ، كما كنتُ أرْشُفُ ماءً زلالاً عذبًا من ثغرك العذب مرة تلو الأخرى . وأَقْنَعُ منك بما هو أقل من الحرام ، ولكنك لا تقنع بذلك ،

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

وتُقْسِمُ جاهدًا عليْ ألا ألتزمُ بالحلال ، بل أستزيد وأتوغل في الحرام . للاحظ أنه جعل نفسه يقنع بالحلال الطيب ، ولا يطلب الحرام ، الذي يحرص عليه المعتمد ويُقْسِمُ ويبْذُلُ الجهدَ الكبيرَ كي يظفر به .

ويختم القصيدة بتهديد المعتمد وتحذيره من أنه سوف يكشف عرضه للريح ، ويهتك ستره المرة بعد المرة بالخوض في سيرتهما معًا أيام الصبا والشباب ، يقول : [من المتقارب]

١٣- سأكْشِفُ عِرْضَكَ شَيْئًا فَشَيْئًا وَأهْتِكُهُ سِتْرَكَ حَالاً فَحَالا

ويكشف بهذا البيت عمَّا في نفسه من حقد وخُبْث ، وهي معانٍ تتبغض بها عاطفته . يقول ابن بلقين : كان ابن عمَّار « للمعتمد طاعةٌ في معصية ، واُشْتُهِرَ بأخْذِ عِرْضِه وهَجْوِه بما قد نَزَّهَهُ اللهُ عنه ، فِعْلَ الأوغاد والأراذل »(٣١٧) .

ولَعَلَّ المعتمد بريء من هذا الاتهام ، الذي تَوَلَّدَ من نفس ابن عمَّار المنطوية على أخبث صور المُنْكَر، ولم يُنْقَلْ من الواقع .

وعندما علم ابن عمَّار بهجاء المعتمد له حمله لُؤْم النفس وخُبْث الطبع على التشفي لنفسه فهجاه ، وكان ثائرًا لا يدري ما يقول ، يدفع بهجائه الألم عن نفسه ، ويَتَوَخَّى أن يُوقِعَ به هذا الألم ، وقد صدرت هذه القصيدة عنه في ذروة انفعاله ، واندفع في غير روية ولا أناة ، ولم يفكر في العواقب ، وكان حادّ اللسان في هجائه ، الذي يظهر طابع العنف الذي اكتسبه من نشأته .

ولم يُطْلِعْ أحدًا على هذه القصيدة سوى نفر من أصدقائه الذين يثق بهم ، ومنهم نبيلاً من يهود الشرق (٣١٨) دَسَّه ابن عبد العزيز إلى مرسية ، لابَسَ ابنَ عمَّار ؛ حتى اطمأن إليه ، وأحله محل الرواية لأشعاره في هجاء المعتمد ، فلمَّا حصل هذا اليهودي على بُغْيَتِه ، وهي القصيدة التي قالها ابن عمَّار في هجاء المعتمد وزوجه وأولاده مكتوبة بخط ابن عمَّار نفسه ، ذهب بها إلى ابن عبد العزيز ، الذي طيَّرَها مُدْرَجَةً طيَّ كتابه إلى المعتمد (٣١٩) .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

ولقد مزج هجاء المعتمد بهجاء قومه وأهله إمعانًا في إيذائه وإيلامه والانتقام منه ، وليس أشد في الإقذاع من هذا الوصف بالنسبة إلى ملك كبير ، صاحب أصل ونسب عريق ، لقد فقدَ ابن عَمّار تبصُّره بالأمور ، وتهوّرَ في انفعالِه ، واختار المعاني التي تجرح المعتمد ، وتدل على مواطن الضعف ، وتُثيرُ الألم في نفسه ؛ لأنه خيرَ أساليب الهجاء بين الدهماء والسوقة ، وعرف من معاني السِّباب والإقذاع ما لم يتيسر لسواه ، ومعلوم أن المرء العريق الأصل يأنف من الخوض في أعراض سواه ، تعفُّفًا وتخرُّمًا ، وابن عَمّار لا يأنف من ذكر هذه الأمور ؛ لما طُبِعَ عليه من هوان الأصل ، وضعة النشأة ، ونشعر بالغيظ المتأجج الذي ينتهي بصاحبه إلى التحدي .

ولا يُطلَبُ من الشاعر « حين يهجو أن يقول حقًّا ، إنما يُطلَبُ إليه أن يُتقِنَ الإساءة إلى من يهجو ، ويبرع في التشهير به والتشنيع عليه »(٣٢٠) .

وهذه القصيدة جعلت المعتمد يصل إلى درجة من الحنق والغيظ متجاوزة ؛ لأنها مست وترًا موجعًا في نفسه ، لا يمكنه الغفران لمن يمسه ، ولعل هذا – وحده – سببٌ كافٍ للعقاب العنيف الذي أنزله بابن عَمّار إثر ذلك ، الذي كانت نقمته عليه شديدة ، فقد تَمثَّلتْ له فيه القبائح والرذائل ، كالمَين والخسة والغدر ، ومنذ ذلك الحين أخذ ينتظر الفرصة السانحة للانتقام منه والبطش به .

وأعطى ألفونش ابن عَمّار خاتمًا في لقاءٍ جمع بينهما ؛ دار فيه الحديث عن الوحشة الواقعة بينه وسيده المعتمد ؛ فقال ابن عبد العزيز ساخرًا : أخاتم التأمير لم خاتم التأمين ؟ وبلغت هذه المقولة ابن عَمّار ، الذي لم يكن يُحسِنُ احتمال ما يُلقَى من الدعابة ، فكتب إليه (٣٢١) :

[من الكامل]

١- قُلْ لِلوَزِيرِ ، ولَيسَ رَأيَ وَزِيرِ، أنْ يُتْبِعَ التَّنْزِيرَ بِالتَّنْدِيرِ

٢- إنَّ الوِزَارَةَ مُذْ لَبِسْتَ رِدَاءَهَا وَقْفٌ عَلَى التَّغْيِيرِ وَالتَّزْوِيرِ

٣- إنَّ الوِزَارَةَ لَو سَلَكْتَ سَبِيلَهَا وَقْفٌ عَلَى التَّعْزِيرِ وَالتَّوقِيرِ

٤- وَأرَى الفُكَاهَةَ جُلَّ مَا تَأتِي بِهِ رُحْمَاكَ فِي التَّعْجِيزِ وَالتَّصْبِيرِ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
CamScanner ممسوحة ضوئيا بـ
Scanned with CamScanner

٥- بَلَغَتْ دُعَـابَتُكَ التِـي أَهْدَيتَهَا ... فِي خَـاتَمِ التَّأمِيـنِ والتَّـأمِـيـر

٦- وَأَظُنُّهَا لِلطَّاهِرِيِّ ، فَإِنْ تَكُـنْ ... فَجَدِيـرَةُ التَّقْـدِيسِ والتَّطْـهِـيـر

٧- ولَعَلَّ يَـومًا أَنْ يُصَيِّرَ نَـفْسَهُ ... فِي طِـيبَةَ التَّطْـيِيبِ والتَّنْـزِيـر

٨- فَرَسَا رِهَانٍ أَنْتُـمَا فَتَجَـارَيَـا ... لِنَقُـولَ فِي التَّقْـدِيمِ والتَّـأخِـيـر

٩- وإِذَا سَلَكْتَ سَبِيلَـهُ فَحَـقِيقَـةٌ ... كَـي تُتْبِعَ التَّطْـفِيرَ بِـالتَّصْـقِـيـر

١٠- وتَرَى بِلَنْسِيَةٍ ، وَأَنْتَ قُدَارُهَا ... سَيَنَالُهَا التَّـدْمِيـرُ مِـنْ تَـدْمِـيـر

يقول : لقد بلغتني دعابتك التي أرسلتها هديةً لي ، وأظـن أن هذه الدعابة لابن طاهر ؛ لِمَا أعلمه من حبه للتندُّر والتفكُّه ؛ فهي جَدِيرَةٌ بالتَّقْدِيسِ والتَّطْهِيرِ .

وقد اجتازت مدينة طُلَيطُلَة أزمة عنيفة ؛ فقد قامت فيهـا عـام ٤٧٤هـ (١٠٨٢م) ثورة ضدّ ملكها القادر بن ذي النون ، وفي الوقت نفسه كانـت جنـود أذفونش تحاصر المدينة ، وتنتظر فرصة مناسبة للهجوم عليها ، وانتزاعهـا مـن أيدي المسلمين ، ودامت هذه الحال سنتين دون أن تُحَلَّ الأزمة (٣٢٢) .

ومـا كادت حـالُ ابن عَمَّار تستقر في مرسية حتى قَرَّر - في غـضون عام ٤٧٦هـ(١٠٨٤م) - التدخل مباشرة في أمر طُلَيطُلَة ؛ فتَوَجَّهَ إليها - تاركًـا ابن رشيق في مرسية يُدَبِّرُ أمرها - واتصل بأشراف المدينة ، وادَّعَى أنه رسـول أذفونش ، وعَرَضَ عليهم أن يطردوا أميرهم القادر بـن ذي النـون ، ويحكمـوا أنفسهم مباشرةً بواسطة مجلس من الأشراف ، على أن يؤدوا إتاوة سنوية للأذفونش مقابل حمايته .

ويرى ابن بُلُقِّين أن ابن عَمَّار كان مرسلاً من قبل أذفونش ، ويعمل فـي خدمته (٣٢٣) .

وأرى أن ابن عمَّار وجـد طُلَيطُلَـة لقمـةً سـائغة فـسعى لالتهامهـا والاستيـلاء عليها لنفسه ، ولكن هذا لا يمنع كونه أطْلَع أذفونش على ما يُفَكِّر فيه ؛ فلم يعارضه .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

ولكن القادر بن ذي النون علِمَ بالمؤامرة فأحبطها ، وفرّ المتآمرون إلى
ة ، وفي ذلك الوقت وصل إلى ابن عمّار نبأ تمرّد ابن رشيق عليه ،
ه حكم مرسية ، واستيلائه على ثروته للنفسه ، وكان ابن رشيق عاقلاً فطنًا
، فقد عرف ابن عمّار كما ينبغي أن يُعْرَف ، رآه مغرورًا ، يضع نفسه فوق
ها ، واستطاع أن يخدعه ، فقد أحكم تنظيم خطته ، ووضع أقاربه في أرفع
صب ، وولاهم القلاع الحصينة ، وجمع حوله الجند ، وفي نهاية الأمر أغلق
أبواب المدينة في وجه ابن عمّار (٣٢٤) ، واستولى على الحكم ، وظل ملكًا لمرسية
حتى استولى عليها المرابطون (٣٢٥) .

وكان غدر ابن رشيق به أعنف وقعًا على نفسه ؛ لأنه لم يخامره الشكّ فيه
، وقد نال منه « جَزاءُ عامِلٍ بسوءِ عَمَلِه »(٣٢٦) .

ولاذ في بادئ الأمر بحِمَى أذفونش ، والتمس منه المساعدة في استرداد
مرسية ، ولكن ابن رشيق استماله بالهدايا الفاخرة ، وجعله يتخلّى عن ابن عمّار ،
وسخر منه قائلاً : « مثلك مثل السارق ، سَرَقَ السرقة فضيّعها حتى سُرِقَتْ منه
»(٣٢٧) .

فصار ابنُ عمّار مع ابن رشيق- كما يقول ابن بسام(٣٢٨) - تحت المثل :
« أنفقتُ مالي وحجَّ الجَمَلُ ! »(٣٢٩) .

ابن عمار في سرقسطة عند المؤتمن بن هود :

ثم ذهب إلى المُؤتَمَن بن هود (صاحب سرقسطة من سنة ٤٧٤هـ إلى ٤٧٨
هـ) ، وحين مقامه بسرقسطة كَرِهَ أهلها وازدراهم ، و« أقام على البطالة مقبلاً
»(٣٣٠) ، ولمّا بلغه أنهم يعيبون عليه معاقرة الخمر ، قال يهجوهم :

[من الطويل]

١- نَقَمْتُمْ عَلَيَّ الرَّاحَ أُدْمِنُ شُرْبَهَا وَقُلْتُمْ : فَتَى لَهْوٍ، وَلَيسَ فَتَى جِدِّ

٢- وَمَنْ ذَا الذِي قَادَ الجِيَادَ إِلَى الوَغَى سِوَايَ ، وَمَنْ أَعطَى الكَثِيرَ ، وَلَمْ يُكَدْ ؟

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

٣- فَبِيَدِكُمْ ، لَو تَعْلَمُونَ السِّرّ ، إِنَّمَا قَتَلَكُمْ جَهْلُكُمْ السَّيِّئ
جَهْلِي (٣٣)

يَرُدُّ على أهل سرقسطة الذين يَتَّهِمُونَ من شاء ومكانه ؛ فيقول : لقد
في أَيْنَ شَرِبَ الخمر ، وأسيرُ في طريقِ اللهو منغمسٌ فيه ، وقتَ : أسير
إلى طريق الجد و الاجتهاد ، ومَنْ قَدَّ الجيوشَ إلى المعارك سواكِ ، ومَنْ
الكثير ولم يبخل .

والبيت الأخير عميق الدلالة على واقع نفسيته ؛ لقد أبغضَ السَّرَ
، ونَفَرَتْ قُلُوبُهُمْ منه ، يَقول : عليكم أن تتريثوا في حكمكم عليَّ ، لقد قَتَلَكُمْ
؛ لِمَا حَرَصْتُ على الابتعاد عنكم بكل السُّبُل .

وكانت حياته عند المعتمد مملوءة بالحركة والنشاط ، واضطرته لحياة
سرقسطة إلى الهدوء ، الذي يكرهه ولا يحتمله إلا في مشقة ؛ لذا ضاق بسرقسطة
، وكَرِهَ الإقامة فيها ؛ لأنه يشعر بالقلق والاضطراب والملل ؛ فأزمع السفر إلى
لاردة (Lerida) (٣٣) التي يحكمها المُظَفَّر بن هود ، ولكن الإقامة هناك لم تكن
أشد إمتاعًا له من إقامته في سرقسطة ؛ فعاد بعد فترة وجيزة إلى كسف السافر
يَتَحين الفرص للقيام بعمل يُظْهِرُ مكره ودهاءه .

واتفق أن انتزى عامل للمؤتمن في معقلٍ منيع من أعماله ، وكان يزعز
يعرفه من قبل ؛ « فضَمِنَ له استنزاله ، وسار إليه ، فلما نزل بساحته تَوَدَّدَ
العامل إلى برِّه ، ولم يَزَلْ بأسًا في إرقائه إلى قصبة حصنه في رَجُلَيْن من جنده
فأوعز ابنُ عَمَّار إلى الصاعدَيْن معه أن : (صُبَّا سيفَكما عليه إذا رأيتماني أَثِبُ
ويدي في يده ، ولو قتلتماني وإياه) ، ففعلا ذلك ، وفَرَّ لأصحابه عند قتله »(٣٤) .

وإثر ذلك خاطب المؤتمنُ المعتمدَ كي يُخْرِجَ أبناء ابن عَمَّار من إشبيلية
فوافق ، ولكنه حَذَّرَ المؤتمن من غدر ابن عَمَّار وخبثه ولؤم طبعه (٣٤) .

ابن عمار أسيرًا في شَقُورة :

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

وظل ابنُ عمّار على حصن شَقُورة (Segura de la Sierra) [٣٣٥] ، وهو من الأعمال على حصن دانية (Denia)[٣٣٦] ، « وإنما أراد أن يخدع ابن عبّاد ، فدُفِعَ في صدره وحاق به سَيِّئُ مكره »[٣٣٧] ، واستطاع صاحب الحصن أن يخدعه ؛ « وجعل يده باللّسان ، وطلب منه الصُّعودَ بنفسه لمُبَاشَرة قَصَبَته ، فأسرع لذلك في طلقة يسيرة من مَماليكه ورِجاله ، وقد أعمَى عَينَه الحرصُ والغُرور ، وتهوُّرُه المشهور »[٣٣٨] ، ثم قَبَضَ عليه ؛ وكان قد أغضبه أيام رياسته بمرسية [٣٣٩] ، وأودعه في السجن ، وتَمّ القبض عَلَيه بشَقُورة « يوم الجمعة لستّ بقين لربيع الآخر سنة سبع وسبعين »[٣٤٠] .

وصادف أن مَرَّ الوزير أبو جعفر بن جُزَيّ [٣٤١] بتلك البقاع ، وابن عَمّار سجينًا ، فخاطبه بهذه الأبيات [٣٤٢] :

[من المتقارب]

١- كأني أراكَ أبَا جَعْفَرٍ ... تَقُولُ وتَبْسِمُ نَحْوِي مُشِيرَا
٢- سَفَرْتَ لِيَرْجِعَ هَذَا مَعِي ... وَزِيرًا ، فَلَمْ أرَ إلاّ أسِيرَا
٣- وَهَلْ يَمْلِكُ المَرْءُ مِنْ أمْرِهِ ... قَبِيلاً فَيُنْفِذَهُ أم دَبِيرَا
٤- هُوَ القَدَرُ الحَتْمُ يُعْمِي الفَتَى ... وَإِنْ كَانَ بِالدَّهْرِ طَبًّا بَصِيرَا

أراد : كأني أراك يا أبا جعفر تبتسم شامتًا بي وتشير نحوي استهزاءً ، وتقول : لقد سافرت كي يرجع ابن عَمّار معي وزيرًا ، ولكنني وجدته أسيرًا . ولجأ إلى الحكمة في محاولة للتخفيف عن نفسه ، وإظهار تَمَاسُكِهِ وجَلَدِهِ ؛ فقال : ولا يملك الإنسان من أمره شيئًا ، سواء أكان صغيرًا أم كبيرًا ، ويسوق القدرُ المرءَ إلى مصيره مهما كان متبصرًا ذكيًّا ؛ فإن قضاء الله (سبحانه وتعالى) نافذٌ لا محالة .

وكتب إلى أبي الفضل بن حسداي يصف وحدته ووحشته في سجنه [٣٤٣]:

من أحذِّ الكامل]

١- أدْرِكْ أخَاكَ ولَو بِقَافِيَةٍ ... كَالطِّلِّ يُوقِظُ نَائِمَ الزَّهْرِ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

٢- فَلَقَدْ تَقَاذَفَتِ الرِّكَابُ بِهِ ... فِي غَيْرِ مَوْمَاةٍ ، وَلا بَحْرِ

٣- طَفَحَتْ صِحَابَتُهُ بِبَلا سِنَةٍ ... وَتَسَاقَطُوا سُكْرَى بِلا خَمْرِ

يدعو أبا الفضل بن حسداي أن يساعده ؛ فيقول : (أَدْرِكْ أَخَاك) ، وفيه دلالة على سرعة احتياجه لمن ينقذه ؛ فلقد صار العوبة في يد الغادرين الذين قذفوا به في مكان ما هو بالصحراء المترامية الأطراف ، ولا هو بالبحر العميق ، وقد تَخلَّى عنه الأصحاب .

ثم ينتقل إلى وصف سجنه ، يقول :

[من أحذ الكامل]

٤- بِمَعَارِجٍ أَدَّتْ إِلَى جَرَدٍ ... حَتَّى مِنَ الأَنْوَاءِ وَالقَطْرِ

٥- عَالٍ ، كَأَنَّ الجِنَّ إِذْ مَرَدَتْ ... جَعَلَتْهُ مَرْقَاةً إِلَى النَّسْرِ

٦- وَحْشٌ تَنَاكَرَتِ الوُجُوهُ بِهِ ... حَتَّى اسْتَرَبْتُ بِصَفْحَةِ البَدْرِ

٧- قَصْرٌ تَمَهَّدَ بَيْنَ خَافِقَتَيْ ... نِسْرَيْنِ : مِنْ فَلَكٍ ، وَمِنْ وَكْرِ

٨- مُتَجَبِّرٌ سَالَ الوَقَارُ عَلَى ... عِطْفَيْهِ مِنْ كِبَرٍ ، وَمِنْ كِبْرِ

٩- مَلَكَتْ عِنَانَ الرِّيحِ رَاحَتُهُ ... فَجِيَادُهَا مِنْ تَحْتِهِ تَجْرِي

إنه حصن شاهق العلو ؛ حتى كأن بانوه قصدوا أن يجعلوه سُلَّمًا يصل إلى النسر، وهو يقع في مكانٍ موحش .

ويختم القصيدة بأن يطلب منه أن يكتب له رَدًّا على هذه الرسالة ؛ ليؤنسه في سجنه ، ويُحاول أن يُرقِّقَ قلبه ؛ فيجعل ذلك الردّ نعمة عظيمة تمحو محوًا تامًّا ما كتبته يدُ الدهرِ من شقاءٍ وأحزان ، يقول :

[من أحذّ الكامل]

١٠- مَأْوَى العَزِيزِ ، وَقَدْ نَصَحْتُ فَإِنْ ... تُهْمِلْ ؛ فَقَدْ أَبْلَيْتُ فِي العُذْرِ

١١- وَوَصَلْتَ خِدْمَةَ قَاطِعٍ سَبَبِي ... وَأَطَعْتَ أَمْرَ مُضَيِّعٍ أَمْرِي

١٢- دَعْ ذَا ، وَصِلْنَا غَيْرَ مُؤْتَمِرٍ ... مُسْتَأْثِرًا بِالحَمْدِ وَالشُّكْرِ

١٣- وَاكْتُبْ إِلَيْنَا ؛ إِنَّهَا لَيَدٌ ... تَمْحُو الَّذِي كَتَبَتْ يَدُ الدَّهْرِ

سوحة صويا بـ CamScanner

CamScanner سوحه صويا بـ

Scanned with CamScanner

وعرض صاحب الحصن نبع ابن عمّار لمن يدفع أكبر ثمن من امراء

[illegible] (٣٤٤) .

[illegible] يقول ابن عمار (٣٤٥) :

[من المربع]

١- لمنحتُ في السُّوق يُنادى على ... رأسي بأنواعٍ من المَال

٢- فهلْ فتًى يبتَاعُني ماجِدٌ ... أخدِمُهُ مُدَّةَ إمْهالي

٣- لستُ لا جَارَ عَلَى نَقْدِهِ ... مَنْ ضَمَّنِي بالثَّمنِ الغَالي

٤- أربحُ بها مولاي مِنْ صَفْقَةٍ ... فِي سِلْعَةٍ مِنْ بِرِّكَ العَالي

يسخر من نفسه ، ومن الحال التي أوصله إليها جشعه وطمعه ، لقد أصبح سلعة ينادي البائعُ عليها في السوق بأسعارٍ مختلفة ؛ ليصلَ إلى أعلى سعرٍ فيها ، ويحقق ربحًا وفيرًا . ثُمَّ يتساءل : هل يوجد فتًى ماجدٌ يشتريني ، وسوف أقوم بخدمته ، ويُقسمُ أن من يشتريه بالثمن الغالي لن يخسرَ شيئًا .

ولم يكن في سيرته وغدره بالمعتمد ما يُرَغِّبُ ملوك الطوائف في ضَمِّهِ إليه . وكان ابن عمّار يعرف ذلك ؛ لذا كتب إلى المعتمد (٣٤٦) :

[من مجزوء الكامل المُرَفَّل]

١- نفسي تحنُّ إلى فِدَاءِ ... تَفْدِيكَ نَفْسِي مِنْ شِرَاءِ

٢- فَسُقِ بِلَقْيِكَ وَعْدَهُمْ ... مُسْتَرْخِصًا لِي بِالغَلاءِ

يستعطف المعتمد ، ويشكو حاله ، ويطلب مساعدته ، ويُلِحُّ عليه أن يسرع في إنقاذه ؛ محاولًا استمالة قلبه ؛ كي يسارع إلى فدائه وشرائه ؛ لأن نفسه تَتُوق إلى هذا الفداء ، وعندئذٍ سيجعل نفسَهُ فداءً له ، ويَخْدِمُهُ ما بَقِيَ من حياته ، وتكرار لفظه : (نفسي) المُسْنَد إلى ياء المتكلم يؤكد خصوصيةَ التجربة وذاتيتها . ويؤكد له أن يكون رابحًا في صفقته ، مهما دفع من ثمنٍ غالٍ ؛ فالمال الوافر يُعَدُّ صغيرًا بجوار ثمنه وفضله ورأيه وأدبه ومؤهلاته التي يفتقدها حاسدوه .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

وبعد ذلك بإمكانك أن تَقْتُلَنِي أو تَتْرُكَنِي حيًّا ، يقول :

[من مجزوء الكامل المُرَفَّل]

٣- ثُمَّ امْضِ فِيَّ عَلَى اخْتِيَا رِكَ مِـنْ فَـنَاءٍ أو بَقَاءِ

ويُظْهِرُ البيت تمزُّق نفسه وحيرته بين الندم والرغبة في الخلاص .

ويَرْثِي نفسه ، ويقرر تهيبه من لقاء المعتمد ، ويتعجب من الحائر اللذين وصل إليهما ، وهما : خوفه من المعتمد لما بَدَر منه ، وحياؤه منه عند يقابله ، يقول :

[من مجزوء الكامل المُرفَّل]

٤- وَاللهِ مَـــا أدْرِي إِذَا قَالُوا : غَدًا يَومُ اللِّقَـاءِ

٥- مَـا أَقْتَلَ الحَـالَيْنِ لِي إِنْ كَانَ خَوفِي أو حَيَائِي

وكانت معاملة السجناء قاسية ، ودليل ذلك أنه استذعى نورة يستنظف بها فتعـذرت عليـه ؛ فاسـتدعى موسـى فـأتى بهـا (٣٤٧) :

[من المجتث]

١- بُؤْسَى شَقُورَةَ عِنْدِي أَرْبَى عَلَى كُلِّ بُوسَى

٢- فَقَدْتُ هَارُونَ فِيهَـا فَظَلْتُ أَطْلُبُ مُوسَى ! (٣٤٨)

وهو في هذه المقطوعة يشكو الدهر ، يقول : لقد زاد الحزن الذي سَبَّبَهُ لي سجن شقورة على كل بؤس شعرتُ به طيلة حياتي ؛ فَقَدْتُ فيه النصير والمساعد ؛ ولذا استدعيتُ موسى الذي لَبَّى طلبي وأجابه ؛ فلهُ الشُّكْرُ على ذلك .

ابن عمار سجينًا في إشبيلية :

واتفق وقتَ القبضِ عليه دخولُ المعتمدِ حصن بيّاسة (Baeza) (٣٤٩) ، بتواطؤ من أهله ، وضمّه إلى مملكته (٣٥٠) .

وقد فداه المعتمد ؛ لكي ينتقم منه ، وبادر بإرسال مالٍ وخيل ، واشترى قلعة شَقُورة ، وأرسل ابنه الراضي (ت٤٨٤هـ) (٣٥١) ليتسلمه ، وأوصاه أن

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

يراقبه جيدًا حتى لا يتمكّن من الهرب ؛ فقاده إليه في حالة مزرية مكبلاً بالأغلال ، ولم تُجْدِ الأبيات التي نظمها في مدح الرضي عند قدومه شيئًا في استثارة عطفه ورحمته (٣٥٢) ؛ حتى وصل إلى قرطبة في أسوأ حال « على بغل بين عدلي تبن ، وقيوده ظاهرة للناس ، وقد كان المعتمد أمر بإخراج الناس خاصة وعامة حتى ينظروا إليه على تلك الحال ، وقد كان قبل هذا إذا دخل قرطبة اهتزّتْ له ، وخرج إليه وجوه أهلها وأعيانهم ورؤساؤهم ، فالسعيد من يصل إلى تقبيل يده ، أو يَرُدّ عليه ابن عَمّار السلام ... فدخل قرطبة – بعد العزة القعساء والمُلك الشامخ والرياسة الفارعة – ذليلاً خائفًا فقيرًا ، لا يملك إلا ثوبه الذي عليه »(٣٥٣) .

ومِمّا يَدُلُّ على فطنته وحضور ذهنه أنه عندما دخل قرطبة رأى فارس يركض بقصده ، فعلَمَ أنه جاء ليزيل عِمَامته ؛ فسارع وأزال العِمَامة عن رأسه (٣٥٤) ، والتصرف بهذا الشكل في مثل هذا الموقف يدل على ذكاءٍ عجيب .

ودَخَلَ على المعتمد في قرطبة ، يوم الجمعة السادس من رجب سنة سبع وسبعين وأربعمائة (٣٥٥) ، « يَرْسف في قيوده ، فجعل المعتمد يُعَدِّدُ عليه أياديه ونعمه ، وابن عَمّار في ذلك كله مطرقٌ لا ينبس ، إلى أن انقضى كلام المعتمد ، فكان من جواب ابن عَمّار أن قال : ما أُنكِرُ شيئًا مما يذكره مولانا (أبقاه الله) ، ولو أنكرته لشهدت عليَّ به الجمادات فضلاً عَمَّنْ ينطق ، ولكن عثرتُ فأقال ، وزللت فأصفح ! فقال المعتمد : هيهاتَ ، إنها عثرة لا تُقال ! » (٣٥٦) .

وأقام بقرطبة عدة ليال ، وكان المعتمد يستدعيه كل ليلة راسفًا في قيوده ، ويعاود تقريعه وتوبيخه على سوء فعله ، « ويوقِفه على أشعاره المدرجة إليه طيّ كتاب ابن عبد العزيز »(٣٥٧) . ويُنَكِّرُهُ بأياديه البيضاء عليه ونِعَمه السالفة ؛ لتوبيخه ولومه ، فقد كان لزامًا عليه أن يشكر صاحب هذه النعم ويعترف بفضله ؛ فإن النفوس السَّوِيَّة جُبِلَتْ على شُكْر مَنْ أحسَنَ إليها .

ولئن أظهر ابن عَمّار للمعتمد المودة ، فقد كان يصدر في ذلك عن التملُّق ؛ لأنه ليس من طبعه أن يَصدُقَ في وعده ، أو يُخلِص لأي شخص ، فإنه يستطيع أن يُضْمِرَ ما يجيش في صدره ، ويُظْهِرُ خِلافَه مما يُعجِبُ الناس ولا يَضُرُّه . ولم

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
CamScanner ممسوحة ضوئيا بـ
Scanned with CamScanner

يكن ودودًا أليفًا ، كريم الخُلُق ، وفيًّا لمن وَفِيَ له وأحبه ، وإنما كان حليف مصلحته ، وأسير مطامعه وطموحاته ، وجليس منفعته ، وحقًّا إنه لا يَعْرِفُ الفضل لأولي الفضل إلا أهل الفضل ؛ فإنك إذا أكرمت اللئيم الدَّنِيء الأصل ، الشحيح النفس ، جازاك بالتمرُّد والتَّنَكُّر ، وما أصدق قول المتنبي [٣٥٨] :

[من الطويل]

٢٩ – إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

لكنه لم يؤدِ شكر النعمة ، واستشرى به الطمع ، فقد « سلبه الله المُرُوَّة والوفاء »[٣٥٩] ، وظهر ذلك – جليًّا – في غدره بالمعتمد وليّ نعمته ؛ لذا لم يكافئ المعتمد على إحسانه بالإحسان .

ولَمَّا وصل ابن عَمَّار إلى إشبيلية ، سجنه المعتمد داخل القصر على قُرْبٍ منه ، ووَرَدَتْ رسائل كثيرة إلى المعتمد تتشفع لابن عَمَّار ، وتستجدي عفو المعتمد ، وممَّنْ شَفَعَ له ابنه الرشيد [٣٦٠] ، ويذكر ابن بسام أن ابن محقور حاكم شَاطِبة (Jativa) [٣٦١] كتب رسالة للمعتمد يرجوه فيها العفو عن ابن عَمَّار ، ولكن المعتمد رفض هذا الطلب في رسالة كتبها أبو الوليد بن طَرِيف ، يقول فيها : لقد أسرف ابن عَمَّار في ارتكاب الجرائم ، وغَيَّرَتْهُ الغَوَايَة ، « ومن تأمَّلَ أفعالَهُ الذميمة ، ومذاهِبَهُ اللئيمة ، رأى أنَّ الصفْحَ عنه بعيد بعيد ... فَوَّقَ لمناضلةِ الدولة نِبَالَه ، وأعْمَلَ في مكايدتها جَهْدَهُ واحْتِياله ، ثم لم يقتصرْ عَلَى ذلك ، بل تجاوزَهُ إلى إطلاقِ لسانِه بالذمِّ الذي صدر عن لؤمِ نجارِهِ ، والطَّعْنِ الشاهدِ بخبثِ طويَّتِهِ وإضماره ، ومن جهلَ مقدارَ تلك النعمةِ التي كان سُوِّغَهَا أوَّلاً ، أخْلِقْ به ألاَّ يعرف مقدارَ العفوِ عنه آخرًا ، ومن فسد هذا الفسادَ كيف يُرْجَى استصلاحُهُ ؟ ومن استبطنَ مثلَ غِلِّه كيف يؤمَّلُ فلاحُهُ ؟ ومَنْ لَكَ بسلامةِ الأديم النُّغلِ ، وصفاءِ القلب للنغل ؟! »[٣٦٢] .

Scanned with CamScanner

وكانت أيام ابنْ عمّار في السجن شدادًا نكِدَات ؛ حيث خلا بنفسه ، وأخذ يُفكّرُ فيما مضى من عُمْرِه ، واسترجع ذكرياته ، وتَذَكّرَ طفولته البائسة ، وتجواله شابًا للحصول على رزقه ، وقرضه الشعر ، وطرقه أبواب الأغنياء ؛ ليحظ منهم بالعطاء إبقاءً لعيشه ، وما كان من أمره مع المعتضد ، ثم رفقته الطويلة للمعتمد التي نَعُمَ فيها بالهناء والسرور ، وكيف دار الطمع برأسه وأسخطه على ما ناله من رغد العيش فطمح إلى المزيد ، وما كان لذلك من أثر حيث أفضى به إلى مآله مسجونًا ينتظر أملاً في العفو قد يتحقق ، أو يبوء بالفشل والخسران المبين ، وطالت لياليه في السجن ؛ فاشتد بلاؤه ، وزادت جراحه عمقًا .

واعترف بذنبه ، والاعتراف بالخطأ يحمل في مضمونه تعبيرًا عن الندم ، ولازمه شعورٌ بتأنيب الذات ، وأيقن أنه لا محالة مُعَاقَب ، واشتد حنينه إلى السَّعَة والترف والنعمة والمُلْك والأهل والأصحاب ، وكان المرءَ لا يَعْرِفُ قيمةَ الشيء إلا بعد أن يَفْقِدَهُ ، وأصبح جُلُّ هَمِّهِ الخروج من السجن ، وتَوَجُّسَ خيفة من سوء المصير المرتقب ؛ فكان يتوقع الموت في كل لحظة ؛ فهو في عذاب نفسي مرير ، وقلق دائم .

ويبدو أن السجين كان يُوَثَّقُ بقيود ثقيلة وأغلال تتصل بسلسلة يَصْعُبُ عليه معها أن يتحرك بسهولة ، يقول في قصيدة أرسلها للرشيد يسأله شفاعته لدى أبيه : [من الخفيف]

٣- وَانْجَذِبْ فِي صَلاصِلِ الرِّغْدِ تَحْكِي ضَجَّتِي فِي سَلاسِلِي وَقُيُودِي(٣٦٣)

كما تَوَجَّهَ إلى الفتح بن المعتمد (٣٦٤) بقصيدة يسأله شفاعته لدى أبيه . وإلحاحه في الاستعطاف يكشف عن معاناته النفسية ؛ فقد « تيقَّنَ أنه لا يُفْلِتُ ، ولا ينظر إلاَّ إلى عدوّ يَشْمَتُ ، والموت يلاحظه من حيث لا يتلفت »(٣٦٥) ، وقد وصلت نفسه لنقطة التأزُّم ، والتمست مخرجًا عن طريق الاستعطاف ، واستولى عليه الحُزْن من كل جهة ، وهذا الحزنُ نابعٌ من وعي الذات بفشلها وهزيمتها .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
CamScanner ممسوحة ضوئيا بـ
Scanned with CamScanner

وقد مَلَّ المعتمد من إلحاحه في طلب العفو ، فأمر بمنع أدوات الكتابة عنه ، فتوسل إليه أن يسمح له بورقتين فأعطاهما إليه ، فكتب على إحداهما قصيدة للمعتمد ، يمدحه ويستعطفه ، ويُذَكِّرُهُ بمآثره معه ؛ طلبًا للنجاة والخلاص ، يقول (٣٦٦) : [من الطويل]

١- سَجَايَاكَ - إِنْ عَافَيتَ- أَندَى وَأَسْمَحُ وَعُذْرُكَ- إِنْ عَاقَبْتَ- أَجْلَى وَأَوْضَحُ

٢- وَإِنْ كَانَ بَيْنَ الخُطَّتَينِ مَزِيَّةٌ فَأَنْتَ إِلَى الأُدْنَى مِنَ اللهِ أَجْنَحُ

استهل قصيدته بهذا المطلع ، الذي يُبْرِزُ توتره ، ومنشأ التوتر تردُّده بين حالتين متناقضتين ، الحالة الأولى ، وهي التي يتمناها ويصبو إليها ، عفو المعتمد عنه ، والحالة الثانية ، وهي التي يخشاها ويهرب منها ، معاقبة المعتمد له ، ثم وصف المعتمد بالكرم وسماحة النفس .

وتَوَسَّلَ إليه ليرحمه ، ويكشف همه وغمه ، يقول :

[من الطويل]

٣- حَنَانَيكَ فِي أَخْذِي بِرَأْيِكَ ، لا تُطِعْ عِدَاتِي ، وَإِنْ أَثْنَوا عَلَيَّ وَأَفْصَحُوا

نلاحظ ما في هذا التلاحق من دلالة على تَلَهُّف الشاعر ، وسرعة أنفاسه المتلاحقة في توتر وقلق شديدين .

ويعترف بأنه ارتكب ذنبًا واضحًا يستحق عليه العِقَابَ الشديد ، يقول : [من الطويل]

٤- وَمَاذَا عَسَى الأَعْدَاءُ أَنْ يَتَزَيَّدُوا سِوَى أَنَّ ذَنْبِي وَاضِحٌ مُتَصَحِّحُ

٥- نَعَمْ لِيَ ذَنْبٌ ، غَيرَ أَنَّ لِحِلْمِهِ صِفَاتٍ يَزِلُّ الذَّنْبُ عَنْهَا فَيَسْفَحُ

ويتحدث عن أعدائه الذين يكذبون ، ويُضْمِرُونَ خلاف ما يُظْهِرُونَ . ولن يستطيع هؤلاء الأعداء أن يقولوا أكثر من أنه مذنب .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

ويُطلق ندمه ، ويطمع في عفو المعتمد ، يقول :

[من الطويل]

٦- ولكنَّ رجائي أنَّ عفْـوَكَ غـيرُ مـا ... يخُوضُ عـدُوّي اليـومَ فيه ويمزحُ

٧- ولِمْ لا ، وقد أسلفتُ وُدًّا وخِـدْمَـةً ... يكُرُّانِ في لَيـلِ الخَطَايا فيُصْـبِحُ ؟

٨- وهبْني وقد أعقبتُ أعمالَ مُـفْسِـدٍ ... أما تُفْسِـدُ الأعمـالُ ثُمَّتَ تَصلُحُ ؟

٩- أقِلْني بمـا بيني وبينَكَ مِـنْ رِضًا ... لَـهُ نَحْـوَ روحِ اللهِ بـابٌ مُفتَّحُ

١٠- وعُدْ على آثـارِ جُـرْمٍ جَنيتُهُ ... بهيْبَةِ رُحْمَى مِنْكَ تَمْحُـو وتَصفَحُ

ثم يُذكِّرُ المعتمد بمناقبه ، وأيام الصفاء التي جمعت بينهما ، ويُعدِّدُ خدماته السالفة ، في محاولة لاستمالة قلبه ، ويعاتبه عتابًا خفيفًا ؛ فهو يأمل في عفوه لقـاء ما أسلفه من خدمات جليلة ، لا تُنْسَى ، تمحو أي ذنب ارتكبه مهما عظُمَ ، وكـل إنسان يخطئ ويصيب . ثم يطلب منه إقالته من عثرته ، وصفحه عن زلته ؛ فـإن العفو عن المسيء سمة المتقين ،

ويتحدث عن كذب الوشاة ، يقول :

[من الطويل]

١١- ولا تَلْتفِتْ رأيَ الوُشـاةِ وقَـولَهُمْ ؛ ... فكُـلُّ إنـاءٍ بالـذي فيه يَـرْشَحُ (٣٦٧)

١٢- سيأتيك في أمري حديثٌ، وقد أتى، ... بزُوْرٍ بني عبْدِ العزيـزِ مُـوَشَّـحُ

١٣- وما ذاك إلاَّ مـا علِمْتَ ؛ فإنَّنـي ... إذا ثُبْتُ لا أنفـكُّ آسُـو وأجْـرحُ

ويرجوه ألا يلتفت لقول الوشاة ؛ لأنهم كارهون له حاقدون عليه . يقـول : إني على يقين أنه سوف يأتيك في شأني أقاويلٌ مفتراة ، مُزيَّنة بوشي بنـي عبـد العزيز حُكّام بلنسية ، الذين اختلقوا هذه الأقاويل وزيَّفوها ، وهي خالية - تمامًا - من الصواب ، وليس ذلك إلا لأنني إذا ثُبْتُ عن هذا الذنب ؛ فسرعان ما أُصلِحُ ما أفسدتُ .

ويشير إلى شماتة الأعداء بمرارة ، يقول :

[من الطويل]

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

١٤- تَـخَـيَّلْتُهُـمْ ، لا دَرَّ للّهِ دَرُّهُـمْ ، أشَارُوا تِحَامِي بِالشَّمَـاتِ وَصَرَّحُوا

يقول : وقد تَخَيَّلْتُهُم على البُعْد ، وتعجبتُ من فعلهم ، الـذي يَـدُلُّ علـى خستهم ودنـاءتهم ، وهم يشيرون نحوي بالشماتة تارة ، ويصرحون بالشماتة تارة أخرى .

ويُغْرِبُ عن ثقته في عفو المعتمد ، وفي الآن ذاته يخشى بطش انتقامـه ، يقول : [من الطويل]

١٥- وَقَالُوا : سَيَجْـزِيهِ فُـلانٌ بِـفِعْلِهِ فَقُلْتُ : وَقَدْ يَعْفُـو فُـلانٌ وَيَصْفَحُ

١٦- أَلا إنَّ بَـطْشًـا لِلْمُـؤَيَّـدِ يُتَّـقَى وَلَكِـنَّ حِلْمًـا لِلْمُـؤَيَّـدِ أَرْجَـحُ

١٧- وَبَينَ ضُلُوعِي مِـنْ هَـوَاهُ تَمِيمَةٌ سَتَنْفَـعُ لَـو أَنَّ الحِمَـامَ مُـجَلَّحُ

وقد أضفى أسلوب الحوار، الذي اتَّبَعَهُ للإفصاح عن خواطره ومشاعره ، لونًا من التشويق ، ومزيدًا من التماسُك بين أجزء النص . وهو يؤكـد دوام حبـه للمعتمد ؛ فيجعل في قلبه تميمة حبه التي تقيه لو أحاط به الموتُ ؛ فالحـبُّ الـذي يَكُنُّه له سيبعد عنه العِقَاب ، وسيمكنه من الحصول على عفوه وصفحه .

ثم يُرْسِلُ إليه سَلامًا حارًّا ، في كلتا الحالتين ، إذا تولاه برعايته ، أو نزح عنـه وتركـه وحيـدًا حزينًـا ، يقـول : [من الطويل]

١٨- سَـلامٌ عَلَيهِ كَيفَ دَارَ بِهِ الهَـوَى إِلَيَّ فَيَدْنُو ، أو عَـلَيَّ فَـيَنْـزَحُ

ويختـتم قـصيدته بالـدعاء ، فيقـول : [من الطويل]

١٩- وَيَهْنِيهِ - إِنْ مِتُّ- السُّلُوُّ ؛ فَـإِنَّنِي أَمُـوتُ ، وَلِي شَـوقٌ إِلَيهِ مُـبَرِّحُ

(٣٦٨)

وأدعُو أن يُلْهِمَهُ اللهُ الصبرَ والسُّلْوَان ، ويُسْعِدُهُ - إن وارانـي التـرابُ - بالنسيانُ ؛ ولكن الأمر يختلف بالنسبة لي ؛ لأني أموت ، وشوقي إليه دائمٌ مقيمٌ لا يزول .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

ومما لا شك فيه أن عنصر الخوف – الذي استوطن قلب الشاعر – هو الدافع المحرك له إلى القول ؛ فقد سيطر عليه الإحساس بالخوف بعد أن طال سجنه ، وأراد أن يُفرِغ ما بداخله من توتر ؛ فكتب إلى المعتمد يستعطفه ، ويتأسف على ما بدر منه ، وهي آخر قصيدة قالها قبل مصرعه ، وقد نقلت إلينا ما يعتمل في نفسه من عواطف مضطربة بعد أن داخلَهُ اليأس ، واستبد به القلق ، وقد كتب هذه القصيدة مترددًا بين الخوف من العقاب ، والطمع في العفو .

والأفعال المضارعة : (تطلع ، يتزايدوا ، يزل ، يسفح ، يخوض ، يمرح ، يكران ، يصبح ، تفسد ، تصلح ، تمحو ، تصفح ، تلتفت ، يرشح ، سيأتيك ، تبت ، أنفك ، آسو ، أجرح ، سيجزيه ، يعفو ، يصفح ، يتقي ، أرجح ، ستنفع ، يدنو ، ينزح ، يهنيه ، أموت) ، جاءت مكثفة في هذه القصيدة ، وهذا التكثيف يُصوِّرُ أمنية الشاعر ورغبته المُلِحَّة في أن يخرج من السجن ، وينال عفو المعتمد

ونلمح في هذه القصيدة صدق انفعال ابن عمّار ، ونفسيته المضطربة الحزينة ، وكان حريصًا على إبراز ضعفه وخوفه ، وقد مثّلت القصيدة – بحقّ – إحساسه وعمق انفعاله . وقد أبدع في هذه القصيدة ، ووُفِّق– إلى حدٍّ بعيد – في اختيار طرائق بعينها في التعبير ، تؤدي المعنى المُرَاد بدِقّة . وقد لجأ إلى هذا النسق من التعبير – دون غيره – مسايرةً للحالة النفسية ؛ فهي التي تُنْشِئُ الألفاظ ، وتُبْدِعُ طُرُقَ الأداء .

وقد أثرت هذه القصيدة في نفس المعتمد ؛ لأنها تصدر عن عاطفة صادقة مؤثرة ، وعندما بلغته القصيدة أخذ مَنْ بالمجلس مِنْ أعداء الشاعر ينتقدون الشعر ، ويتلمّسُون عيوبه ، ودافع المعتمد عن شعر ابن عمّار(٣٦٩) .

وقد أثنى مؤرخو الأدب الأندلسي على هذه القصيدة ، فرأى ابن الأبار أن كل ما قاله ابن عمّار من شعر في سجنه يُعَدُّ مِنْ حُرِّ كلامه ، وكفى بهذه القصيدة دليلاً على ذلك ؛ لما فيها من حُسْن نظم ولُطْف ضراعة ؛ حتى إن المعتمد وُصِف – بسببها – بقسوة القلب (٣٧٠) .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

وقال عبد الواحد المراكشي : « كُتِبَتْ عله في هذا السجن القصائد لو تَوَسَّلَ بها إلى الدهر لنزع عن جوره ، أو إلى الفلك لكف عن دوره ، فكانت رُقًى لم تنجح ، ودعواتٍ لم تُسْمَعْ ، وتمائم لم تنفع »(٣٧١) .

وذهب ابن الخطيب إلى أن هذه القصيدة تعالج جِراح القلوب ، وتمحو الأخطاء ، ولام المعتمد على ردّ الاعتذار ؛ فإن قبول العذر دليل على سعة الصدر ، يقول : « وما كان أجملَ بالمُعْتَمِدِ أن يُبْقِي على جانٍ من عَبيدهِ قد مكّنه الله من عنقه ، لا يؤمِّل الحصول على أمَده ، ولا يحذر تعصُّبَ قبيله ، ولا يزيده العفوُ عنه إلاّ ترفعًا وعِزًّا ، وجلالةً وهمّة ، وذِكْرًا جميلاً ، وأجرًا جزيلاً ؛ فلا شيءَ أمْحَى للسيئةِ من الحسنة ، ولا أقتَل للشرّ من الخير ! »(٣٧٢).

ومَثَّلَتْ القصيدةُ ما في نفس الشاعرِ من عاطفةِ اليأسِ من المستقبلِ ، والأسفِ على الماضي ، وقد استطاع أن يؤثر في النفوس بصدقه ، ونجح في نقل أحاسيسه وانفعالاته إلى الآخرين ؛ لأن « الكلام لا يؤثر في الوجدان إلا إذا صدر عن وجدان صادق ، ولا يكون له أثره المرجو إلا إذا صادف هوى في نفوس القارئين أو السامعين ، وحرك انفعالاتهم الساكنة ، وأثار عواطفهم الكامنة »(٣٧٣) .

وكان شعره جميلاً رقيقًا ؛ لصدق العاطفة التي صدر عنها ، وجمال الأسلوب الذي صيغ فيه ؛ وكانت ألفاظه رقيقة موحية مؤثرة في النفس ، ومعانيه عميقة المدلول ؛ ليعبر عن حزنه وأساه وخوفه ، وقد اعتمد على موسيقى هادئة عذبة ، وقعها جميل ، تليق بالموقف وتناسبه .

وتُعَبِّرُ القصيدة عن انفعال حادّ ، وحركة تضطرم في صدره ، ولمّا كانت صادرة عن انفعال نفسي صادق ؛ فإنها تركت في نفس سامعها وقعًا مؤثرًا ؛ إنه يتحدث في ضعف وانكسار ، فيبدو صوته شبيهًا بالبكاء ؛ « فالشعر هو الفيض التلقائي للمشاعر القوية »(٣٧٤) .

مقتل ابن عمار بيد المعتمد :

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

وقد أنفذ ابن عَمّار إلى المعتمد هذه القصيدة ، وبعد أن قرأها ؛ تحرّكت عاطفته ، فاستقدم ابن عَمّار إليه في حجرته ، وعاد يؤنبه من جديد لجحوده منّته عليه ، فغصّ ابن عَمّار بالدموع ، وأخذ يبالغ في استعطاف المعتمد ، ويذكره بسالف الود بينهما ، فسكنت ثائرة المعتمد قليلاً ، وخاطبه خطابًا سكّن من روعه ، ولكنه لم يجزم له بالعفو عنه .

وفي الواقع كانت نفس المعتمد تعطف على ابن عَمّار ، لكن هذا العطف كان أبعد من أن يصل إلى العفو عنه ، وقد أخطأ ابن عَمّار تقدير الأمور ، فما كاد يعود إلى سجنه ؛ حتى كتب إلى الرشيد - في الورقة الثانية التي أخذها من المعتمد - يخبره بالعفو عنه (٣٧٥).

ووصل الخبر إلى الرشيد وعنده جماعة من أصحابه يكرهون ابن عَمّار ، وقد ساءهم ما سمعوا ، فنقلوا الخبر إلى ابن زيدون - ابن الشاعر الكبير ابن زيدون - وزير المعتمد وعدو ابن عَمّار(٣٧٦) ، وزادوا فيه زيادات قبيحة(٣٧٧) ، وأخذ صاحب المدينة أبو محمد عبد الله بن سَلام يَعُدُّ دارًا لابن عَمّار(٣٧٨) ، وعندما علم المعتمد بذلك أرسل يسأل ابن عَمّار : هل أعلَمَ أحدًا بما دار بيننا في الأمسية الأخيرة ، فكذب ابن عَمّار - كعادته - ثم لم يجد بُدًّا من الاعتراف بالأمر ، وحينئذٍ تأكد المعتمد من تمكّن الغدر في دمه ، ولؤم عنصره ، وأنه مطبوع على الخيانة والغدر ، وأيقن أنه لا سبيل لإصلاحه ، وأنه سيعود إلى أخلاقه الدنيئة إن عفا عنه ، وعندئذٍ « ثار في عروقه دم أبيه الطاغية الذي كان كالنسر إذا وقع على فريسته مزقها إربًا ، وأطفأ ثورته بتمزيق أحشائها»(٣٧٩) ؛ فانهال على رأسه بالطبرزين (٣٨٠) ، ولم يزل يضربه حتى بَرَد ، وترك الطبرزين معلقًا في رأسه ، وخرج لاعتماد ، التي قالت من باب التشفّي والشماتة : « قد بقي ابن عَمّار هُنَيْهَةً »(٣٨١) ، ثم أمر بغسله وتكفينه وصلى عليه ثم دفنه ، وذلك في أواخر سنة ٤٧٢هـ (١٠٨٥م) (٣٨٢).

« وصدقت رُؤْيا ابن عَمّار ، وقتله المعتمد نفسه كما قال! »(٣٨٣) ، ومات وهو يسترحم المعتمد ، ويدعوه إلى العفو والرحمة ، ولكن دون جدوى ، وأخذ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

يتضرّع له ، ويُقبّلُ الأرض ، ويبكي بين يديه ، فلم يَرِقّ له . ثم ندم المعتمد على ما فعل ، ولات ساعة مندم ، وقد أسبغت قسوته مع ابن عَمّار بنوعٍ خاصّ على سيرته سُحُبًا لم تَمْحُهَا الأيام .

وهناك جملة من الأسباب تضافرت معًا ؛ لتؤدي في النهاية إلى أن يلقى ابن عَمّار هذه النهاية البشعة على يد المعتمد ، ومنها : إعلانه استقلاله عن المعتمد في مرسيةَ ، فمن أشدّ ما يُؤلِم المَلِك أن يتآمر عليه وزيره الذي وَثِقَ به ، ويتعاون مع أعدائه ، وقد كان ابن عَمّار على ولاء مع الأذفنش ، ويعمل في خدمته (٣٨٤) . والقصيدة التي هجا بها ابن عبد العزيز صديق المعتمد ، وافتخر فيها بنفسه فخرًا زائدًا ، ووصف نفسه بأنه (رجل الحقيقة من بني عَمّار) . والقصيدة التي هجا بها المعتمد نفسه ، ووصلت للمعتمد مكتوبة بخطّ يده ، وهدده فيها بفضح أمره ، وكشف ستره ، وإعلان العلاقة المريبة التي جمعت بينهما في شلب (٣٨٥) . والبيتان اللذان نُسِبَا إليه في هجاء المعتمد وأبيه (٣٨٦) . واعتماد التي ظلت تَحُثّ المعتمد على الانتقام ، وتُنْكِرُ عليه التفكير في العفو ؛ بسبب كرهها لابن عَمّار ، الذي كانت تنظر إليد – دائمًا – بعين السخط ؛ وذلك لأن العلاقة القوية التي جمعت بينه والمعتمد كانت تثير غضبها وريبتها ، وكان ابن عَمّار يحقد عليها ، ويخشى كيدها ومكرها (٣٨٧) ؛ لذا ذكّرَتْهُ بأنه سَبَّها وسب أولادها ، وتطلع إلى منازعته في الملك (٣٨٨) . هذا فضلاً عن كثرة خصوم ابن عَمّار وحُسّاده الذين تَمَكّنوا من الإيقاع بينهما ، وأوغروا صدر المعتمد عليه فحاكوا الإشاعات والأكاذيب التي تُبالِغُ في إساءة ابن عَمّار . ولا نستطيع أن نُغْفِلَ أثر البعد الطويل بين الصديقين حيث اتسعت الجفوة بينهما (٣٨٩) . وأخيرًا ما كان من ابن عَمّار نفسه الذي تعجل خبر العفو عنه ، ثم كذب على المعتمد وأنكر ذلك ؛ فإن طبع ابن عَمّار يغلبه حتى في أحرج المواقف ؛ فالكذب طبعٌ أصيل لا محيد له عنه .

كان حقودًا ، وقد أساء الأدب مع المعتمد ، واستطاع أن يملأ صدره غيظًا عليه ؛ حتى أتلف محبته ؛ مما أورده موارد الهلاك ، لقد فَرّقَ بينهما الكيد والحسد

سوحة صويا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

والطمع ، كيد اعتماد ، وحسد الخصوم ، وطمع ابن عمّار نفسه فربما في يدّ غيره ، وسبحان مقلّب القلوب ! ومن عجبٍ أن دامت الصداقة بينهما خمسة وعشرين عامًا ، وفي نهاية الأمر قتله المعتمد بيديه !

وقال أبو جعفر بن جُزْي ، وزيـر ابن عمّار لما ثار بمرسية ، قصيدة في رثائه مطلعها :

[من البسيط]

١- قَدْ طَالَ مَا عُمِّرَ المَرْءُ ابْنُ عَمَّار مُسْتَدْرَجًا بِأَمَانِيْ وَأَخْطَار (٣٩٠)

وقد عَبَّرَ ابن وَهْبُون المُرْسِيّ عن حزنه لمقتل ابن عمّار، ونفوره من غدره ، وخوفه من غضب المعتمد ، حينما رثاه فقال :

[من الكامل]

١- عَجَبًا لِمَنْ أَبْكِيهِ مِلْءَ مَدَامِعِي وَأَقُولُ : لا شُلَّتْ يَمِينُ القَاتِلِ (٣٩١)

ووُجِدَ في قِرَابه بعد قتله بخطّ يده قصيدة يستعطف بها المعتمد ؛ ليُخْرِجَهُ من السجن ، ويعفو عنه (٣٩٢) ، ومنها قوله :

[من المنسرح]

٣- أَوحَشَنِي ، وَالسَّمَاحُ عَادَتُهُ ، سَمَاحُهُ بِالفَلَاءِ فِي عَبْدِهْ

ولم تكن نهاية المعتمد بأقل سوءًا وقسوة من نهاية غريمه ابن عمّار ، فقد سجنه يوسف بن تاشفين (ت٥٠٠هـ) في أغمات ، وظل هناك أربع سنوات ؛ حتى وافته المنية فقيرًا غريبًا سنة ٤٨٨هـ .

ادعاء ابن عمار في شعره :

ولم يكن ابن عمّار كسائر الشعراء ذوي النفوس الصريحة المباشرة التي تُظْهِرُ ما تُضْمِر ، بل إن نفسيته شديدة التعقيد . وقد يُخْفِي الشاعر في شعره كثيرا مما يزيدُ ستره ؛ وعندئذ يكون العمل الفني قناعًا يتوارى خلفه الشخص الحقيقي . ويتجلى فيه اضطراب التكوين النفسي لدى الشاعر .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

وهذا ما نراه عند ابن عمّار ؛ فهو كثيرًا ما يُظْهِرُ غيرَ ما يُضْمِر، ويُضْمِرُ غيرَ ما يُظْهِرُ ؛ لأسباب شتى ؛ فيدل شعره على شخصيته دلالة عكسية ؛ فنستنبط منه عكسَ ما يريد هو أن نستنبط ؛ فقد توارت هذه الذات وراء قناع.

يقول معاتبًا ابن زيدون :

[من مجزوء الكامل المُرَفَّل]

٨- جُدْ بِالقَلِيـلِ فَـإِنَّ نَـفْـ ـسِيَ مِـنْكَ تَقْنَـعُ بِـالقَلِيلِ (٣٩٣)

يَطْلُبُ منه أن يَمُنَّ عليه ، ولو بالعطاء الزهيد ؛ فهو - بطبعه - يرضى بالقليل ويسعد به .

وكتب إلى أبي الحسن بن اليسع (٣٩٤) ، وقد آب من إحدى سفرك :

[من الكامل]

٣- وكَتَبْتَ تُوهِنُ لِلنَّـوَى أَمْتِـالَهَـا هَـيهَاتَ! أَمْتِـالُ النَّـوَى أَغْـرَاضُ (٣٩٥)

يزيد : أنَّهُ لا يستطيع مفارقة خليله ؛ بسبب رهافة مشاعره . ولاحظ ما في قوله : (خليل) من دلالة على القُرْبِ الشديد والالتصاق .

وقال مرتجلاً عندما أزمع الرحيل من عند المُعْتَصِم بن صُمَادح (٣٩٦) (ت٤٨٤هـ) صاحب المَرِيَّة (Almeria)(٣٩٧):

[من الطويل]

٧- دَعَتْنِي المَطَايَا لِلرَّحِيلِ ، وَإِنَّنِي لأَفْزَعُ مِنْ ذِكْرِ النَّوَى وَالتَّفَرُّقِ (٣٩٨)

لقد دعتني المطايا للرحيل ، وأنا أَفْزَعُ فَزَعًا شديدًا من ذكر النوى والفراق . يدّعي خلاف الواقع ، ويصف نفسه بأنه رقيق الشعور ، مرهف الإحساس ، صادق المودة والوفاء ، شديد التعلق بالأشخاص والأماكن .

ويقول في الردّ على عتاب المعتصم بن صمادح(٣٩٩) : [من الطويل]

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

٤- وقد كان لي- لو شئتُ- ردُّ ، وإنّما أحرّ لساني ذكرُ تلك المواهب

وقد كان باستطاعتي - فأنا قادرٌ على ذلك وأهلٌ له - أن أردّ عليك ردًّا مفحمًا ، يجعلك تكفُّ عن ذلك ، بل تندم ندمًا شديدًا عليه ، ولكن لمنعك لساني والحملي تذكّري مواهبك الحسان عليّ ، وكرمك الزائد معي . يدّعي أنه وفيٌّ لمن يحسنُ إليه ، دائمُ الذكر لإحسانه ، وهو - في حقيقة الأمر - خادعٌ خئونٌ غادرٌ .

ثم يقول :

[من الطويل]

٨- وكيف يلذُّ العيشُ في عتْب سيّدٍ وما لذّ لي يومًا على عتْب صاحب

وكيف لي أن أتلذذ بنعيم العيش وصاحبي العزيز عاتبٌ عليّ لاثمٌ لي ، لا أستطيع ذلك ؛ فإنّ من طبعي الوفاء والإخلاص للصديق ، فإذا غضب مني سئمتُ نعيم العيش ،ووجدته شقاءً ونقمة عليّ ؛ حتى يعود الصفاء بيننا كما كان . يدّعي أنه يُخلصُ المودّة لصديقه ، ولا يشعر بالرضا أبدًا وهو غاضبٌ عليه .

ومرّ على مسكن ابن لبّون (ت ٤٨٨هـ) (١٠٠) أمير مُرْبيطرُ (Murviedro) (١٠١)، ولم يُعرّجْ عليه ؛ فعاتبه على ذلك . وفي ذلك دلالة على أنه لا يكنُّ له وُدًّا صادقًا ، ولكنه كذبٌ ومينٌ وخداع . ويتحدث عن أخلاقه ، وغدرهم به في سياق رده على عتاب ابن لبّون ؛ فيقول(١٠٢) :

[من الكامل]

٣٢- جَحَدُوا بِلَى ظُلْمِي؛ فَسُئتُ جِمَاحَهُمْ ولَقِيتُ شِكْتَهُ بِلِينٍ قِيَادِ

٣٣- واستَبْطَنُوا حِقْدًا ، وَبَيْنَ جَوَانِحِي مِنْعٌ يَسُلُّ سَخَائِمَ الأَحْقَادِ

يقول إنه يردُّ على الشدة والعنف باللّين والرفق ؛ لأنه متسامح ، يعفو عن المسيء ، وما ذاك إلا لأن طبعه يَسُلُّ سخائم الأحقاد . وكيف يصدر ذلك عن ابن عمّار ؟

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

[من الكامل]

٥؛ - كَلاَّ فَمَـا التَّسْوِيفُ مِنْ خُلُقِي ، وَلا لَيَّ الجَمِيلِ بِـعَـادَةٍ مِـ

عَادِي

ليس التسويفُ من خُلُقِي ، وليس ليَّ الجميل عادةً من عاداتي ، فـإني أسوِّفُ ولكن أُسَارِعُ بالوفاء بالعهد ، كما أنني أتَّصِفُ بحفظ الجميل فـي عنـ وأرُدُّهُ بأفضلَ منه لمن أسداهُ إليَّ .

ويَدَّعِي أنه متسامح ؛ فيقول معاتبًا بني عبد العزيز وقـد اجتـاز بهـم فأخرجوا إليه تضييفا وبرًّا مـع قـومٍ أغفـال ، ولـم يلقـوه ، فكتـب إلـيهم

[من الطويل]

٤- سَأَلْتَمِسُ العُذْرَ الجَمِيلَ عَلَى العُلا وَأحْتَالُ لِلفَـضْلِ احْتِيَـالَ كَـرِيـ (١٠٣)

وهو لا يقبل عذرًا ، ولم يعرف العفو والتسامح يومًا طريقًا إلى قلبه .

وكتـــب إلـــى ابـــن طـــاهر يعاتبـــه

[من الكامل]

٣- لله دَرُّكَ ، لَـو طَلَبْـتَ حَقِيقَتِـي لَوَجَدْتَنِي بَـذْلَ العَـذْرِ خَلِيلا (١٠١)

وقد نزل في بعض حركاته بحصن شَقُورة ؛ فرفضوا لقائه ؛ استيحاشًا منه ؛ مما يدل على أنه يثير الريبة والنُّفُور في نفوس مَنْ يعرفونه حَقَّ المعرفة ؛ فهـم يخافون منه ، وينقبضون عن لقائه . وفي ذلك دلالة على نفسية ابن عمّـار التـي تكره هؤلاء القوم . وقـد كتـب إلـيهم مقطوعـة قـصيرة ، ختمهـا بقولـه :

[من الطويل]

٤- تَقُولُ لِي إِذَا عَزَّ اللِّقَاءُ فَمَا اعْتِزَا إِلَى شِيمَتِي عُذْرٌ ، وَلا بِيَدِي سِحْرُ (١٠٥)

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

يدعي أنه وفيٌ ؛ فيقول : عليكم أن تضعوا ثقتكم الكاملة فيَّ ؛ حتى إذا انعدم اللقاء ؛ لأني أهلٌ لها ؛ ولم يُنْسَبْ إلى شيمتي غدرٌ أبدًا . وحقيقة الأمر أنه من أغدر الناس بالعهود ، ومِنْ أخبث الناس طويَّة .

وتوضّحُ هذه الأبيات كثيرًا من أخلاقه ؛ لا لأنه يصفها ؛ بل لأنه يَدَّعِي نقيضها ؛ فهي – في حقيقتها – صفاتٌ أحسَّ بنقصها فيه فهو يَدَّعِيها .

وإذا قرأت شعر ابن عمّار فينبغي ألاّ تبحث فيه عن شعوره وعواطفه ، وإنما تبحث فيه عمّا يريدُ أن يُظْهِرَ للناس ؛ فإن شعره لا يَشِفُّ عنه ، وإنما هو شعرٌ كثيف ، لا يدل على عاطفة صاحبه ، فهو يدعي ما ليس فيه ؛ ليرفع قدره في أعين الناس ؛ تعويضًا نفسيًا عما يشعر به في قرارة نفسه من نقص ؛ فلا يصف نفسه كما هي في الواقع ، ولكن كما يريد أن يراها الناس .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

الخاتمة ونتائج البحث

وبعد ، فهذه بعض ملامح فن ابن عمّار الشعري ، وما يزال المجالُ واسعًا للبحث والدرس ، الذي يُحقّقُ مزيدًا من الشمول والعمق ، ولكنها مجرد إشارات أو لمحات قد تضيء بعض المعالم التي تقود لمزيدٍ من الفهم والإيضاح .

وقد تحدثتُ عن حياة ابن عمار ، وما لها من أثـرٍ واضـحٍ علـى أدبـه وسلوكه ، كما تحدثتُ عن المؤثرات النفسية والاجتماعية التي أثّرَتْ فيـه ، ومـا أحدثته في شخصيته ، وألقيت الضوء على الحياة السياسية والأدبية لعصر ملـوك الطوائف .

وحَرصْتُ على أن أعيش معه طفولته البائسة منذ مولده فـي شَـنْتَبُوس ، ونشأته في شلب ، وتلقيه دراسته الأولى في قـرطبة ، وانتقلت معه فـي كفاحـه وتردُده بين ممالك الأندلس ؛ حتى استقر به المطاف في بلاط بني عباد في إشبيلية ؛ حيث ارتقى سُلَّمَ المجد في كنف المعتمد ، وحَظِيَ بمكانة مرموقة في ظله ؛ حتى ارتبط اسمه باسمه ، وبَلَغَ مرتبة ذي الوزارتين ، كما صادق كثيـرًا مـن ملـوك عصره ، وخفَّ على قلوبهم ؛ فأحضروه مجالس أنسهم وسمرهم .

ثم تابعته بعد ذلك في انحداره إلى درك الذل والأسر ؛ بـسبب طموحـه وطمعه ، وخُبْث طبعه ، ولُؤْم عنصره ، وضِعَة أصله ؛ حتى بلوغه نهايته المفجعة قتيلاً بيد صديقه المعتمد .

كما تناولت فنون شعره من وصفٍ ومدحٍ وهجاءٍ واسـتعطاف وغـزل ، وأوضحت الخصائص الفنية لشعره .

وقد ذاق حلاوة الحياة في صحبة المعتمد ، ثم نفاه المعتضد من إشـبيلية ، وأصابه من جرّاء ذلك الحزن والإحباط النفسي ، وقد كانت غربته نقطة تحول في حياته ، انطلق منها لتحقيق طموحاته ؛ فقد كان يطمع في الإمارة ، تشدُّهُ إلى هذا الطموح نفسٌ مغامرة ، والطمع عاقبته - أبدًا - غير محمودة ، وقد تاقت نفسُه إلى إمارة مرسية ؛ ولَمَّا نالها ، شَرِهَتْ نفسُهُ إلى إمارة بلنـسية أيـضًا ، ورأى حـل

ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

طليطلة فطمع فيها ، وعاد فوجد نفسه خسر مرسية ، فذهب إلى أذفونش ليسانده في إرجاع مرسية ؛ فلم يجد منه العون الذي كان ينتظره ، بل – على العكس – سخر منه ؛ فاتجه إلى المؤتمن بن هود في سرقسطة ، ثم مَلَّ سرقسطة فاتجه صوب لاردة ، فوجدها ساكنة هادئة ؛ فعاد إلى سرقسطة ، وهو يبحث عن مغامرة ليجدد نشاطه ؛ فأعاد حصن وثب عليه أحد المنتزين بالحيلة ، ولم يكتف بذلك ، بل أعاد الكرة مرةً أخرى مع صاحب حصن شَقُورة فنال جزاءه وسقط أسيرًا . وهو – في كل ذلك – يستخدم المكر والخبل والخديعة ، ويتلون ويتلاعب كي يحقق أهدافه ، ولا يُبَالِي في ذلك بوازِعٍ من ضمير أو خُلُق ، فقد كان قلبُهُ نهبًا للأطماع الدنيئة .

وكان ابن عَمَّار – كما يقول ابن الأبار (ت٦٥٨هـ) [٤٠٦] – شاعر الأندلس غير مدافَع ولا منازَع ، إلا أن مساوئ أفعاله ذهبت بمحاسن أقواله : أدمَنَ الخمر ، وهوَّن على نفسه الغدر ، فأدَّاهُ ذلك إلى رَدَاهُ ، وكان كالذي نفخ فوه وأوكتْ يداه [٤٠٧]

ويقول صاحب (المُعْجِب) إن هناك مَن يُغَالِي فَيُشَبِّه ابن عمار بالمتنبي وهيهات ! [٤٠٨] ، وفي حقيقة الأمر لا نستطيع أن نُنْكِرَ وجود أوجه كثيرة تَشَابَهَ فيها كلا الشاعرين ، ومن ذلك أن كليهما كان فارسًا مغوارًا ، ومن أنبه شعراء عصره ، وطلب الإمارة ، وكان حُبّ الرئاسة في رأسه يدور ، وبلغها ابن عمار فأوصلته إلى منيته ، ولم يبلغها المتنبي فأسلمته إلى حتفه [٤٠٩] . وكُلّ منهما كان يرى أن المال سبيل القوة ، والقوة سبيل المجد ، وعلاوة على ذلك فإن كُلّ منهما سُجِنَ [٤١٠] ، وقُتِلَ بسبب شعره الهجائي الذي أقذع فيه . هذا فضلاً عن السمات النفسية المشتركة التي جمعت بينهما ، من مثل : الشعور المتعالي بالذات ، والعزيمة القاهرة ، والإرادة القوية ، والثقة بالنفس إلى حدّ الغرور ، لدرجة أن كُلا منهما وُصِفَ بالجنون [٤١١] .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

المستدرك على ديوان ابن عمار

قال يُهَنِّئُ المعتمد وقد وُلِدَ له مولودان

[من البسيط]

١- اهنَأ بِنَجلَيكَ مِنْ أُنثى وَمِنْ ذَكَرٍ لا تَعْدَمُ الضَوْءَ بَينَ الشَمْسِ وَالقَمَرِ (٤١٢)

وقال حين أزمع الرحيل من حضرة المعتصم بن صمادح في المرية ، جوابًا على ثلاثة أبيات ودعه بها المعتصم ، والقصيدة في ديوان ابن عمار ، ما عدا هذا البيت ، وهو البيت الأخير (التاسع) :

[من الطويل]

٩- وَلَكِنْ سَآوِي لِلرَّجَاءِ وَاجْتَزِي بِذِكْرِكَ حَتَّى نَلْتَقِي حِينَ نَلْتَقِي (٤١٣)

وعندما نكث ابن عبد العزيز(أمير بلنسية) العهد الذي عاهد ابن عمار على ، وهو التخلي عن أحد الحصون لقاء إطلاق سراح ابن طاهر ، قال مفتخرًا بنفس :

[من الكامل]

١٩- رَاضَتْهُ أَحْرَارُ الأُمُورِ وَرَاضَهَا فَكَأَنَّهُ مِنْهَا وَفِيهَا جَارِ (٤١٤)

وقد أحقد ابن عمار العَبْدَرِيِ : جابر وهادِي ، حين كتب أيامَ رئاسته بمرسية إليهما بشعر أوله :

[من الكامل]

١- شَمَخَتْ بِكُمْ فَشَمَخْتُمُ الأَجْبَالُ ..... تُسْتَنْزَلُ الأَفْعَالُ (٤١٥)

ومن شعر ابن عمار :

[من الطويل]

١- سلِ الرَكْبَ إِنْ أَعْطَاكَ حاجتَكَ الرَكْبُ مِنَ الكَاعِبِ الحَسْنَاءِ تَمْنَعُهَا كَعْبُ (٤١٦)

٢- أَحَبَّكَ وُدًّا مَنْ يَخَافُكَ طَاعَةً وَأَعْجَبُ شَيءٍ خِيفَةٌ مَعَهَا حُبُّ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

الهوامش

(١) طه حسين : مع المتنبي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١٣، ١٩٨٦م ، ص ٢٢ .
(٢) أبو العتاهية : أبو العتاهية ؛ أشعاره وأخباره ، تحقيق شكري فيصل ، دار الملاح للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م ، ص ١٧ – ١٨ من مقدمة المُحقق .
(٣) محمد خلف الله أحمد : من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ، ص ٢٣٨ .
(٤) محمد زكي العشماوي : موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، الكويت ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م ، ص ١٧٧ .
(٥) سلامة عبد الله السويدي : صور الخوف في اعتذاريات النابغة الذبياني ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الرسالة ٢٣٥ ، الحولية ٢٦ ، مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (سبتمبر) ، ص ٣٦ .
(٦) ابن عمّار : محمد بن عمار الأندلسي ؛ دراسة أدبية تاريخية لألمع شخصية سياسية في تاريخ دولة بني عباد في إشبيلية (ويحتوي على مجموع شعره) ، جمع وتحقيق صلاح خالص ، مطبعة الهدى ، بغداد ، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م .
(٧) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ؛ جمع وتوثيق ودراسة ، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٠م .
(٨) المرجع السابق ، (ق :٢) ص ٢٣٤ ، و(ق :٥) ص ٢٣٩ ، و(ق :١٤) ص ٢٦١ ، و(ق :١٥) ص ٢٦٢ ، و(ق :٢٣) ص ٢٧٣ ، و(ق :٢٤) ص ٢٧٤ ، و(ق :٥١) ص ٣٢٠ ، و(ق :٥٤) ص ٣٢٣ ، و(ق :٦٣) ص ٣٣٣ ، و(ق :٧٦) ص ٣٥٦ ، و(ق :٧٨) ص ٣٥٩ .
(٩) المرجع السابق ، (ق :١٠) ص ٢٥٤ .
(١٠) صلاح خالص : محمد بن عمار الأندلسي ، البيت الرابع والثلاثون من (ق :١) ص ١٩٣ . انظر محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :٣١) ص ٢٩٢ . والبيت السابع من (ق :٤) ص ٢٠١ : انظر محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :٥٨) ص ٣٢٧ . و(ق :٤١) ص ٢٥٦ .
(١١) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :٥) ص ٢٣٩ .
(١٢) حازم القرطاجني : رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة ، شرح أبو القاسم محمد بن أحمد الغرناطي (ت ٧٦٠هـ) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٤٤هـ ، ٦١/١ .
(١٣) ابن المعتز : طبقات الشعراء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، سلسلة ذخائر العرب رقم (٢٠) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م ، ص٩٠ . وفي (طبقات الشعراء) : (ضده) بدلاً من (جهله) .
- محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، ص ٣٢٠ .
(١٤) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، ص ٢٩٧ .
(١٥) المرجع السابق ، ص ٢٧٧ .
(١٦) المرجع السابق ، ص ٢٨٧ .
(١٧) المرجع السابق ، ص ٣٦٦ .
(١٨) انظر ترجمته في المصادر الآتية :

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

- ابن عمّار : محمد بن عمار الأندلسي .
- ابن بُلقين : مذكرات الأمير عبد الله ، آخر ملوك بني زيري بغرناطة (٤٦٩- ٤٨٣) ، المُسَمَّاة بكتاب (التبيان) ، نشر وتحقيق إ . ليفي بُروفنسَال ، سلسلة ذخائر العرب (١٨) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ص ٦٩- ٨٣ .
- ابن خاقان : قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، حقّقهُ وعلّق عليه حسين يوسف خريُوش ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط١ ، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م ، ١/ ٢٥٣ ـ ٢٨٩ .
- ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ط١ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص ٣٦٨ ـ ٤٣٣ .
- العماد الأصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ، قسم شعراء المغرب والأندلس ، تحقيق آذرتاش آذرنوش ، نَقَّحَهُ وزاد عليه محمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحيى ومحمد المرزوقي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ط٢ ، ١٩٨٦م ، ٢/٧١- ٨٣ .
- الضبي : بُغيَة المُلتَمِس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، المكتبة الأندلسية (٦) ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، ص ١١٣ .
- ابن ظافر الأزدي : بدائع البدائه ، ضبطه وصححه مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م ، ص ٥٠ ، ١٢١ ، ١٥٣- ١٥٤ ، ٢٥١ ـ ٢٥٣ .
- ابن دحية الكلبي : المُطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق إبراهيم الإبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي ، راجعه طه حسين ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥٤م ، ص ١٦٩ ـ ١٧٤ .
- ابن الأبار : الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، ذخائر العرب (٥٨) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٥م ، ٢/١٣١- ١٦٥ .
- عبد الواحد المراكشي : المُعْجِب في تلخيص أخبار المغرب ، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب ، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، ص ١٠٢- ١١٥ .
- ابن خَلّكان : وَفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٠م ، ٤/٤٢٥ـ ٤٢٩ .
- ابن سعيد المغربي : رايات المُبَرِّزينَ وغايات المُمَيِّزينَ ، حققه وعلّق عليه محمد رضوان الداية ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ط١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص ٨٦- ٨٩ .
- ابن سعيد المغربي : عنوان المرقصات والمُطربات ، جمعية المعارف ، القاهرة ، ١٢٨٦هـ ، ص ٦٠ .
- ابن سعيد المغربي : المُغرب في حُلى المغرب ، حققه وعلق عليه شوقي ضيف ، سلسلة ذخائر العرب (١٠) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٩٣م ، ١/٣٨٩- ٣٩١ .
- الذهبي : العِبَر في خبر من غبر ، حققه وضبطه أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ٢/ ٣٣٧ .
- ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأبصار ؛ مشاهير الوزراء ، تحقيق كامل سلمان الجبوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٠م ، ١١/ ٢٤٠- ٢٤٢ .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

- الصفدي : الوافي بالوفيات ، تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، ١٦١/٤ - ١٦٤ .
- ابن الخطيب : تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق وتعليق إ. ليڤي بُروڤنسَال ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م ، ص ١٥٩- ١٦٢.
- المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، حققه إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط٥ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م ، ١/ ١٩ ، ٨٢ ، ١٨٥ ، ٢٩٧ ، ٤٧٠ - ٤٧١، ٦٤٦ ، ٦٥٢ - ٦٥٦ ، ٦٦١ ، ٦٦٧- ٦٦٨ ، ٦٧١- ٦٧٢ ، ٣/ ١٩٤ ، ٢٤٢ - ٢٤٤ ، ٣٢٥ - ٣٢٨ ، ٤٤٤ ، ٦٠٢ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٦ ، ٧٣/٤ ، ٩٢ ، ١٢٣ - ١٢٤ ، ١٢٧ - ١٢٨ ، ٢١١ - ٢١٣ ، ٢٦٠ ، ٢٧١ - ٢٧٢ ، ٣٠٦ ، ٣١٣ - ٣١٤ ، ١٨١/٥ - ١٨٢ .
- ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، أشرف على تحقيقه وخرّج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط ، حققه وعلق عليه محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م ، ٣٣٤/٥ - ٣٣٦.

وانظر أيضًا :

- أحمد ضيف : بلاغة العرب في الأندلس ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٨م ، ص١١٣ - ١٢٢.
- إيمان الجمل : المعارضات في الشعر الأندلسي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، ص ٥٠٥ - ٥١٩ .
- خير الدين الزركلي : الأعلام ؛ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٠م ، ٦ /٣١٠- ٣١١
- شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات ؛ الأندلس ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٩م ، ص ١٩٤- ١٩٧ .
- عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ؛ الأدب في المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى آخر عصر ملوك الطوائف (أواخر القرن الخامس للهجرة - الحادي عشر للميلاد) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ١٩٩٢م ، ٦٣٨/٤ - ٦٤٦ .
- محمد عبد الله عنان : تراجم إسلامية شرقية وأندلسية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٢ نُقّحتْ وضُمّتْ إليها تراجم جديدة ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ، ص ٢٨٢ - ٢٨٨ .
- محمد عبد المنعم خفاجي : قصة الأدب في الأندلس ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٦٢م ، ٢٥٧/٢ - ٢٦٤ .
- محمد عويس : من قضايا الإنسان في الشعر الأندلسي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م ، ص٢٢٣ - ٢٣٨ .
- مهجة أمين الباشا : محنة شعر السجون والأسر في الأندلس ؛ عهد بني أمية والعامريين والفتنة وملوك الطوائف ، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط١ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، ص ١٣٧- ١٤٨ .
- آنخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٥٥م ، ص ٨٩ - ٩٤ .
- رينهرت دوزي : المسلمون في الأندلس ، ترجمة وتعليق وتقديم حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، ٨٧/٣ - ١٢١ .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
CamScanner ممسوحة ضوئيا بـ
Scanned with CamScanner

- محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي .

(١٩) في ضواحي إشبيلية أماكن للتنزُّه ، يذهب إليها عُشّاق المتعة ، و يتناثر فوق صفحة الوادي الكبير عدد من الجُزُر الصغيرة منها جزيرة شنتبُوس .

- ابو الفداء : تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٨٥٠م ، ص ١٦٧ . المقري : نفح الطيب : ١/١٧١ ، ٢/٢٨١ ، ٣/٣٨٩ ، ٤/١٩٨.

(٢٠) من مدن غرب الأندلس ، تقع قبلي مدينة باجة ، ولها بسانط فسيحة وبطائح عريضة ، ولها جبل مُنيف كثير المسارح والمياه .

- الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د. ت ، ٢/٥٤٣ ـ ٥٤٤ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، ٣/٤٠٥ ـ ٤٠٦ . ابن سعيد : المُغرب ، ١/٣٨٠ . الحِمْيَريّ : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مؤسسة ناصر الثقافية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٠م ، ص ٣٤٢- ٣٤٣.

(٢١) هي مَهْرَة بن حيدان بن عمران بن إلحافِ بن قُضَاعة ، بطن من قُضَاعة أو حيّ منها ، وهي قبيلة يمنيّة مشهورة بحسن القيام على الإبل .

- ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون ، سلسلة ذخائر العرب (٢) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٦ ، ١٩٩٩م ، ص ٤٤٠ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٥/٢٧٠ ـ ٢٧١ . المقري : نفح الطيب ، ١/٢٩٧.

وقد ذكرها ابن عمار في بيت واحد من شعره قائلاً :

من الطويل]

٣- أَتَدْرِينَ مَنْ كَلَّفْتِ عَينَيك قَتْلَهُ ... وَقُلْتِ : فَتًى لا يَستَفِيدُ غَرِيبُ

٤- سَتَنْصُرُهُ- مِنْ مَهْرَةَ -الخَيلُ تَرْتَمِي ... بِأَعْلامِ نَصْرٍ فِي الوَغَى وَتَؤُوبُ

- محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، ص ٢٣٥ .

(٢٢) وقد أشار ابنِ عمار إلى أصله العربي مرة واحدة ، في قصيدته التي أرسلها من سرقسطة إلى المعتمد ، يقول :

[من الطويل]

٢٥- وَمَا حَالُ مَنْ رَبَّتْهُ أَرْضُ أَعَارِبٍ ... وَأَلْقَتْ بِهِ الأَقْدَارُ بَينَ الأَعَاجِمِ

- محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، ص ٣٤٦ .

(٢٣) عبد الواحد المراكشي : المُعْجِب ، ص ١٠٥ .

(٢٤) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ؛ وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة ، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ١/ ٧٤٠ ـ ٧٤١ .

(٢٥) انظر ترجمته في : ابن بَشْكوال : الصلة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٨م ، ٢/٦٨١.

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

من خلكان : وفيات الأعيان ، ٨١/٧ ـ ٨٣ . السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م ، ٣٥٦/٢ .

(٢٥) المقري : نفح الطيب ، ٧٥/٤ . ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ٥/ ٣٣٠ . الزركلي : الأعلام ، ٢٣٣/٨ .

(٢٦) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٤٠٥/٣ ـ ٤٠٦ . الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣ .

(٢٧) الرصافي : ديوان الرصافي البلنسي ، جمعه وقدّم له إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م ، ص ٩٢ ـ ٩٣ .

(٢٨) الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق ، ٥٧٤/٢ ـ ٥٨٠ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٣٦٨/٤ ـ ٣٦٩ .

الحميري : الروض المعطار ، ص ٤٥٦ ـ ٤٥٩ . المقري : نفح الطيب ، ٢١٤/٣ .

(٢٩) عبد الواحد المراكشي : المُعْجب ، ص ١٠٥ .

(٣٠) حامد عبد القادر : دراسات في علم النفس الأدبي، المطبعة النموذجية ، القاهرة ، ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٩م ، ص ٢٦ .

(٣١) شفيع السيد : قراءة الشعر وبناء الدلالة ، دار غريب ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص ٢٠٦.

(٣٢) التعويض (Compensation) حيلة دفاعية يلجأ إليها الفرد ليغطي ضعفًا أو نقصًا ، بأن يُغالي في إظهار سمة أقل نقصًا أو أكثر جاذبية ، أو بأن يُغالي في النشاط ليُغطي عجزًا . عبد المنعم الحفني : موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٧٥م ، ١٥٢/١ .

(٣٣) ويتلخص مفهوم فرويد Freud (ت ١٩٣٩م) للتسامي (Sublimation) في تحويل طاقة الميول المكبوتة واستنفادها في ميادين أخرى من ميادين النشاط والإنتاج ، تُقرُّها الأوضاع الاجتماعية والتقاليد ، وتنفع المجتمع . ويؤدي التسامي إلى تفريغ الطاقة ، والقضاء على التوتر ، ويُنْقِذ من العُصَاب .

- مصطفى سويف : الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٥٩م ، ص ١٩٥ ـ ١٩٨ .

- جان لابلانش وج . ب . بونتاليس : معجم مصطلحات التحليل النفسي ، ترجمة مصطفى حجازي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط٢ منقحة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ص ١٧٣ ـ ١٧٦ .

(٣٤) الإبداع الفني إنما هو مخرج للتعويض عن الشقاء النفسي ؛ لأن الخلق الفني « ليس إلا تعويضًا تصعيديًا عن رغبات غريزية أساسية ظلتْ بلا ارتواء ؛ بسبب عوائق في العالم الداخلي أو الخارجي » .

- سامي الدروبي ، علم النفس والأدب ، منشورات جماعة علم النفس التكاملي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨١م ، ص ٢٣٦ .

وقد خصّص مصطفى سويف بحثًا كاملا قصرَهُ على الشعر ؛ ليُبيّن كيف تتم عملية الإبداع الفني ؛ فخرج كتابه (الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة) .

(٣٥) سلوى الملا : الإبداع والتوتر النفسي ؛ دراسة تجريبية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

- عبد الحليم محمود السيد : الإبداع والشخصية ؛ دراسة سيكولوجية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١م .

(٣٦) محمد غنيمي هلال : الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية ؛ دراسات نقد ومقارنة حول موضوع (ليلى والمجنون) في الأدبين : العربي والفارسي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٦م ، ص ٥١ .

(٣٧) الكبت (Repression) هو حَجَر الزاوية الذي تقوم عليه كل عمليات التحليل النفسي ؛ حيث يستبعد الأنا الدافع الحقيقي عن الشعور استبعادًا تامًا ، مستعينًا بحيلة أو أكثر من حيل الدفاع ، وعلاج الكبت يتم بإدراك أسباب المخاوف التي دفعت إليه ؛ وذلك يقضي اختبار الواقع لنعرف أن ما نخاف منه لا يستوجب الخوف .

- عبد المنعم الحفني : موسوعة أعلام علم النفس ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٣م ، ص ٢٥٠ .
- جان لابلانش وج . ب . بونتاليس : معجم مصطلحات التحليل النفسي ، ص ٤١٦ ـ ٤٢١ .

(٣٨) سامي الدروبي : علم النفس والأدب ، ص ٢٢٩ .
(٣٩) عبد الواحد المراكشي : المُعْجِب ، ص ١٠٥ .
(٤٠) دوزي : المسلمون في الأندلس ، ٣/ ٨٩ .
(٤١) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٣٦٩ .
(٤٢) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٨٩ .
(٤٣) عبد الواحد المراكشي : المُعْجِب ، ص ١٠٥ .
- وقد وردت رواية أخرى في الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٣٦٩ ـ ٣٧١ .
(٤٤) عبد الواحد المراكشي : المُعْجِب ، ص ١٠٥ .
(٤٥) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(٤٦) انظر ترجمته في : ابن خاقان : قلائد العقيان ، ١/ ١٧٠ ـ ٢٠٦ . ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثالث ، المجلد الأول ، ص ٢٤ ـ ٩٢ . العماد الأصفهاني : خريدة القصر ، ٣/٣٦٣ ـ ٣٧٥ . ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/ ١١٦ ـ ١٢٧ . ابن سعيد : المُغرب ، ٢/٢٤٧ - ٢٤٨ .
(٤٧) مدينة بالأندلس ، وهي قاعدة تُدمِير ، بناها عبد الرحمن بن الحَكَم بن هشام (ت ٢٣٨هـ) ، وسَمَّاها بتَدْمُر الشَّام ، واتُّخِذَتْ دار العمال وقرار القوَّاد ، وهي على نهر كبير يسقي جميعها كنيل مصر .
- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٥/ ١٢٥ ـ ١٢٦ . ابن سعيد : المُغرب ، ٢/٢٤٥ - ٢٤٦ . الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٣٩ ـ ٥٤٠ . المقري : نفح الطيب ، ٣/٢٢٠ - ٢٢١ .
(٤٨) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/ ١١٩ .
(٤٩) دوزي : المسلمون في الأندلس ، ٣/ ٨٩ .
(٥٠) الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق ، ٢/ ٥٤١ .
- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ١/ ٢٣٢ . الحميري : الروض المعطار ، ص ٥٨ - ٦٠ . المقري : نفح الطيب ، ١/ ٢٠٨ ، ٣/ ٢١٢ ـ ٢١٤ . عن فترة ملوك الطوائف في الأندلس ونشوء دولة بني عباد انظر : صلاح خالص : إشبيلية في القرن الخامس الهجري ، دار

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

أدبية تاريخية ، نشوء دولة بني عباد في إشبيلية وتطور الحياة الأدبية فيها (٤١٤- ٤٦١) ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٥م .
محمد لبيب البتنوني : رحلة الأندلس ، مطبعة الكشكول ، القاهرة ، ١٩٢٧م ، ص ٥٩ ـ ٧٤ .
(٥١) هو أبو عمرو عبّاد بن محمد بن إسماعيل بن عبّاد اللخميّ ، المُلقّب بالمعتضد بالله . انظر ترجمته في : ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص ٢٣ ـ ٤١ . ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٣٩/٢ ـ ٥٢. عبد الواحد المراكشي : المُعْجب ، ص ٨٩ ـ ٩٣ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢٣/٥ ـ ٢٤ . ابن عذارى المَرّاكُشيّ : البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج . س . كولان وإ. ليڤي بروڤنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط٥ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ٢٠٤/٣ ـ ٢١٥ . الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١٦/ ٣٥١ ـ ٣٥٣ . ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٥٥ ـ ١٥٧ .
(٥٢) المقري : نفح الطيب ، ٤ / ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .
(٥٣) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ١٣٣/٢ - ١٣٤ .
(٥٤) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص ٣٧٠ .
(٥٥) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ١٣٦٤هـ - ١٩٤٤م ، ٢٤/١ ـ ٢٥ .
(٥٦) درويش الجندي : ظاهرة التكسُّب وأثرها في الشعر العربي ونقده ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ، ١٩٧٠م .
(٥٧) ليڤي بروفنسال : سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها ، ترجمها إلى العربية محمد عبد الهادي شعيرة ، راجعها عبد الحميد العبادي ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥١م ، ص١٤.
(٥٨) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص ١٢ .
(٥٩) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن مَسْلمة ، المعروف بابن الأفطس . انظر ترجمته في : ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٣٣ ـ ٣٦ ، والقسم الثاني ، المجلد الثاني ، ص ٦٤٠ ـ ٦٤٦ . ابن دحية : المُطْرب ، ص ٢١ ـ ٢٢ . ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/ ٩٧ . ابن سعيد : المُغرب ، ٣٦٤/١ . ابن عذارى : البيان المُغرب ، ٢٢٠/٣ ،٢٣٦ ـ ٢٣٩. الصفدي : الوافي بالوفيات ، ٢٦١/٣ . ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤ . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٠٥/٤ ـ ٢٠٦ . الزركلي : الأعلام ، ٢٢٨/٦ .
(٦٠) مدينة في غرب الأندلس ، تقع على ضفة وادي آنة (Guadiana) ، وكانت في أيام ملوك الطوائف عاصمة لبني الأفطس .
- الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق ، ٥٤٥/٢ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٥٣٠/١ . ابن سعيد : المُغرب ، ٣٦٣/١ - ٣٦٤ . الحِمْيَريّ : الروض المعطار ، ص ٩٣.
(٦١) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص ٣٣ ـ ٣٦ . ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢١١/٣ ـ ٢١٥ . محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ؛ دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ؛ العصر الثاني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٤ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، ص ٤١ ـ ٤٢ .
(٦٢) الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق ، ٥٤١/٢ ـ ٥٤٢ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، د ١١ ـ ١٢ .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

ابن سعيد : المُغرب ، ٣٣٩/١ . الحِمْيَرِيّ : الروض المعطار ، ص ٥٠٧ ـ ٥٠٨ .

(٦٣) الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق ،٥٤٢/٢ ٥٤٣ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ،٤٠٧/٣ . الحِمْيَرِيّ : الروض المعطار ، ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤ .

(٦٤) الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق ،٥٤٣/٢ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ،٤١٧/٣ . الحِمْيَرِيّ : الروض المعطار ، ص ٣٤٧ .

(٦٥) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، شرحه وضبطه وعلّق عليه وقدّم له ورتّب فهارسه يوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ، ٢٠١/٢ .

(٦٦) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق : ٣١) ص ٢٨٩ ـ ٢٩٣ .

(٦٧) آثر المعتضد ابنه إسماعيل على سائر إخوته ؛ حتى قدّمهُ لولاية العهد على من هم أسن منه ؛ لما توسّمهُ فيه من القوة والبأس . ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثالث ، المجلد الأول ، ص١٣٩ .

(٦٨) ابن طَبَاطَبَا العلوي : عيار الشعر ، ، تحقيق محمد زغلول سلام ، منشاة المعارف ، الإسكندرية ، ط٣ ، ١٩٨٤م ، ص ٤٤ .

- العسكري : كتاب الصناعتين ؛ الكتابة والشعر ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧١م ، ص ٤٧٤ ـ ٤٧٥ .

- ابن رشيق القيرواني : العمدة ؛ في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ،.دار الجيل ، بيروت ، ط٥ ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ، ١ / ٢٣٦ ـ ٢٣٩ .

- ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، طبعة بولاق ، القاهرة ، ١٢٨٢هـ ـ ١٨٦١م ، ص ٤١٨ .

- الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، حققه وعلّقَ عليه وفهرسه عبد الحميد هنداوي ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط٢ ، ١٢٤٥هـ ـ ٢٠٠٤م ، ص ٣٦٤ .

- ابن حجة الحموي : خزانة الأدب وغاية الأرب ، دراسة وتحقيق كوكب دياب ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م ، ٣٩٩/٢ .

(٦٩) المقّريّ : نفح الطيب ، ٢١٦/١ .

(٧٠) كما احتفظ برؤوس خصومه من البربر في خزانة في جوف قصره ، وكان يبالغ في تنظيفها ؛ حتى تحتفظ بملامحها .

- ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٢٦ـ ٢٨ . ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/ ٥٠ ـ ٥١ .

عبد الواحد المراكشي : المُعْجب ، ص ٩٠ . ابن عذارى : البيان المُغرب ، ٢٠٥/٣ ـ ٢٠٦ .

هنري بيريس : الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ؛ ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية ، ترجمة الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ، ص ٣٨٣ ـ ٣٨٤ .

(٧١) من الأمثال العربية (الحُسْن أحمر) ، ومعناه : مَنْ طلبَ الجمالَ احتملَ المشقة .

- العسكري : جمهرة الأمثال ، ضبطه وكتب هوامشه ونسّقهُ أحمد عبد السلام ، خرّج أحاديثه أبو هاجر محمد بن سعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م ، ٢٩٦/١ .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

- الميداني : مجمع الأمثال ، قدّمَ له وعلّقَ عليه نعيم حسين زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ٢٦٠/١ .

(٧٢) المتنبي : شرح شعر المتنبي ، أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري الأندلسي المعروف بابن الأفليلي (ت٤٤١هـ) ، دراسة وتحقيق مصطفى عليان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ١٧١/٤ ـ ١٩٦ .

وعارض قصيدة المتنبي كذلك ابن درّاج القسطلي (ت ٤٢١هـ) ، فقال في مدح المنصور مُنذِر بن يحيى صاحب سرقسطة (ت ٤١٢هـ) :

[من الكامل]

١- بُشْرَاكَ مِنْ طُولِ التَّرَحُّلِ وَالسُّرَى صُبْحٌ بِرَوحِ السَّفْـرِ لاحَ فَأَسْفَـرَا

- ابن دَرّاج القسطلي : ديوان ابن دراج القسطلي ، حققه وعلّقَ عليه وقدّمَ له محمود علي مكي ، منشورات المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط١ ، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م ، ص ١٢٤ ـ ١٣١ .

(٧٣) محمد بن شريفة : أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٦م ، ص ١٤٣ .

فقد عارض ابن سهل الإشبيلي (ت ٦٤٣هـ) رائية ابن عمار حين خرج في إحدى نزهاته مع صديقه ابن سعيد فقال :

[من الكامل]

١- الأَرْضُ قَدْ لَبِسَتْ رِدَاءً أَخْضَرَا وَالطَّلُّ يَنْثُرُ فِي رُبَاهَا جَوهَرَا

- ابن سهل : ديوان إبراهيم بن سهل الإشبيلي ، حققه ورتبه محمد فرج دغيم ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ص ١٥٦ .

كما عارضها حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) بقصيدته التي مطلعها :

[من الكامل]

١- أَدِرِ الزُّجَاجَةَ ؛ فَالنَّسِيمُ مُؤَرَّجُ وَالرَّوضُ مَرْقُومُ البُرُودِ مُدَبَّجُ

- حازم القرطاجني : ديوان حازم القرطاجني ، تحقيق عثمان الكعاك ، المكتبة الأندلسية (٩) ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٤م ، ص ٢٨ ـ ٣٠ .

(٧٤) هو ذو الرياستين أبو مروان عبد الملك بن هُذيل بن رَزين المُلقب بحسام الدولة ، صاحب السَهْلة (شَنْتمريَة الشرق) ، ولِي الحكم عن أبيه سنة ٤٣٦هـ .

انظر ترجمته في : ابن خاقان : قلائد العقيان ، ١٥٧/١ ـ ١٦٩. ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثالث ، المجلد الأول ، ص١٠٩- ١٢٤. العماد الأصفهاني : خريدة القصر، ٣٦٠/٣ ـ ٣٦٣. ابن دحية : المُطرب ، ص ٣٩ - ٤١ . ابن الأبار : الحلة السيراء ، ١٠٨/٢ - ١١٥ . ابن سعيد : المُغرب ، ٤٢٨/٢ ـ ٤٢٩ . ابن عذارى : البيان المُغرب ، ١٨١/٣ ـ ١٨٢ ، ٣٠٩ ـ ٣١٠ . ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، ٢٤٧/١١ ـ ٢٤٩ . ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص٢٠٥ -٢٠٧ .

(٧٥) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثالث ، المجلد الأول ، ص ٥٠ .

(٧٦) ابن دحية : المُطرب ، ص ١٧٢ .

(٧٧) ابن سعيد : رايات المُبرّزين ، ص ٨٧ .

(٧٨) ابن سعيد : عنوان المرقصات والمُطربات ، ص ٦٠ .

(٧٩) المقري : نفح الطيب ، ٦٥٥/١ .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

(٨٠) عبد الواحد المراكشي : المُعْجِب ، ص ١٠٦.
(٨١) طه حسين : خصام ونقد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٥٥م ، ص ٥١ .
(٨٢) عباس محمود العقاد : شعراء مصر وبيناتهم في الجيل الماضي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ص ١٨٣ .
(٨٣) ابن رشيق القيرواني : العمدة ؛ في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ١١٨/١ .
(٨٤) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :٣) ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ، و(ق :٢٢) ص ٢٦٩ ـ ٢٧٢ ، و(ق :٣٠) ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ، و(ق :٤٥) ص ٣١١ ـ ٣١٣ ، و(ق : ٥٨) ص ٣٢٧ ، و(ق :٦٢) ص ٣٣٢ .
(٨٥) والمبالغة لازمة في مدح الملوك ؛ لأنه « ينبغي أن يتخطى في أوصافهم حدو الاقتصاد إلى حدود الإفراط» . حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٦٦م ، ص ١٧٠ .
(٨٦) حماد حسن أبو شاويش : النقد الأدبي الحديث حول شعر أبي العلاء المعري ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م ، ص٢٦.
(٨٧) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :٣) ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦.
(٨٨) ابن رشيق القيرواني : العمدة ؛ في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ٢٢٥/١ .
(٨٩) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ٢٠/١ .
(٩٠) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، ص ٣٢٧ .
(٩١) المرجع السابق ، ص ٢٨٨.
(٩٢) إميليو غرسية غومس : الشعر الأندلسي ؛ بحث في تطوره وخصائصه ، ترجمة حسين مؤنس ، سلسلة الألف كتاب رقم (٩٥) ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٥٦م ، ص٥٤.
(٩٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٤٤ .
(٩٤) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص ٢٦.
(٩٥) انظر ترجمته في : ابن خاقان : قلائد العقيان ، ١/ ٥١ ـ ١٠٩ . ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٥٢/٢ ـ ٦٧ . عبد الواحد المراكشي : المُعْجِب ، ص ٩٣ ـ ٩٤ . ابن خلّكان : وَفيات الأعيان ، ٢١/٥ ـ ٣٩ . ابن سعيد : رايات المُبَرِّزينَ ، ص٤٦ ـ ٤٩ . الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١٥١/٣ ـ ١٥٥ .ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص ١٥٧ ـ ١٧٠ . ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، شرحه وضبطه وقدَّمَ له يوسف علي طويل ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م ، ٦١/٢ ـ ٧٠ . محمد عبد الله عنان : تراجم إسلامية شرقية وأندلسية ، ص ٢١٢ ـ ٢٢٤ .
(٩٦) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص ٤١.
(٩٧) صلاح خالص : محمد بن عمار الأندلسي ، ص ٣٣ .
(٩٨) كان المعتمد حينئذٍ في الثالثة عشر من عمره في حين كان ابن عمار في الثالثة والعشرين من عمره .
(٩٩) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/ ٥٠ ـ ٥١ ، حاشية (٢) . ابن عذارى : البيان المغرب ، ٣/ ١٣٧ ، ٢٦٧ ـ ٢٦٩ ، ٣١١ ـ ٣١٢ . ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

حمدي عبد المنعم محمد حسين : دراسات في التاريخ الأندلسي ؛ دولة بني برزال في قرمونة (٤٠٤ ـ ٤٥٩هـ / ١٠١٣ـ ١٠٦٧م) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٠م .

الزركلي : الأعلام ، ٢٢٨/٦ .

(١٠٠) هو أبو مناد باديس بن حَبُّوس بن ماكسن الصنهاجي ، الملقب بالمُظفَّر بالله .

انظر ترجمته في : ابن سعيد : المُغرب ، ١٠٧/٢ . ابن عذارى : البيان المُغرب ، ٢٦٤/٣ ـ ٢٦٦ . ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٣٠ ـ ٢٣٣ . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٠٦/٤ . الزركلي : الأعلام ، ٤٠/٢ .

(١٠١) مدينة بالأندلس في الشرق من إشبيلية ، وهي مدينة كبيرة قديمة .

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٣٧٥/٤ . ابن سعيد : المُغرب ، ١/ ٢٩٩ . الحِمْيَري : الروض المعطار ، ص ٤٦١ .

(١٠٢) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :٢٢) ص ٢٦٩ ـ ٢٧٢ .

خَصَّ صاحب (الخريدة) هذه القصيدة بنصيب كبير من الثناء . العماد الأصفهاني : خريدة القصر ، ٧٧/٢ .

(١٠٣) حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص٣٠٥.

(١٠٤) العسكري : كتاب الصناعتين ، ص ٤٦٤ .

(١٠٥) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :١٠) ص ٢٥٤ ، و(ق :٨٤) ص ٣٦٧ .

(١٠٦) ابن عذارى: البيان المُغرب ، ٢٠٤/٣ .

(١٠٧) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٣٦٩ .

(١٠٨) المصدر السابق ، ص ٣٧٣ .

(١٠٩) عبد الواحد المراكشي : المُعْجِب ، ص ١٠٦ .

(١١٠) المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

(١١١) المصدر السابق ، ص ١٠٧ ـ ١٠٨ .

وذكر ابن بسام أنه سمع هذا الخبر من كثير من وزراء إشبيلية على لسان المعتمد ، وتختلف روايته قليلاً عن رواية عبد الواحد المراكشي . ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٤٣١ ـ ٤٣٢. وانظر : دوزي : المسلمون في الأندلس ، ٣/ ٩٠ ـ ٩١ .

(١١٢) حامد عبد القادر ومحمد عطية الإبراشي : في علم النفس ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٣م ، ٢٦٣/٢ .

(١١٣) انظر ترجمتها في ؛ ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٦١/٢ ـ ٦٣ . المقَّريّ : نفح الطيب ، ٢٧٢/٤ ـ ٢٧٤ .

الزركلي : الأعلام ، ٣٣٤/١ . بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٩٥ ـ ٩٦ .

(١١٤) المقَّريّ : نفح الطيب ، ٢١١/٤ . وانظر: ابن ظافر الأزدي : بدائع البدائه ، ص ٤٨ ـ ٩ : ؛ حيث وردت رواية أخرى لهذه القصة .

(١١٥) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٦٢/٢ . عبد الواحد المراكشي : المُعْجِب ، ص ١٢٦ .

(١١٦) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٦٢/٢ . ابن الخطيب : الإحاطة ، ٦٢/٢ .

وقد اشْتَهَتْ أن تمشي في الطين ؛ فملأ صحن القصر مسكًا وكافورًا ورَشَّهُ بماء الورد ، ومَشَتْ فيه مع جواريها . المقري : نفح الطيب ، ٢٧٢/٥ ـ ٢٧٣ .

وقد أبغضها الفقهاء ، ورأوا أنها أغرَتْ المعتمد ، وجعلته يقع فيما تورَّط فيه من الخلاعة والاستهتار والمجاهرة . بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٩٥ .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

(١١٧) كما كان مغرمًا بمملوكه سيف الذي قال فيه :
[من البسيط]

١- سَمَّيتُ سيفًا وفي عينيك سيفانِ هَذا لقَتلي مَسْلُولٌ وَهَذَانِ
٢- أما كفَت قتلةً بالسَّيف واحدةً حتَّى أتيح مِنَ الأجفَانِ ثِنتَانِ
٣- أسَرتُهُ ، وثَناني عُنْجُ مُقلَته أسيرَهُ ، فكِلانَا أسِرٌ عَانِ
٤- يا سَيفُ أمسِكْ بمَعْرُوف أسيرَ هَوًى لا يَبْتَغِي مِنْكَ تَسْرِيحًا بِإحْسَانِ

- المعتمد بن عباد : ديوان المعتمد بن عباد ؛ ملك إشبيلية ، تحقيق حامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي ، راجعه طه حسين ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، ص ٢٧ .

(١١٨) عبد الواحد المراكشي : المُعْجِب ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(١١٩) يوسف حسين بكار : اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ، دار الأندلس ، بيروت ، ط٢ ، د. ت ، ص ١٨٣ – ٢٤٧ .

(١٢٠) مصطفى الشكعه : الأدب الأندلسي ؛ موضوعاته وفنونه ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٥م ، ص ٥٤ .

(١٢١) صلاح خالص : إشبيلية في القرن الخامس الهجري ، ص ١٠٢ .

(١٢٢) هنري بيريس : الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، ص ٣٠٣ .

(١٢٣) عبد الرحمن صدقي : ألحان الحان ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٧م ، ص ٢٨٢ .

(١٢٤) عبد الواحد المراكشي : المُعْجِب ، ص ٩٠ - ٩١ .

(١٢٥) انظر ترجمته في : الحُمَيدِي : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، المكتبة الأندلسية (٣) ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦م ، ص ١٦٢ . ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص١٢٤ – ١٣٥ . الضبي : بُغيَة المُلتَمِس ، ص ٢٢٨ . ابن سعيد : المُغرب ، ٢٥٠/١ . ابن سعيد : رايات المُبَرِّزين ، ص ٥٠ – ٥١ . المقَّريّ : نفح الطيب ، ٤٢٧/٣ – ٤٢٩ .

(١٢٦) الصفدي : الوافي بالوَفيات ، ٣٥٢/١٦ .

(١٢٧) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(١٢٨) ابن حزم : رسائل ابن حزم الأندلسي (٣٨٤- ٤٥٦) ؛ رسالة نقط العروس في توازيخ الخلفاء ، تحقيق إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨١م ، ٩٢/٢ .

- ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثالث ، المجلد الأول ، ص ١٣٦ - ١٤٨. عبد الواحد المراكشي : المُعْجِب ، ص ٩٠ . ابن عذارى : البيان المُغرب ، ٢٤٤/٣ – ٢٤٩ . ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٥٦ .

(١٢٩) عبد الواحد المراكشي : المُعْجِب ، ص ١٠٣. بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٩٠ .

ويذهب ابن بسام إلى أن ابن عمار « أوجَسَ خيفةً في نفسه من المعتضد ، ففرّ عن البلد » .

- ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٣٧١ .

سوحه صويا بـ CamScanner
CamScanner سوحه صويا بـ
Scanned with CamScanner

(١٣٠) في شرق الأندلس ، وهي المدينة البيضاء ، كبيرة القطر ، آهلة ، واسعة الشوارع ، مقامة على نهر كبير ، ولها أسوار منيعة ، ومبان رفيعة .
- الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق ، ٥٥٤/٢ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٣/ ٢٤٠ .
الحميري : الروض المعطار ، ص ٣١٧ .

(١٣١) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق : ٧٢) ص ٣٤٤ _ ٣٥٢ .
وقد أثنى ابن بَسّام على هذه القصيدة بقوله : « أما معاني أول هذه القصيدة فمحجّة مسلوكة ، ومُضنغَة مَلوكة ، قد كَثُرَ تجادُبُ الشعراء أهدابَها ، وقرعوا بابها ؛ حتى صارت كالجمل المذلّل ، والمَهْيَع من السُبل » .
- ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٣٧٧ .

(١٣٢) لعلّ ابن عمار قد نظر في هذه الأبيات إلى مطلع قصيدة ابن زيدون (ت ٤٦٣هـ) التي نظمها حين سجنه أبو الحزم بن جهور(ت٤٣٥هـ) :
[من الطويل]

١- أَلَمْ يَـأْنِ أنْ يَبْكِي الغَمَامُ عَلَى مِثْلِي ؟ وَيَطْلُبُ ثَأرِي البَرْقُ مُنْصلِتَ النَّصْلِ ؟
٢- وَهَـلاَّ أَقَـامَتْ أنْجُـمُ اللَّيلِ مَـأْتَمًا لِتَنْدُبَ فِي الآفَاقِ مَـا ضَاعَ مِـنْ نَثْلِي

- ابن زيدون : ديوان ابن زيدون ورسائله ، شرح وتحقيق علي عبد العظيم ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٧م ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ .
(١٣٣) عز الدين إسماعيل : التفسير النفسي للأدب ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٨٤م ، ص٦٦ .
(١٣٤) عجز البيت هو صدر بيت لابن زيدون ، ورد في مخمسته التي يشيد فيها بقرطبة ، يقول :
[من الطويل]

بِقُرْطُبَةَ الغَرّاءِ دَارِ الأَكَارِمِ
بِـلادٌ بِهَا عَـقَّ الشَّبَـابُ تَمَائِمِي وَأَنْجَـبَنِي قَـومٌ - هُنَـاكَ- كِـرَامُ

- ابن زيدون : ديوان ابن زيدون ورسائله ، ص ١٢٩ .
(١٣٥) إبراهيم سلامة : تيارات أدبية بين الشرق والغرب ؛ خطة ودراسة في الأدب المقارن ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٥١م - ١٩٥٢م ، ص ٢٥٥ ..
(١٣٦) وقد أنكر ابنُ بسام هجاءَ ابن عمار لأهل سرقسطة ، الذين يدافعون عن الإسلام ، بقوله : « وما ينقضي عجبي من ابن عَمَّار أنْ ينكرَ تلك الهيئة ، عَلى أهل ثغر ، أبناء قتلى وبقايا أسر ، قلما خَلوا من هَيعَةٍ من النصارى ؛ إذ مسافةُ ما بينهم أقصَرُ من إبهام الحُبَارَى ، وبلدهم مجرُّ عواليهم ، ومَوقِدُ صاليهم ، ومَخفَق أعلامهم ، ودَرِيَّةُ سهامهم » . ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٣٧٤ .
(١٣٧) عبد القادر الرباعي : الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، جامعة اليرموك ، إربد ، ط١ ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، ص ٧٢ .
(١٣٨) حامد عبد القادر : دراسات في علم النفس الأدبي ، ص ٥٧ .
(١٣٩) ابن رشيق القيرواني : العمدة ؛ في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ١/ ٢٤١ .
(١٤٠) حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص ٣٠٦ .
(١٤١) المصدر السابق ، ص ٣٠٥ .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
CamScanner ممسوحة ضوئيا بـ
Scanned with CamScanner

(١٤٢) محمد النويهي : الشعر الجاهلي ؛ منهج في دراسته وتقويمه ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، د . ت . ٢ / ٤٣٦ .
(١٤٣) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق : ٤٥) ص٣١١ ـ ٣١٣ .
(١٤٤) إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط٦ ، ١٩٨٤م ، ص ٨٨ .
(١٤٥) صلاح خالص : إشبيلية في القرن الخامس الهجري ، ص ١٣١ .
(١٤٦) الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق ، ٢/٥٧٠ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٥٢/٥ . المقريّ : نفح الطيب ، ٢١٨/٣ ـ ٢١٩ .
(١٤٧) ابن عذارى : البيان المُغرب ، ٢٧٣/٣ ـ ٢٧٥ .
(١٤٨) ابن خاقان : قلائد العِقيان ، ٨٢/١ .
(١٤٩) المعتمد بن عباد : ديوان المعتمد بن عباد ، ص ٣٦ ـ ٤٠ .
(١٥٠) انظر ترجمته في : ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٨١ ـ ٩٤ . ابن بَشْكوال : الصلة ، ٤٠٢/٢ . ابن سعيد : المُغرب ، ٢٣٩/١ ـ ٢٤٠ ـ ٢٤٠.
(١٥١) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :٦) ص ٢٤٠ ـ ٢٤١ ، و(ق : ٦٥) ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦.

ويظهر أن ابن زيدون لم يهتم بالشفاعة ، أو أنه شفع ولم يُوَفَّقَ في شفاعته ؛ لأن ابن عمار ظل مبعدًا حتى مات المعتضد ، وقد يكون هذا من الأسباب التي باعدت بين الشاعرين .

(١٥٢) عبد الواحد المراكشي : المُعْجِب ، ص ١٠٧ .
(١٥٣) المصدر السابق ، ص ١٠٨ .
(١٥٤) ابن خاقان : قلائد العقيان ، ٥٤/١ ـ ٥٥ .
(١٥٥) المعتمد بن عباد : ديوان المعتمد بن عباد ، ص ١١ .
(١٥٦) عبد الواحد المراكشي : المُعْجِب ، ص ١٠٥ . دوزي : المسلمون في الأندلس ، ٣/ ٩٥ .
(١٥٧) عبد المنعم الحفني : موسوعة أعلام علم النفس ، ص ٢٥٠ .
(١٥٨) عبد الواحد المراكشي : المُعْجِب ، ص ١٠٨ .
(١٥٩) صلاح خالص : محمد بن عمار الأندلسي ، ص ٨٣ ـ ٨٤ .
(١٦٠) عبد الواحد المراكشي : المُعْجِب ، ص ٩٧ .
(١٦١) إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي ؛ عصر الطوائف والمرابطين ، المكتبة الأندلسية عدد (٣) ، دار الثقافة ، بيروت ، ط٦ ، ١٩٨١م ، ص ٨٢ .
(١٦٢) المقريّ : نفح الطيب ، ٢١٧/١ .
(١٦٣) عبد الواحد المراكشي : المُعْجِب ، ص ١٠٨ . ابن سعيد : المغرب ، ٣٨٩/١ .

كان هارون الرشيد يُسَمّي جعفر بن يحيى البرمكي أخي ، ويُدْخِلهُ معه في ثوبه ، واستوزره ، ملقيًا إليه أزمة الملك ؛ فانقادت إليه الدولة ، يحكم بما شاء فلا تُرَدُّ أحكامه ، وحُكي أن الرشيد قام عن مجلسه يريد الدخول إلى بعض حُجَرِهِ ، وأن جعفرًا أسرع فرفع الستر ؛ فتأمل الرشيد عنقه ، فقال له : ما تتأمل فيّ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : حُسْن عنقك ، فقال : لا والله ما تأمّلتَ إلا موقع سيفكَ منها ؛ فقال له : أعيذك بالله من هذا القول ، واعتقه

سوحه صويا بـ CamScanner
CamScanner سوحه صويا بـ
Scanned with CamScanner

وقتله . إلى أن نقم الرشيد على البرامكة ، فقتله في مقدمتهم سنة ١٨٧ هـ ، ثم ندم الرشيد على ما فعل .

- ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، ١١/ ٥٠ ـ ٧٦ .

(١٦٤) ابن عذارى : البيان المُغرب ، ٢٥٩/٣ . محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٨ ـ ٢٩ .

(١٦٥) انظر ترجمته في : ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٦٢/٢ .

(١٦٦) انظر ترجمته في : ابن سعيد : المُغرب ، ٢٤٨/١ . ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٥٠ ـ ١٥١ ، ١٥٨ :

(١٦٧) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ١٣٢/٢ .

(١٦٨) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٤٢٤ .

(١٦٩) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ١٣١/٢ .

(١٧٠) العماد الأصفهاني : خريدة القصر ، ٨٢/٢ .

(١٧١) المقري : نفح الطيب ، ٤/ ١٢٧ ـ ١٢٨ .

(١٧٢) المصدر السابق ، ٢٦٠/٤ .

(١٧٣) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :١٦) ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .

(١٧٤) ابن رشيق القيرواني : العمدة ؛ في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ١٢٨/٢ .

(١٧٥) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، ص ٢٦٧ .

(١٧٦) هنري بيريس : الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، ص ٢٧٢ ، ٢٨٢ ـ ٢٨٣ .

(١٧٧) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، ص ٢٥٥ .

(١٧٨) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ١٦٢/٢ ـ ١٦٣ . ولم ترد هذه الأبيات في ديوان المعتمد .

(١٧٩) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، ص ٣١٧ .

(١٨٠) المعتمد بن عباد : ديوان المعتمد بن عباد ، ص ١٩ .

(١٨١) المصدر السابق ، ص ٦٤ .

(١٨٢) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، ص ٣٦٨ .

(١٨٣) المعتمد بن عباد : ديوان المعتمد بن عباد ، ص ٨ .

(١٨٤) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ١٣٢/٢ .

(١٨٥) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، ص ٣٠٥ . وقد أورد ابن بسام سببًا آخر دعا ابن عمار لنظم هذه القصيدة . ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٣٨٣ ـ ٣٨٤ .

(١٨٦) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ١٣٣/٢.

(١٨٧) المعتمد بن عباد : ديوان المعتمد بن عباد ، ص ٦٣ .

(١٨٨) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :٢) ص ٢٣٤ .

(١٨٩) المرجع السابق ، (ق :٨٢) ص ٣٦٥ .

(١٩٠) عز الدين إسماعيل : التفسير النفسي للأدب ، ص ١٥٢ .

(١٩١) المتنبي : شرح شعر المتنبي ، ٢٢٥/٣ .

(١٩٢) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :٤) ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ .

(١٩٣) وفي الواقع « ليس لأحدٍ من أصناف القائلين غِنًى عن تناول المعاني ممَّن تقدمهم ، والصبِّ على قوالب مَنْ سبقهم ، ولكن عليهم ـ إذا أخذوها ـ أن يكسوها ألفاظًا من عندهم ،

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

ويبرزوها في معارض من تآليفهم ، ويوردوها في غير حليتها الأولى ، ويزيدوها في حُسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومَعْرضها » .
ـ العسكري : كتاب الصناعتين ، ص٢٠٢ .

(١٩٤) أحمد هيكل : الأدب الأندلسي ؛ من الفتح حتى سقوط الخلافة ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٧، ١٩٧٩م ، ص ٥٢.

(١٩٥) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، ص ٢٩٨ .

(١٩٦) المرجع السابق ، ص ٣٥٣ .

(١٩٧) وهذا البيت منظور فيه إلى قول أبي نواس :

[من البسيط]

٩- لا تُمكِّنَنِّي مِنَ العُرْبِدِ ، يَشْرَبُنِي ، ولا اللَّئِيمِ الذِي إنْ شَمَّنِي قَطَبَا

ـ أبو نواس : ديوان أبي نواس ، حققه وضبطه وشرحه أحمد عبد المجيد الغزالي ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م ، ص ٩٢ .

وقلّ أن تجد شاعرًا في الأندلس وَصَفَ الخمر ولم يتبع طريقة أبي نواس فيها ؛ فهو « أكثر الشعراء المحدثين قراءةً ، وأقربهم ذوقًا إلى الأندلسيين » .

ـ هنري بيريس : الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، ص ٣٨ .

(١٩٨) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :١٤) ص٢٦١ ، و(ق : ١٧) ص ٢٦٥ ، و(ق : ٢١) ص ٢٦٩ ، و(ق : ٢٩) ص ٢٨٦ ، و(ق : ٤٥) ص ٣١١ ـ ٣١٣ ، و(ق : ٥٠) ص ٣١٨ ، و(ق :٥٢) ص ٣٢١ ، و(ق : ٧٨) ص ٣٥٩ .

(١٩٩) المقّريّ : نفح الطيب ، ٧٣/٤ .

(٢٠٠) عبد الرحمن صدقي : أبو نواس ؛ قصة حياته في جده وهزله ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص ٢٥٣ .

(٢٠١) انظر ترجمته في : ابن خاقان : قلائد العقيان ، ٣١٤/١ ـ ٣٢١ . ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثالث ، المجلد الأول ، ص٢٥١ ـ ٣١٧. العماد الأصفهاني : خريدة القصر ، ٣٨٧/٣ ـ ٣٩٣ . ابن سعيد : المُغرب ، ٤٤٠/٢. المقّريّ : نفح الطيب ، ٣٠٦/٤ .

(٢٠٢) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :٢٩) ص ٢٨٦ .

(٢٠٣) المرجع السابق ، ص ٣٦٦ . وقد عَدَّ ابن بسام هذه المقطوعة من ملحه النادرة ، وغرائبه السائرة . ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٣٨٩ .

(٢٠٤) يشبه هذا البيت قول أبو عبد الملك مروان المُلقّب بالطليق المرواني(ت٤٠٠هـ) في وصف ما تحدثه الخمر من الحمرة على الوجنة :

[من الرمل]

٩- فإذا ما غَربتْ في فَمِه . تَرَكَتْ في الخَدِّ منْهُ شَفَقَا

ـ ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، ص٥٦٥. المقّريّ : نفح الطيب ، ١٩٧/٣

وقول ابن حمديس الصقلي (ت ٥٢٧هـ) :

[من الرمل]

٤- وإذا سُقِيتَ مِنْهَا شَفَقًا طَلَعَتْ حُمْرَتُهُ في وَجْنَتِكْ

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

ـ ابن حمديس : ديوان ابن حمديس ، صححه وقدم له إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠م . ، ص ٣٤٣ .
(٢٠٥) غومس : الشعر الأندلسي ، ص ٨٦ .
(٢٠٦) ابن ظافر الأزدي : بدائع البدائه ، ص ٢٥١ .
(٢٠٧) انظر ترجمته في : ابن سعيد : المُغرب ، ٤٣٧/٢ . ابن عذارى : البيان المُغرب ، ٢٢٣/٣ . ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٧٢ . ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٢٠٩/٤ .
(٢٠٨) المقريّ : نفح الطيب ، ٦٥٢/١ ـ ٦٥٥، ٣٢٧/٣ .
(٢٠٩) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، ص ٣١٨ .
(٢١٠) ونرى هذا المعنى عند أبي الوليد بن الحضرمي البَطَلْيوسي في رثاء غلام مليح اسمه فعّال ، كان المتوكل يهواه ، ومات الغلام فرثاه ؛ فقال : [من المجتث]

١- أوْدَى فَعَالُ فَلَهْفِي ... لَهُ وَلَهْفِي عَلَيهِ
٢- غَالَتْهُ أيدِي المَنَايَا ... وَكُنْ فِي مُقْلَتَيهِ
٣- وَكَانَ يَسقِي النُّدَامَى ... بِطَرْفِهِ وَيَدَيهِ
٤- غُصْنٌ ذَوَى وَهِلالٌ ... جَارَ الكُسُوفُ عَلَيهِ

ـ ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٣٩١ .
ـ الشريشي : شرح مقامات الحريري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، ١٢٤/٤ ـ ١٢٥ .
ـ المقّريّ : نفح الطيب ، ٤٥٠/٣ .
(٢١١) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، ص ٢٦٩ .
(٢١٢) عجز الشطر الثاني مضمن ، وصدره : (قُلْنَ بَكَيتَ ، قُلتُ لَهُنَّ : كَلاَّ) ، والبيت لبشار بن برد .
ـ بشار بن برد : ديوان بشار بن برد ، قرأه وقدّمَ له إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، ص ٤٤٣ . وفي الديوان : (الشوق) بدلاً من (الطرب) .
(٢١٣) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :١٤) ص ٢٦١ .
(٢١٤) المقري : نفح الطيب ، ١٥٩/١ .
(٢١٥) المصدر السابق ، ٤٦٣/١ .
(٢١٦) المصدر السابق ، ٢١٢/٣ .
(٢١٧) ابن سعيد : المُغرب ، ٢٨٧/١ .
(٢١٨) المقري : نفح الطيب ، ٢١٢/٣ .
(٢١٩) هو أبو الحسين عبيد الله بن محمد ، وُلِدَ سنة ٤٥٨هـ ، وَلِيَ عهد أبيه ، ولاه قضاء إشبيلية ، وكان يُجيدُ ضرب العُود . انظر ترجمته في : ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/ ٦٨ ـ ٧٠ . المقّريّ : نفح الطيب ، ٩٤/٤ ـ ٩٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٦ ، ٢٧١ ـ ٢٧٢ .
(٢٢٠) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، ص ٣٢٤ .
(٢٢١) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثالث ، المجلد الأول ، ص ١٢١ .
(٢٢٢) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :٧٧) ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨ .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

(٢٢٣) لعلّهُ مسلم الذي هجاه ابن عمار . محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق ٤٧) ص ٣١٥ .
(٢٢٤) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثالث ، المجلد الأول ، ص ٥٠ .
(٢٢٥) هو أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الذاني ، المعروف بابن اللبانة .
انظر ترجمته في : ابن خاقان : قلائد العقيان ، ٢/ ٧٧٦ ـ ٧٩٠ . ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثالث ، المجلد الثاني ، ص ٦٦٦ ـ ٧٠٢ . العماد الأصفهاني : خريدة القصر ، ١٠٧/٢ ـ ١٤٧ . الضبي : بُغيَة المُلتمِس ، ص ١٠٩ ـ ١١٠ .ابن دحية : المُطرب ، ص ١٧٨ ـ ١٧٩ . ابن سعيد : المُغرب ، ٤٠٩/٢ ـ ٤١٦ . ابن سعيد : رايات المُبَرِّزين ، ص ٢١٥ ـ ٢١٦ . الكتبي : فوات الوفيات ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١م ، ٥١٤/٢ ـ ٥١٨ . الصفدي : الوافي بالوفيات ، ٢٠٩/٤ ـ ٢١١ . ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ٣٣/٦ .
(٢٢٦) المقّريّ : نفح الطيب ، ٢٦٠/٤ .
(٢٢٧) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق : ٧١) ص ٣٤٣ .
وقد أوضح المقّري أن هذه المقطوعة تُنسَبُ أيضًا إلى الحاجب أبي عثمان جعفر بن عثمان المصحفي (ت ٣٧٢هـ) . المقّريّ : نفح الطيب ، ٤٧١/١ .
(٢٢٨) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :٤٣) ص ٣٠٩ .
(٢٢٩) طه حسين : خصام ونقد ، ص ٢٤٢ .
(٢٣٠) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق : ٦٨) ص ٣٣٩ .
(٢٣١) المرجع السابق ، (ق : ٤٧) ص ٣١٥ .
(٢٣٢) الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق ، ٥٦٨/٢ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٢/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧ . ابن الأبار : الحلة السيراء ، ١٢١/٢ . الحميري : الروض المعطار ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤ . المقّريّ : نفح الطيب ، ٢١٧/٣ .
(٢٣٣) هو عبد الله بن بُلقين بن باديس بن حَبُّوس بن ماكسَن ، ويرتفع نسبه إلى مناد ، قلدهُ شيوخُ القبيلة الإمارة وهو صغير ، ولقبوه المُظفّر بالله الناصر لدين الله .
انظر ترجمته في: ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٣٣ ـ ٢٣٦ . ابن الخطيب : الإحاطة ، ٢٨٩/٣ ـ ٢٩١ .
(٢٣٤) محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ١٤٢ .
(٢٣٥) الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق ، ٥٩٦/٢ ـ ٥٧٠ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٢٢١/٤ . ابن سعيد : المُغرب ، ٢/ ١٠٢ ـ ١٠٣ . المقّريّ : نفح الطيب ، ٢١٧/٣ ـ ٢١٨ .
(٢٣٦) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٣٤ .
(٢٣٧) وَلِيَ بعد أبيه فرتلند سنة ٤٥٨هـ ، ولكن أخاه سانشه نازعه وأسره عنده ، ثم أطلقه فلحق بابن ذي النون بطليطلة ، وجرت له مع ملوك الطوائف خطوب عظيمة . ابن عذارى : البيان المغرب ، ٢٣٢/٣ ، ٢٣٩ .
(٢٣٨) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٤/ ٤٠٠ . الحميري : الروض المعطار ، ص ٤٨٣ .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

(٢٣٩) الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق ، ٥٧١/٢ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٣٨٧/١ ـ ٣٨٨. ابن سعيد : المُغرب ؛ ١٥٤/٢.الحِمْيَريّ : الروض المعطار ، ص ٧٨-٧٩.

(٢٤٠) ابن بُلقين : مذكرات الأمير عبد الله ؛ المُسَمَّاة بكتاب (التبيان) ، ص ٦٩ ـ ٧٠.

(٢٤١) الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق ، ٥٣٦/٢ ، ٥٥١ ـ ٥٥٣ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٤/ ٤٥ ـ ٤٦ . الحميري : الروض المعطار ، ص ٣٩٣ ـ ٣٩٥ .

(٢٤٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٥٨ ـ ١٥٩ .

(٢٤٣) ابن بُلقين : مذكرات الأمير عبد الله ؛ المُسَمَّاة بكتاب (التبيان) ، ص ٧٢ .

(٢٤٤) المصدر السابق ، ص ٧٥ .

(٢٤٥) المصدر السابق ، ص ٧٦ .

(٢٤٦) المصدر السابق ، ص ٧٥ ـ ٧٦.

(٢٤٧) المصدر السابق ، ص ٧٦ .

(٢٤٨) عبد الواحد المراكشي : المُعْجِب ، ص ١٠٨ ـ ١٠٩ .

(٢٤٩) ابن بُلقين : مذكرات الأمير عبد الله ؛ المُسَمَّاة بكتاب (التبيان) ، ص ٨١ .

(٢٥٠) صلاح خالص : محمد بن عمار الأندلسي ، ص ٨٥ .

(٢٥١) المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٢٥٢) هو الوزير الكاتب أبو الوليد حسان بن المصيصي من شلب ، أصبح من كبار الشعراء في بلاط المعتمد ، ولمّا استولى المُعتَمد على قرطبة ، تولّى أبو الوليد كتابة سرّ الفتح بن المعتمد .

انظر ترجمته في: ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٤٣٣ ـ ٤٥١ . العماد الأصفهاني : خريدة القصر ، ٢/ ١٩١ ـ ١٩٢ ، ٥٨٨/٣ ـ ٥٨٩ . ابن سعيد : المُغرب ، ٣٨٥/١ . ابن سعيد : رايات المُبَرِّزين ، ص ٩٠ . المقّريّ : نفح الطيب ، ٣٠٧/٤

(٢٥٣) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٤٣٦ .

(٢٥٤) انظر ترجمته في : ابن خاقان : قلائد العقيان ، ٧٦٧/٢ ـ ٧٧٥ . ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٤٣٧ ـ ٥١٩ . العماد الأصفهاني : خريدة القصر ، ٩٥/٢ ـ ١٠٣ . ابن دحية : المُطرب ، ص ١١٨ ـ ١٢٣ . ابن سعيد : رايات المُبَرِّزين ، ص ١٩٨ ـ ١٩٩ . ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٤٦ . المقّريّ : نفح الطيب ، ٦٥٧/١ ، ٣١٨/٣ ـ ٣١٩ ، ٦٠٦ ، ٥٩/٤ ـ ٦٠ .

(٢٥٥) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٤٩٤ ـ ٤٩٥ .

(٢٥٦) هو الوزير الكاتب أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي كان صديقا لأبي بكر بن عبد العزيز ، وهو الذي كتب خطابات الدعوة لزواج المستعين بن المؤتمن بن هود (ت ٥٠٣هـ) ببنت أبي بكر بن عبد العزيز .

انظر ترجمته في : ابن خاقان : قلائد العقيان ، ٢/ ٥٤٥ ـ ٥٥١ . ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثالث ، المجلد الأول ، ص٤٥٧ ـ ٤٩٤ . العماد الأصفهاني : خريدة القصر ، ٤٦٠/٣ ـ ٤٦٣ . ابن دحية : المُطرب ، ص ١٩٦ ـ ١٩٧ . ابن سعيد : المُغرب ، ٤١٤/٢ . المقّري : نفح الطيب ، ٦٤٠/١ ـ ٦٤٣ .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

(٢٥٧) انظر ترجمته في : ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الثاني ، ص ٦٩١ ـ ٧٢٩ . العماد الأصفهاني : خريدة القصر ،٢/٢٧١ ـ ٢٨٩ . ابن سعيد : المُغرب ، ٢/ ١٤٣ ـ ١٤٥ . المقّريّ : نفح الطيب ، ٧ /٢٦ ـ ٢٧ .

(٢٥٨) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثالث ، المجلد الأول ، ص ٤٦٨ .

(٢٥٩) صلاح خالص : محمد بن عمار الأندلسي ، ص ٧٦ .

(٢٦٠) ابن خاقان : قلائد العقيان ، ١/٢٥٣ .

(٢٦١) عبد الواحد المراكشي : المُعْجب ، ص ١٠٨ .

(٢٦٢) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٣٧٣ .

(٢٦٣) عبد الواحد المراكشيّ : المُعْجب ، ص ١٠٨ .

(٢٦٤) انظر ترجمته في : ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثالث ، المجلد الأول ، ص٤٠ ـ ٤٤ . ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٠٢ .

(٢٦٥) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثالث ، المجلد الأول ، ص٤٤ .

(٢٦٦) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/ ١٢٠ـ ١٢٢ .

(٢٦٧) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق : ٧) ص ٢٤٢ .

(٢٦٨) وشبيه بهذا البيت قول مهيار الديلمي (ت ٤٢٨هـ) يمدح الوزير عميد الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم ، ويهنئه بالمهرجان الواقع في سنة سبع وعشرين وأربعمائة : [من الطويل]

٧٠- أُحِبُّكَ وُدًّا مَنْ يَخَافُكَ طَاعَةً وَأَعْجَبُ شَيءٍ خِيفَةٌ مَعَهَا حُبُّ

- مهيار الدّيلميّ : ديوان مهيار الديلميّ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط١، ١٩٢٦م ، ١/١٥٠ .

(٢٦٩) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/ ١٣٦ .

(٢٧٠) ابن رشيق القيرواني : العمدة ؛ في محاسن الشعر وادابه ونقده ، ١٧٦/٢ .

(٢٧١) المعتمد بن عباد : ديوان المعتمد بن عباد ، ص ٥٢ .

(٢٧٢) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق : ٨) ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .

(٢٧٣) المعتمد بن عباد : ديوان المعتمد بن عباد ، ص ٥٢ ـ ٥٣ . ابن خاقان : قلائد العقيان ، ٢٧١/١ .

ابن الأبار : الحلة السيراء ، ١٣٨/٢ .

(٢٧٤) انظر ترجمته في : ابن خاقان : قلائد العقيان ، ٣٠٥/١ ـ ٣١٣ . ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٢٣٩ ـ ٢٨٥ . العماد الأصفهاني :خريدة القصر ، ٣/ ٣٨٣ ـ ٣٨٧ . ابن خيرة : المُطْرب ، ص ٧٦ . ابن سعيد: المُغرب ، ٣٥٠/١ ـ ٣٥١ . الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١٠٨/٣ . ابن الخطيب : الإحاطة ، ٣٦٧/٢ ـ ٣٧٠ .

(٢٧٥) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٢٧٣ ـ ٢٧٥ .

(٢٧٦) ابن تلّقين : مذكرات الأمير عبد الله ؛ المُسَمّاة بكتاب (التبيان) ، ص ٧٩ .

(٢٧٧) هو أبو نصر الفتح بن المعتمد ، استخلفه المعتمد على قرطبة بعد تغلبه عليها وإخراج ابن عكاشة منها سنة ٤٦٧ هـ (١٠٧٥م) ، وقتل في قرطبة بعد محاصرة المرابطين للمدينة واخذها .

- انظر ترجمته في : ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/ ٦٢ ، ٦٨ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣٠/٥ .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

(٢٧٨) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :١٥) ص ٢٦٢ .
(٢٧٩) ابن سعيد : المغرب ، ٢/ ٢٤٨.
(٢٨٠) المصدر السابق ، ٢٧١/٢ .
(٢٨١) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ١٢٤/٢ . دوزي : المسلمون في الأندلس ، ٣/ ١١٣.
(٢٨٢) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/ ١٢٣ ـ ١٢٤ .
(٢٨٣) المصدر السابق ، ١٤٠/٢ .
(٢٨٤) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(٢٨٥) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(٢٨٦) ابن خاقان : قلائد العقيان ، ٢٦٩/١ .
(٢٨٧) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/ ١٤١ .
(٢٨٨) ابن بُلقين : مذكرات الأمير عبد الله ؛ المُسَمَّاة بكتاب (التبيان) ، ص ٧٦ .
(٢٨٩) المصدر السابق ، ص ٨٢ .
(٢٩٠) أشعب : رجلٌ من أهل المدينة ، يقال له : (أشعبُ الطَّمَّاع) ، وكان صاحب نوادر ، وضُرِبَ به المثل في الطمع . العسكري : جمهرة الأمثال ، ٢٣/٢ . الميداني : مجمع الأمثال ، ٥٥٠/١ ـ ٥٥١ .
(٢٩١) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٤١٥ .
(٢٩٢) ومِمَّا يُعَضِّدُ ذلك أنه عندما سقطت طليطلة في يد النصارى سنة ٤٧٨هـ حَلَقَ الفقيه أبو القاسم بن الخياط وسط رأسه ، وشد الزُّنَّار ، وأخذ يعمل كاتبًا عند الأذفونش . ابن سعيد: المُغرب ، ٢/ ٢٢ .
وكان الطاغية رُذريق القنبيطور (El Cid Campeador) (ت٤٩١هـ) يخدم المصلحة ، فكان يُؤَجِّرُ نفسه حينًا لملوك النصارى ، وحينًا آخر لملوك الطوائف . ابن الأبار : الحلة السيراء ، ١٢٥/٢ ـ ١٢٧ .
ـ عبد الرحمن علي الحجي : التاريخ الأندلسي ؛ من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢ـ ٨٩٧هـ / ٧١١ـ ١٤٩٢م) ، دار القلم ، دمشق ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م ، ص ٣٦٩ . محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص٢٣١ـ ٢٥٢ . ليڤي پروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي ، مراجعة لطفي عبد البديع ، سلسلة الألف كتاب (٨٩) ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ص ١٦٦ـ ٢٣٦ .
(٢٩٣) إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي ؛ عصر الطوائف والمرابطين ، ص ٣٤ .
(٢٩٤) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .
(٢٩٥) ابن بُلقين : مذكرات الأمير عبد الله ؛ المُسَمَّاة بكتاب (التبيان) ، ص ٧٩ ـ ٨٠ .
(٢٩٦) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الأول ، ص٣٦١ .
(٢٩٧) عباس محمود العقاد : ابن الرومي ؛ حياته من شعره ، نهضة مصر ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٩م ، ص ١١٧ .
(٢٩٨) ابن الابار : الحلة السيراء ، ٢/ ١٤٣ .
(٢٩٩) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، ص ٢٥٦ .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي (ت ٢٤٣هـ) ، قالهما لمّا انحرف عليه محمد بن عبد الملك الزيات ؛ فتجنبه الناس ، وكان الحارثُ بنُ بَشْتَغير الزّريمُ المُغنّي صديقًا له مُصافِيًا ، وهَجَرَهُ فيمن هجره من الإخْوَان ، فكتب إليه هذين البيتين .

- ديوان إبراهيم بن العباس الصولي (ضمن كتاب الطرائف الأدبية) ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٧م ، ص ١٨٢ .

- ياقوت الحموي : معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، ١/١١٠ .

(٣٠٠) محمد حلمي البادي :شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :١٢) ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ .

(٣٠١) مدينة بالأندلس ، تقع شرقي قرطبة ، تكثرُ فيها الأشجار والأنهار ، سقطت بيد الروم عام ٤٨٧هـ ، واستردها المرابطون عام ٤٩٥هـ ، ويُعرَف أهلها بعرب الأندلس .

- الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق ، ٢/٥٥٦ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ١/٥٨١ ـ ٥٨٣ . ابن سعيد : المُغرب ، ٢/٢٩٧ - ٢٩٩. الحِمْيَريّ : الروض المعطار ، ص ٩٧ـ ١٠١ . المقّريّ : نفح الطيب ، ٣/٢٢١ .

(٣٠٢) عبد الواحد المراكشي : المُعْجِب ، ص ١١١ .

(٣٠٣) وهو حصن من حصون مرسية القريبة منها . ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/١٢٤ ، حاشية (٢) .

(٣٠٤) ابن بسام :الذخيرة ، القسم الثالث ، المجلد الأول ، ص٢٦ . ابن الأبار: الحلة السيراء ، ٢/١١٩ ـ ١٢٠ .

(٣٠٥) مدينة في مديرية مرسية ، وهي مركز إداري وقاعدة بلدية . ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/١٥٥ ، حاشية (٢) .

(٣٠٦) ابن خاقان : قلائد العقيان ، ١/١٨١ ـ ١٨٢ .

(٣٠٧) المصدر السابق ، ١/١٨٣ .

(٣٠٨) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق : ٣٨) ص ٣٠٠ ـ ٣٠٢ .

(٣٠٩) من الأمثال العربية (لو ذاتُ سِوَارٍ لطَمَتْنِي !) ، ومعناه : لو ظلمني مَنْ كان كفؤًا لي لهان عليَّ ، ولكن ظلمني مَنْ هو دوني . العسكري : جمهرة الأمثال ، ٢/١٦٠ . الميداني : مجمع الأمثال ، ٢/٢٠٧ .

(٣١٠) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/ ١٥٥ .

(٣١١) ابن بُلقين : مذكرات الأمير عبد الله ؛ المُسَمّاة بكتاب (التبيان) ، ص ٨١ .

(٣١٢) المعتمد بن عباد : ديوان المعتمد بن عباد ، ص ٧٢ ـ ٧٣.

(٣١٣) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٤١٤ .

(٣١٤) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :٦٠) ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ .

(٣١٥) نزل عِطاف (جد المعتمد) بقرية تعرف بيُومين ، واسمها الكامل بالعربية طور يومين ، من إقليم طُشَانة (Tocina) على ضفة الوادي الكبير من أرض إشبيلية . ابن خلكان : وَفيات الأعيان ، ٥/٢١ .

(٣١٦) حامد عبد القادر : دراسات في علم النفس الأدبي ، ص ٤٦.

(٣١٧) ابن بُلقين : مذكرات الأمير عبد الله ؛ المُسَمّاة بكتاب (التبيان) ، ص ٨٠.

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

(٣١٨) يرى محقق (الحلة السيراء) أن أبا الفضل بن حسداي هو اليهودي الذي استعان به ابن عبد العزيز فيما أراد بلوغه من ابن عمّار . ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/١٥٧ ، حاشية (٢).
(٣١٩) المصدر السابق ، ٢/١٥٧ ـ ١٥٨ .
(٣٢٠) طه حسين : مع المتنبي ، ص ٣٢٨ .
(٣٢١) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق ;٣٩) ص ٣٠٣ . ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٤١٠ ـ ٤١١ . ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/ ١٤١ ـ ١٤٢ .
(٣٢٢) صلاح خالص : محمد بن عمار الأندلسي ، ص ١٤٢ . ليفي بروفنسال :الإسلام في المغرب والأندلس ، ص ١١٩ ـ ١٥٠ .
(٣٢٣) ابن بُلقين : مذكرات الأمير عبد الله ؛ المُسَمَّاة بكتاب (التبيان) ، ص ٨٠ .
(٣٢٤) عبد الواحد المراكشي : المُعْجِب ، ص ١١١ .
(٣٢٥) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٦٠ .
(٣٢٦) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(٣٢٧) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/ ١٤٦ .
(٣٢٨) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثالث ، المجلد الأول ، ص ٢٦ .
(٣٢٩) من أمثال المولدين . الميداني : مجمع الأمثال ، ٢/ ٤٢٢.
(٣٣٠) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/ ١٤٦ .
(٣٣١) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :٢٦) ص ٢٨١ .
(٣٣٢) الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق ، ٢/٥٥٤ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٥/ ٧ . الحِمْيَري : الروض المعطار ، ص ٥٠٧.
(٣٣٣) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/ ١٤٩ .
(٣٣٤) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(٣٣٥) حصن شقورة كالمدينة ، عامر بأهله ، وهو في رأس جبل منيف ، منيع الجهة ، ويخرج من أسفله نهران : نهر قرطبة ، والنهر الأبيض .
- الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق ، ٢/٥٦٠ ـ ٥٦١ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٤٠٣/٣ . الحِمْيَري : الروض المعطار ، ص ٣٤٩.
(٣٣٦) مدينة من مدن شرق الأندلس ، عامرة حسنة ، وعليها سور حصين قد بُني بهندسة وحكمة ، ولها قصبة منيعة جدًا .
- الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق ، ٢/٥٥٧ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٤٩٤/٢ . ابن سعيد : المُغرب ، ٢/٤٠٠ . الحِمْيَري : الروض المعطار ، ص ٢٣١ ـ ٢٣٢.
(٣٣٧) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٤١٥ .
(٣٣٨) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٦٠ .
(٣٣٩) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/١٥٠ .
(٣٤٠) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٤١٧ .
(٣٤١) انظر ترجمته في : ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثالث ، المجلد الأول ، ص ٤٤٨ - ٥٥١ . ابن سعيد: المُغرب ، ٢/ ٣٠٥ ـ ٣٠٧ .
(٣٤٢) محمد حلمي البادي: شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :٣٢) ص ٢٩٤ .
(٣٤٣) المرجع السابق ، (ق :٤٢) ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨ .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

(٣٤٤) يقول حكم بن الخلوف المشهور بالعجل معاتبًا صاحب شقورة على بيعه ابن عمار .
[من السريع]

١- بعْتَ ابْنَ عَمَّارٍ بِمَالٍ وَهَلْ ... مِثْلُ ابْنِ عَمَّــارٍ بِمَــالٍ يُبَاعْ
٢- عَمْرِي لَقَدْ تَابْعْتَ فِيهِ الذِي ... قَدْ جَاءَهُ مِنْ قَبْلُ أَهْلُ الطَّمَاعْ
٣- فَوَطِّــنِ النَّفْــسَ عَلَى سُنَّةٍ ... يَنْبُو- إِذَا تُذْكَرُ- عَنْهَا السَّمَاعْ

- ابن سعيد : المُغْرب ، ٦٨/٢ .
(٣٤٥) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :٦٧) ص ٣٣٨ .
(٣٤٦) المرجع السابق ،(ق :١) ص ٢٣٣ .
(٣٤٧) المرجع السابق ،(ق :٤٨) ص ٣١٦ .
(٣٤٨) يعني أنه فقد النصير إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ، هَارُونَ أَخِي ، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ . سورة طه ، آية ٢٩ ـ ٣١ .
(٣٤٩) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٦١٣/١ - ٦١٤. ابن سعيد : المُغرب ، ٧١/٢ . الحِمْيَريّ : الروض المعطار ، ص ١٢١- ١٢٢. المقّريّ : نفح الطيب ، ٢١٧/٣ .
(٣٥٠) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٤١٦ .
(٣٥١) انظر ترجمته في : ابن خاقان : قلائد العقيان ، ١/ ١١٠ ـ ١١٩ . ابن دحية : المُطرب ، ص ٣٨ .
ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٦٢/٢ ، ٧٠ ـ ٧٥ . المقّريّ : نفح الطيب ، ١/ ٦٢٧ ، ٦٦١ - ٦٦٣ ، ٤/ ٢٤٩ ـ ٢٥٦
(٣٥٢) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق : ٨٦) ص ٣٦٩ .
(٣٥٣) عبد الواحد المراكشي : المُعْجب ، ص ١١٢ .
(٣٥٤) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(٣٥٥) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/ ١٥٨ .
(٣٥٦) عبد الواحد المراكشي : المُعْجب ، ص ١١٢ - ١١٣ .
(٣٥٧) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/ ١٥٨ .
(٣٥٨) المتنبي : شرح شعر المتنبي ، ٢٠١/٢ .
(٣٥٩) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٤٢٢ .
(٣٦٠) دوزي : المسلمون في الأندلس ، ٣/ ١١٩ .
(٣٦١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٣٥١/٣. الحِمْيَريّ : الروض المعطار ، ص ٣٣٧ .
(٣٦٢) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص ٤١٨ - ٤١٩ .
(٣٦٣) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، ص ٢٨٢ .
(٣٦٤) المرجع السابق ، (ق : ٧٩) ص ٣٦٠ ـ ٣٦٢ .
(٣٦٥) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص ٤٢٨ .
(٣٦٦) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :١٣) ص ٢٥٨ - ٢٦٠ .
(٣٦٧) من الأمثال العربية : (كُلُّ إناءٍ يَرْشَحُ بما فيه) . الميداني : مجمع الأمثال ، ١٩٢/٢

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

(٣٦٨) نظر إلى قول أبي ذؤَيب الهُذلي :
[من الكامل]
١٠- وَإذَا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا ألْفَيتَ كُـلَّ تَمِـيمَةٍ لا تَنْفَعُ
. أبو ذؤَيب الهُذلي : ديوان أبي ذؤَيب الهُذلي ، تحقيق وشرح أنطونيوس بطرس ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، ص ١٤٣ .
وانظر : عبد الواحد المراكشي : المُعْجب ، ص ١١٤ .
(٣٦٩) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص٤٢٢ . المراكشي : المُعْجب ، ص ١١٤ .
(٣٧٠) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/٢٥٤ ـ ١٥٥ .
(٣٧١) عبد الواحد المراكشي : المُعْجب ، ص ١١٣ .
(٣٧٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٦٢ .
(٣٧٣) حامد عبد القادر : دراسات في علم النفس الأدبي ، ص ١٨٧ .
(٣٧٤) كولردج : النظرية الرومانتيكية في الشعر ؛ سيرة أدبية لكولردج ، ترجمة عبد الحكيم حسان ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ص ٤٤٣.
(٣٧٥) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص ٤٢٩ .
وذكر عبد الواحد المراكشي أنه خاطب الراضي بأمر العفو عبد الواحد المراكشي : المُعْجب ، ص ١١٤ .
وأرى أنه بعث بالرسالة للرشيد للعلاقة الوثيقة التي كانت تجمع بينهما ؛ فقد كان يشاركه في مجالس الأنس ، وأرسل له قصيدة طويلة مستعطفا إياه بلغت واحد وثلاثين بيتا ، ولأنه هو الذي رجا المعتمد لينعفو عنه .
(٣٧٦) أراد ابن عمار أن ينفرد بالنفوذ والسلطان في بلاط المعتمد ، ولكنه كان أحكَمَ من أن يُجاهِرَ ابن زيدون بالعداء ، وقد غضب - في قرارة نفسه - لمكانة ابن زيدون عند المعتمد ، وإن كان يُظْهِرُ إعجابَه به وتودُّدَه إليه ؛ لذا جَدَّ في التخلُّص منه ، ويعاونه في ذلك ابن مرتين ؛ فزينا للمعتمد أن يرسله – وهو شيخٌ كبير – إلى قرطبة ليهدئ اضطرابات قامت هناك ، وكان مريضًا جدًا فلم يتحمل مشاقّ السفر ، وتوفى بإشبيلية عام ٤٦٣هـ (١٠٧١م) .ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، ص ٤١٨ - ٤١٩ .
(٣٧٧) حتى إن عبد الواحد المراكشي نَزَّهَ كتابه عن ذكرها ، وأمسك عن إيرادها . عبد الواحد المراكشي : المُعْجب ، ص ١١٤ .
(٣٧٨) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/ ١٦٠.
(٣٧٩) دوزي : المسلمون في الأندلس ، ٣/ ١٢٠ .
(٣٨٠) وهي فأس كالمطرقة أهدَاها أذفونش إلى ابن عمَّار ؛ فأهداها إلى المعتمد . ابن خاقان : قلائد العقيان ، ٢٨٧/١ .
(٣٨١) المقَّريّ : نفح الطيب ، ٢١٢/٤ .
(٣٨٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٤٢٥/٤ . الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١٦١/٤ .
ولقد ورد في المُعْجب أن المعتمد قتله سنة ٤٧٩ هـ ، والصواب أنه قُتِلَ سنة ٤٧٧ هـ . عبد الواحد المراكشي : المُعْجب ، ص ١١٤ .
(٣٨٣) عبد الواحد المراكشي : المُعْجب ، ص ١٠٨ .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
CamScanner ممسوحة ضوئيا بـ
Scanned with CamScanner

وقد أهدى أبو يعقوب يوسف بن تاشفين إلى المعتمد جارية مغنية ، وفي ذلك الوقت كثر الإرجاف بأن سلطان الملثمين ينتزع منهم بلاد ملوك الطوائف ، وحين كان المعتمد يشرب الخمر على نهر إشبيلية غنّت الجارية : [من الكامل]

١- حَمَلُوا قُلُوبَ الأُسْدِ بَينَ ضُلُوعِهِمْ ... وَلَوَوا عَمَائِمَهُمْ عَلَى الأَقْمَارِ

٢- وَتَقَلَّدُوا يَومَ الوَغَى هِنْدِيَّةً ... أَمْضَى إِذَا انْتُضِيَتْ مِنَ الأَقْدَارِ

٣- إِنْ خَوَّفُوكَ لَقِيتَ كُلَّ كَرِيهَةٍ ... أَو أَمَّنُوكَ حَلَلْتَ دَارَ قَرَارِ

فوقع في قلبه أنها تمدح سادتها المرابطين ، فلم يملك غضبه ، ورمى بها في النهر، فهلكت . المقّريّ : نفح الطيب ، ٢٧٦/٤ .

وعندما أرسل ألفونسو السادس يسأله في دخول امرأته إلى جامع قرطبة لِتَلِدَ فيه ، حسب رأي الأساقفة ، وأغضبه رسوله اليهودي ؛ لم يتمالك نفسه ؛ « وأخذ محبرة كانت بين يديه وضرب بها رأس اليهودي ؛ فأنزل دماغه في حلقه ، وأمر به فصُلِبَ منكوسًا بقرطبة » . المقّريّ : نفح الطيب ، ٣٥٨/٤ .

(٣٨٤) ابن بُلُقّين : مذكرات الأمير عبد الله ؛ المُسَمَّاة بكتاب (التبيان) ، ص ٨١ .

(٣٨٥) ويقول صاحب (الخريدة) إن هذه القصيدة كانت من أقوى الأسباب التي جعلت المعتمد يقتل ابن عمار .

- العماد الأصفهاني : خريدة القصر ، ٧١/٢ .

وبهذا نستطيع أن ندرج ابن عمار ضمن الشعراء الذين قتلهم شعرهم الهجائي ، ومنهم : بشار بن برد (ت ١٦٨هـ) ، ودعبل الخزاعي (ت٢٤٦هـ) ، وابن الرومي (ت ٢٨٣هـ) والمتنبي .

(٣٨٦) نسب محمد حلمي البادي هذين البيتين لابن رشيق القرطبي . محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :٢٤) ص ٢٧٤ .

(٣٨٧) محمد عبد الله عنان : تراجم إسلامية شرقية وأندلسية ، ص٢٨٦ .

(٣٨٨) ابن سعيد : المُغرب ، ٣٩٠/١- ٣٩١ .

(٣٨٩) بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٩٣ .

(٣٩٠) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثالث ، المجلد الأول ، ص ٤٥٦ .

(٣٩١) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/ ١٦٠.

(٣٩٢) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق :٢٨) ص ٢٨٥ .

(٣٩٣) المرجع السابق ، ص ٣٣٥ .

(٣٩٤) انظر ترجمته في : ابن خاقان : قلائد العقيان ، ٤٩٣/٢ ـ ٤٩٩ . العماد الأصفهاني : خريدة القصر ، ٢٠٨/٢ ـ ٢٠٩ . ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/ ١٧٢ ـ ١٧٦ . ابن سعيد : المُغرب ، ٢/ ٨٧ ـ ٨٨ ، ٢٤٨ ـ ٢٥٠ .

(٣٩٥) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، ص ٣٤١ .

(٣٩٦) انظر ترجمته في : ابن خاقان : قلائد العقيان ، ١٤٦/١ ـ ١٥٦ . ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الثاني ، ص٧٢٩ - ٧٣٦ . العماد الأصفهاني : خريدة القصر ، ٨٣/٢ - ٨٩ . ابن ذحية : المُطرب ، ص ٣٤ ـ ٣٨ . ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٧٨/٢ ـ ٨٨ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٣٩/٥ ـ ٤٥ . ابن سعيد : المُغرب ، ١٩٥/٢ - ١٩٨. ابن عذارى

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

: البيان المُغرب ، ٣/١٦٧ ـ ١٦٨ ، ١٧٣ ـ ١٧٥ ، ١٩٢ . ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٩٠ ـ ١٩٢ . المقـريّ : نفـح الطيـب ، ١/٦٦٦ ـ ٦٦٧ ، ٣/٢٦٣ ـ ٢٦٤ ، ٣٢٨ ـ ٣٢٩ ، ٤١١ ـ ٤١٣ ، ٥٠٣ ـ ٥٠٥ .

(٣٩٧) مدينة ساحلية شرقي الأندلس ، فيها مرفأ للسفن والمراكب ، واشتهرت بصنع الديباج

ـ الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق ، ٢/٥٦٢ ـ ٥٦٤ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٥/١٤٠ ـ ١٤١ . ابن سعيد : المُغرب ، ٢/١٩٣ ـ ١٩٤ . الحِمْيَريّ : الروض المعطار ، ص ٥٣٧ـ ٥٣٨. المقريّ : نفح الطيب ، ٣/٢١٩ ـ ٢٢٠ .

(٣٩٨) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، ص ٣٢٥ .

(٣٩٩) المرجع السابق ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٢.

(٤٠٠) انظر ترجمته في : ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثالث ، المجلد الأول ، ص ١٠٤ ـ ١٠٨ . العماد الأصفهاني : خريدة القصر ، ٣/ ٣٧٥ ـ ٣٨٠ . ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/١٦٧ ـ ١٧١ . ابن سعيد : المُغرب ، ٢/٣٧٦ ـ ٣٧٧ . ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٢٠٩ . المقّريّ : نفح الطيب ، ١/٦٧٢ ـ ٦٧٣ ، ٣/٥٩٧ ، ٤/ ٣١٤ .

(٤٠١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ٥/١١٧ . الحِمْيَريّ : الروض المعطار ، ص ٥٤٠.

(٤٠٢) محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩.

(٤٠٣) المرجع السابق ، ص ٣٥٤ .

(٤٠٤) المرجع السابق ، ص ٣٣١ .

(٤٠٥) المرجع السابق ، ص ٢٩٦ .

(٤٠٦) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ٢/ ١٣٤.

(٤٠٧) يشير إلى المثل العربي : (يَدَاكَ أوكَتَا ، وفُوكَ نَفخَ) ، وهو يُضرَب لمن يَجْنِي على نفسه الحَيْنَ .

ـ العسكري : جمهرة الأمثال ، ٢/٣٣٤ . الميداني : مجمع الأمثال ، ٢/٤٩١ .

(٤٠٨) عبد الواحد المراكشي : المُعْجِب ، ص ١٠٢ .

(٤٠٩) يقول الثعالبي عن المتنبي : « وما زال في برد صِبَاه إلى أن أخلق بُرْد شَبَابِهِ ، وتضاعفت عقود عمره ، يذور حب الولاية والرياسة في راسه ، ويظهر ما يضمر من كامن وسواسه ، في الخروج على السلطان ، والاستظهار بالشجعان ، والاستيلاء على بعض الأطراف » .

ـ الثعالبي : أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة الحسين التجارية ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، د.ت ، ص٣٣ .

ويقول ابن بسام عن ابن عمار : لقد كان « حُبّ الرياسة في رأسه يدور » . ابن بسام : الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الأول ، ص ٤٠٥ .

(٤١٠) عن سجن المتنبي انظر: محمود محمد شاكر : المتنبي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، دار المدني ، جدة ، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ، ص ٣٨٧ ـ ٣٩٢ .

(٤١١) يقول يوسف البديعي : « لمّا قدم سيف الدولة إلى أنطاكية قدّم أبو العشائر المتنبي إليه ، وأثنى عنده عليه ، وعَرّفهُ منزلته من الشعر والأدب ، واشترط المتنبي على سيف الدولة أول اتصاله به أنه إذا أنشده مديحه لا يُنشده إلا وهو قاعد ، وأنه لا يُكلف تقبيل الأرض بين يديه ؛ فنُسِبَ إلى الجنون » .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

- يوسف البديعي : الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، تحقيق مصطفى السقا ، محمد شتا ، عبده زيادة عبده ، سلسلة ذخائر العرب (٣٦) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ٧١ .

ويقول غَرْسِيَة غُومِس : « ومن كبار شعراء عصر الطوائف أبو بكر بن عمار الشّلبي صديق ابن عباد ، وكان شخصية قوية تفيض فتنة ، وحياته سلسلة من المغامرات المحزنة ، كان ابن عمار طموحًا لا يخلو من مس جنون» . غومس : الشعر الأندلسي ، ص ٥٠ .

(٤١٢) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الأول ، ص٢٩٨ .

(٤١٣) ابن خاقان : قلائد العقيان ، ٢٦٠/١ . محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق:٥٦) ص ٣٢٥ .

(٤١٤) أبو العباس الجراوي : الحماسة المغربية ؛ مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، لبنان ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، ٧٧٢/١ .

- صلاح خالص : محمد بن عمار الأندلسي ، (ق:٥٨) ص ٢٨٩ .

- محمد حلمي البادي : شعر ابن عمار الأندلسي ، (ق:٣٨) ص ٣٠١ . والصواب أن يكون البيت التاسع عشر في القصيدة .

(٤١٥) ابن الأبار : الحلة السيراء ، ١٥٠/٢ .

(٤١٦) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ١٦٤/٤ .

وتجدر الإشارة إلى أن هذين البيتين لمهيار الدَّيلميّ (ت ٤٢٨هـ) . والأمر بين أن يكون صاحب (الوافي بالوفيات) أخطأ في نسبتهما لابن عمار ، أو يكون ابن عمار استخدمهما على سبيل التضمين .

مهيار الدَّيلميّ : ديوان مهيار الديلميّ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط١، ١٩٢٦م، ١٤٦/١ ، ١٥٠ .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

CamScanner ممسوحة ضوئيا بـ
Scanned with CamScanner

المصادر والمراجع

أولا : المصادر :

• ابن الأبار- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي(ت٦٥٨هـ):

١- الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس ، ذخائر العرب (٥٨) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٥م .

• ابن الأثير- ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن عبد الكريم الموصلي(ت٦٣٧هـ) :

٢- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، طبعة بولاق ، القاهرة ، ١٢٨٢هـ- ١٨٦١م .

• ابن بسام الشنتريني – أبو الحسن علي (٥٤٢هـ):

٣- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ط١ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

• ابن بَشْكوال – أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ):

٤- الصلة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٨م .

• ابن بُلُقّين – عبد الله بن بُلُقّين بن باديس بن حَبُوس بن زِيري (ت ٤٨٣هـ) :

٥- مذكرات الأمير عبد الله ، آخر ملوك بني زيري بغرناطة (٤٦٩- ٤٨٣) ، المُسَمَّاة بكتاب(التِّبيان) ، نشر وتحقيق إ . ليفي بُروفنسَال ، سلسلة ذخائر العرب (١٨) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٥م .

• ابن حجة الحموي- أبو بكر بن علي بن عبد الله (ت ٨٣٧هـ):

٦- خزانة الأدب وغاية الأرب ، دراسة وتحقيق كوكب دياب ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م .

• ابن حزم – أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ):

٧- جمهرة أنساب العرب ، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون ، سلسلة ذخائر العرب (٢) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٦ ، ١٩٩٩م .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

٨- رسائل ابن حزم الأندلسي (٣٨٤- ٤٥٦) ، رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، تحقيق إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨١م .

• **ابن حمديس الصقلي- أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر بن حمديس (ت ٥٢٧هـ):**

٩- ديوان ابن حمديس ، صححه وقدم له إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠م .

• **ابن خاقان - أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي الإشبيلي (ت ٥٣٥هـ):**

١٠- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، حققّهُ وعلّق عليه حسين يوسف خريُوش ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط١ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

• **ابن الخطيب - لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني (ت٧٧٦هـ):**

١١- تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م .

١٢- الإحاطة في أخبار غرناطة ، شرحه وضبطه وقدّم له يوسف علي طويل ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

• **ابن خلدون - أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ):**

١٣- مقدمة ابن خلدون ؛ وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من دوي الشأن الأكبر) ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة ، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

• **ابن خلّكان - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ):**

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

١٤- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٠ م .

• ابن دحية الكلبي- أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد (ت ٦٣٣هـ):

١٥- المُطرب من أشعار أهل المغرب ، تحقيق إبراهيم الإبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي ، راجعه طه حسين ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥٤م .

• ابن دراج القسطلي – أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج (ت ٤٢١هـ) :

١٦- ديوان ابن دراج القسطلي ، حققه وعلق عليه وقدم له محمود علي مكي ، منشورات المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط١ ، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م .

• ابن رشيق القيرواني – أبو على الحسن (ت٤٥٦هـ):

١٧- العمدة ؛ في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط٥ ، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م .

• ابن زيدون- أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن غالب (ت٤٦٣هـ):

١٨- ديوان ابن زيدون ورسائله ، شرح وتحقيق علي عبد العظيم ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ٢٩٥٧م .

• ابن سعيد المغربي – أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك (٦٨٥هـ) :

١٩- رايات المُبَرِّزِينَ وغايات المُمَيِّزِينَ ، حققه وعلّق عليه محمد رضوان الداية ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ط١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٢٠- عنوان المرقصات والمُطْرِبات ، جمعية المعارف ، القاهرة ، ١٢٨٦هـ .

٢١- المُغرب في حُلى المغرب ، حققه وعلق عليه شوقي ضيف ، سلسلة ذخائر العرب رقم (١٠) ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٩٣م .

• ابن سهل الإشبيلي – أبو إسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي (ت ٦٤٣هـ) :

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

٢٢- ديوان إبراهيم بن سهل الإشبيلي ، حققه ورتبه محمد فرج دغيم ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٨م .

• ابن طباطبا العلوي – محمد بن أحمد (ت ٣٢٢هـ) :

٢٣- عيار الشعر، تحقيق محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ط٣ ، ١٩٨٤م .

• ابن ظافر الأزدي – أبو الحسن جمال الدين علي (ت ٦١٣هـ) :

٢٤- بدائع البدائه ، ضبطه وصححه مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

• ابن عذارى المَرَّاكُشِيّ – أبو عبد الله محمد (المتوفى في أواخر القرن السابع الهجري):

٢٥- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ومراجعة ج . س . كولان وإ. ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط٥ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

• ابن العماد- شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحيّ بن محمد العكريّ الحنبليّ الدمشقيّ (ت ١٠٨٩هـ) :

٢٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، أشرف على تحقيقه وخرّج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط ، حقّقه وعلّق عليه محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

* ابن عمّار – أبو بكر محمد (ت٤٧٧هـ):

٢٧- محمد بن عمار الأندلسي ؛ دراسة أدبية تاريخية لألمع شخصية سياسية في تاريخ دولة بني عباد في إشبيلية (ويحتوي على مجموع شعره) ، جمع وتحقيق صلاح خالص . مطبعة الجنى . بغداد . ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م .

* ابن فضل الله العمري – شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ):

٢٨- مسالك الأبصار في ممالك الأبصار ؛ مشاهير الوزراء ، تحقيق كامل سلمان الجبوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠١٠م .

سوحه صويا بـ CamScanner

سوحه صويا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

* ابن قتيبة - أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ):
٢٩- الشعر والشعراء ، تحقيق وشرح أحمد محمود شاكر، ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ١٣٦٤هـ - ١٩٤٤م .
٣٠- عيون الأخبار ، شرحه وضبطه وعلَّقَ عليه وقدَّمَ له ورتَّبَ فهارسه يوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
* ابن المعتز - أبو العباس عبد الله (ت٢٩٦هـ):
٣١- طبقات الشعراء . تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، سلسلة ذخائر العرب (٢٠) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م .
* إبراهيم بن العباس الصولي (ت٢٤٣هـ) :
٣٢- ديوان إبراهيم بن العباس الصولي (ضمن كتاب الطرائف الأدبية) ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، القاهرة ، ١٩٣٧م .
* بشار بن برد بن يرجوخ (ت١٦٨هـ):
٣٣- ديوان بشار بن برد ، قرأه وقدَّمَ له إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م .
* حازم القرطاجنى - أبو الحسن حازم بن محمد (ت ٦٨٤هـ):
٣٤- ديوان حازم القرطاجني ، تحقيق عثمان الكعاك ، المكتبة الأندلسية (٩) ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٤م .
٣٥- رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة ، شرح أبو القاسم محمد بن أحمد الغرناطي (ت ٧٦٠هـ) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٤٤هـ .
٣٦- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٦٦م .
* الحُمَيدي - أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتُوح بن عبد الله الأزدي (ت٤٨٨هـ) :
٣٧- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، المكتبة الأندلسية (٣) ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

• الحميري – أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت في أواخر القرن التاسع الهجري):

٣٨ الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس ، مؤسسة ناصر الثقافية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٠م .

• الخطيب القزويني – محمد بن عبد الرحمن بن عمر (ت٧٣٩هـ) :

٣٩ - الإيضاح في علوم البلاغة ، حققه وعلق عليه وفهرسه عبد الحميد هنداوي ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط٢ ، ١٢٤٥هـ - ٢٠٠٤م .

• الذهبي– ابو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الدمشقي (ت٧٤٨هـ):

٤٠– العبر في خبر من غبر ، حققه وضبطه أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

• أبو ذُؤَيب الهُذَلي :

٤١– ديوان أبي ذُؤَيب الهُذَلي ، تحقيق وشرح أنطونيوس بطرس ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

• الرصافي البلنسي – أبو عبد الله محمد بن غالب (ت٥٧٢هـ) :

٤٢– ديوان الرصافي البلنسي ، جمعه وقدَّمَ له إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

• السيوطي – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ) :

٤٣– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م .

• الشريشي – أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي (ت٦١٩هـ) :

٤٤– شرح مقامات الحريري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

• الشريف الإدريسي– أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت٥٦٢هـ):

٤٥– نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د. ت.

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

• الصفدي - صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ):
٤٦- الوافي بالوفيات ، تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
• الضبي - أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت ٥٩٩هـ) :
٤٧- بُغْيَة المُلْتَمِس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، المكتبة الأندلسية (٦) ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
• أبو العباس الجراوي - أحمد بن عبد السلام التادلي (ت٦٠٩هـ) :
٤٨- الحماسة المغربية ؛ مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، لبنان ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
• أبو العتاهية - أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سُوَيد بن كَيسَان (ت٢١١هـ) :
٤٩- أبو العتاهية ؛ أشعاره وأخباره ، تحقيق شكري فيصل ، دار الملاح للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م .
• العسكري - أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت٣٩٥هـ):
٥٠- كتاب الصناعتين ؛ الكتابة والشعر، تحقيق على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧١م .
٥١- جمهرة الأمثال ، ضبطه وكتب هوامشه ونَسَّقَهُ أحمد عبد السلام ، خَرَّجَ أحاديثه أبو هاجر محمد بن سعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
• العماد الأصفهاني - أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي (ت٥٩٧هـ):
٥٢- خريدة القصر وجريدة العصر ، قسم شعراء المغرب والأندلس ، تحقيق آذرتاش آذرنوش ، نقحه وزاد عليه محمد العروسي المطوي والجيلاني بن الحاج يحيى ومحمد المرزوقي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ط٢ ، ١٩٨٦م .
• أبو الفداء - عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت٧٣٢هـ) :

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

٥٣- تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٨٥٠م .

• **الكتبي – محمد بن شاكر بن أحمد (ت٧٦٤هـ) :**

٥٤- فوات الوفيات ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،١٩٥١م .

• **المتنبي – أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت٣٥٤هـ):**

٥٥- شرح شعر المتنبي ، أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري الأندلسي المعروف بابن الأفليلي (ت٤٤١هـ) ، دراسة وتحقيق مصطفى عليان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م .

• **المراكشي- عبد الواحد بن علي (ت٦٦٩هـ):**

٥٦- المُعْجب في تلخيص أخبار المغرب ، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب ، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م .

• **المعتمد بن عباد – أبو القاسم محمد بن عباد (ت٤٨٨هـ):**

٥٧- ديوان المعتمد بن عباد ؛ ملك إشبيلية ، تحقيق حامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي ، راجعه طه حسين ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ط٤ . ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م .

• **المقّريّ التلمسانيّ – أبو العباس أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ):**

٥٨- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، حققه إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط٥ ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

• **مهيار بن مرزويه الديلميّ (ت٤٢٨هـ):**

٥٩- ديوان مهيار الديلميّ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط١، ١٩٢٦م .

• الميداني – أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري (ت٥١٨هـ) :

ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

٦٠- مجمع الأمثال ، قدَّمَ له وعلَّقَ عليه نعيم حسين زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

• أبو نواس - أبو علي الحسن بن هانئ (ت١٩٩هـ):

٦١- ديوان أبي نواس ؛ حققه وضبطه وشرحه أحمد عبد المجيد الغزالي ، مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٣٧٢هـ- ١٩٥٣م .

• ياقوت الحموي - شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ):

٦٢- معجم البلدان ؛ تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

٦٣- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

* يوسف البديعي (ت١٠٧٣هـ) :

٦٤- الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، تحقيق مصطفى السقا ، محمد شتا ، عبده زيادة عبده ، سلسلة ذخائر العرب (٣٦) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣م

ثانيًا : المراجع العربية :

* إبراهيم انيس :

٦٥- الأصوات اللغوية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط ٦ ، ١٩٨٤م .

* إبراهيم سلامة :

٦٦- تيارات أدبية بين الشرق والغرب ؛ خطة ودراسة في الأدب المقارن ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٥١م - ١٩٥٢م .

* إحسان عباس :

٦٧- تاريخ الأدب الأندلسي ؛ عصر الطوائف والمرابطين ، المكتبة الأندلسية عدد (٣) ، دار الثقافة ، بيروت ، ط ٦ ، ١٩٨١م .

• أحمد ضيف :

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

٦٨- بلاغة العرب في الأندلس ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٨م .

• أحمد هيكل :

٦٩- الأدب الأندلسي ؛ من الفتح حتى سقوط الخلافة ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٧، ١٩٧٩م .

• إيمان الجمل :

٧٠- المعارضات في الشعر الأندلسي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ط١ ، ٢٠٠٧م .

• حامد عبد القادر :

٧١- دراسات في علم النفس الأدبي ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٩م .

• حامد عبد القادر ومحمد عطية الإبراشي :

٧٢- في علم النفس ، المطبعة المصرية ، القاهرة ، ١٣٥١هـ- ١٩٣٣م .

• حماد حسن أبو شاويش :

٧٣- النقد الأدبي الحديث حول شعر أبي العلاء المعري ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

• حمدي عبد المنعم محمد حسين :

٧٤- دراسات في التاريخ الأندلسي ؛ دولة بني برزال في قرمونة (٤٠٤- ٤٥٩هـ / ١٠١٣- ١٠٦٧م) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٠م .

• خير الدين الزركلي :

٧٥- الأعلام ؛ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٠م .

• درويش الجندي :

٧٦- ظاهرة التكسب وأثرها في الشعر العربي ونقده ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ، ١٩٧٠م .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

* سامي الدروبي :

٧٧- علم النفس والأدب ، دار المعارف، منشورات جماعة علم النفس التكاملي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨١م .

* سلوى الملا :

٧٨- الإبداع والتوتر النفسي ؛ دراسة تجريبية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٢م

* شفيع السيد :

٧٩- قراءة الشعر وبناء الدلالة ، دار غريب ، القاهرة ، ١٩٩٩م .

* شوقي ضيف :

٨٠- عصر الدول والإمارات ؛ الأندلس ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٩م

* صلاح خالص :

٨١- إشبيلية في القرن الخامس الهجري ؛ دراسة أدبية تاريخية ، نشوء دولة بني عباد في إشبيلية وتطور الحياة الأدبية فيها (٤١٤- ٤٦١) ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٥م .

* طه حسين :

٨٢- خصام ونقد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٥٥م .

٨٣- مع المتنبي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١٣، ١٩٨٦م .

* عباس محمود العقاد :

٨٤- شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

٨٥- ابن الرومي ؛ حياته من شعره ، نهضة مصر ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٩م .

* عبد الحليم محمود السيد :

٨٦- الإبداع والشخصية ؛ دراسة سيكولوجية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١م

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

• عبد الرحمن صدقي :

٨٧- ألحان الحان ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

٨٨- أبو نواس ؛ قصة حياته في جِدِّه وهَزْله ، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ، ١٩٦٥م .

• عبد الرحمن علي الحجي :

٨٩- التاريخ الأندلسي ؛ من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢- ٨٩٧هـ / ٧١٢- ١٤٩٢م) ، دار القلم ، دمشق ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م

* عبد القادر الرباعي :

٩٠- الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، جامعة اليرموك ، إربد ، ط ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

* عبد المنعم الحفني :

٩١- موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٧٥م

٩٢- موسوعة أعلام علم النفس ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٣م .

* عز الدين إسماعيل :

٩٣- التفسير النفسي للأدب ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٨٤م .

* عمر فروخ :

٩٤- تاريخ الأدب العربي ؛ الأدب في المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي آخر عصر ملوك الطوائف (أواخر القرن الخامس للهجرة - الحادي عشر لل ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ١٩٩٢م .

* محمد بن شريفة :

٩٥- أبو تمام وأبو الطيب في أدب المعاربة ، دار الغرب الإسلامي ، بير لبنان ، ط١ . ١٩٨٦م .

* محمد خلف الله أحمد :

سوحة ضوئيا بـ CamScanner

سوحه ضويا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

- من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .

• محمد زكي العشماوي :

- موقف الشعر من الفن و الحياة في العصر العباسي ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري . الكويت ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م .

• محمد عبد الله عنان :

- ترجم إسلامية شرقية وغربية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٢ نقحت وصححت وأضيف إليها تراجم جديدة ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .

- دولة الإسلام في الأندلس ، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ؛ العصر الثاني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٤ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

محمد عبد المنعم خفاجي :

- قصة الأدب في الأندلس ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٦٢م .

• محمد عويس :

- من قضايا الإنسان في الشعر الأندلسي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى . ١٩٨٦م .

• محمد غنيمي هلال :

- الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية ؛ دراسات نقد ومقارنة حول موضوع (ليلى والمجنون) في الأدبين : العربي والفارسي ، دار نهضة مصر ، القاهرة . ط٢ . ١٩٧٦م .

• محمد لبيب البتنوني :

- رحلة الأندلس ، مطبعة الكشكول ، القاهرة ، ١٩٢٧م .

• محمد النويهي :

- الشعر الجاهلي ؛ منهج في دراسته وتقويمه ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، د . ت .

• محمود محمد شاكر :

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

١٠٥- المتنبي ؛ مطبعة المدني ، القاهرة ، دار المدني ، جدة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

• مصطفى سويف :

١٠٦- الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٥٩م .

• مصطفى الشكعه :

١٠٧- الأدب الأندلسي ؛ موضوعاته وفنونه ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٥م .

• مهجة أمين الباشا :

١٠٨- محنة شعر السجون والأسر في الأندلس ؛ عهد بني أمية والعامريين والفتنة وملوك الطوائف ، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط١ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

• ميشال عاصي :

١٠٩- الشعر والبيئة في الأندلس ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٠م .

• يوسف حسين بكار :

١١٠- اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ، دار الأندلس ، بيروت ، ط٢ ، د. ت .

ثالثًا : المراجع الأجنبية المترجمة :

• بالنثيا . آنخل جنثالث :

١١١- تاريخ الفكر الأندلسي . ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ط١ ، ١٩٥٥م .

• بروفنسال . ليفي :

ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner

١١٢- مجموعة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها ، ترجمها إلى العربية محمد عبد الهادي شعيرة ، راجعها عبد الحميد العبادي ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥١م .

١١٣- الإسلام في المغرب والأندلس ، ترجمة السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي ، مراجعة لطفي عبد البديع ، سلسلة الألف كتاب (٨٩) مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

* بلاشيس ، نزي :

١١٤- الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ؛ ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية ، ترجمة الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف، القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .

* دوزي ، رينهرت :

١١٥- المسلمون في الأندلس ، ترجمة وتعليق وتقديم حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٥م .

* غومس ، إميليو غرسيه :

١١٦- الشعر الأندلسي ؛ بحث في تطوره وخصائصه ، ترجمة حسين مؤنس ، سلسلة الألف كتاب رقم (٩٥) ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٥٦م

* كولردج :

١١٧- النظرية الرومانتيكية في الشعر ؛ سيرة أدبية لكولردج ، ترجمة عبد الحكيم حسان ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧١م .

* لابلانش ، جان وبونتاليس ، ج . ب:

١١٨- معجم مصطلحات التحليل النفسي ، ترجمة مصطفى حجازي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط٢ منقحة ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

رابعًـــا : الدوريات :

• سلامة عبد الله السويدي:
١١٩- صور الخوف في اعتذاريات النابغـــة الذبياني ، حوليـــات الآداب والعلـــو الاجتماعية ، الرسالة ٢٣٥ ، الحولية ٢٦ ، مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (سبتمبر)

خامسا : الرسائل الجامعية :

• محمد حسن الهادي:
١٢٠- شعر ابن عمار الأندلسي ؛ جمع وتوثيق ودراسة ، رسالة ماجستير، كليـــ دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٠م .

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner
Scanned with CamScanner

Summary research about " Ibn Ammar Al, Andaloussy "

This paper handled with " Ibn Ammar Al-Andaloussy " (422 AH – 477 AH) , one of greatest poets in Tawaef kings era , a lot of studying literature and Critics concerning with studying his life and subjects of his poetry without dealing with hidden psychological influences which affecting on his apparent behavior and contribute in his personality formation , sense and guide his behavior and thought patterns and then covered his poetry .

He was born in very modest family and for this origination it's influences; which made him grumpy, keen to impose himself on life, so he was strongly bossy, and his ambition was the first motive, he didn't came subside unless achieved his desire, he used artifices to realized his goals, and on top of that he was highly aware with the Insider of the souls and guide it's affections.

He was felt that he didn't adapted with himself and with society he live in. he was suffered from brunt between himself demand from side and social frustrated conditions from another side , he was compensated for all that tension inside with sublimation , he found in the poetry compensation for deprivation which he was felt and a way for wealth .

He tasted the sweetness of life during accompany with "EL-MOATAMED" and then "EL-MOATAMED" expatriated him from "ESHBELIA" and this was the cause beyond psychological grief and frustration. And

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

CamScanner ممسوحة ضوئيا بـ
Scanned with CamScanner

this exclusion was considered as turning point in his life from which he launched to realized his ambitions; he was greeded in the "Emirate", pushing for this ambition adventure personality, and he preferred " Murcia Emirate " and when he gained it , he voracious to " BLUNCIA Emirate " also . When he saw the position of "TOLILA": he greeded in it, then and he found that he losted " Murcia Emirate " so he went to " AZVONSH " to support him to regain " Murcia " ; but he didn't found help that he was expected . Then he went to "EL-MOATAMEN IBN HOOD" in "SARKASTA" and he boredom "SARKASTA " so he turned_to " LARDA" and it was static and calm, and he returned to " SARKASTA" searching for adventure to renew his activities , so he gained "IIESEN" , and he recruited one of known well with trick , he not only so , but he returned the ball again with owner's of " SHAKORA FORT " so he obtained his punishment and fallen as a captive.

In all that he used cunning and deceit, he colored and manipulated to achieve his objectives and not concerning by his conscience or morals, his heart was lacking for dirty Coverts.

However the approach of this research is a psychological approach, depending on following Psychological features of the poet, and his heart's thought and monitoring through interaction with his society 's events , environmental influences ; at the same time – it's a technical approach – based on analysis, critics and savor

.....

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

Scanned with CamScanner